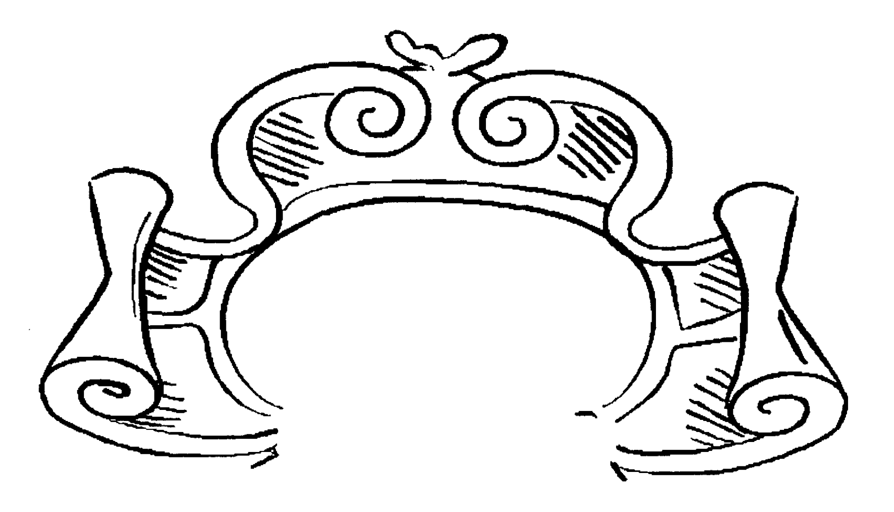


# معجزات الأنبياء




بقلم

محمد محمود عبد الله

مكتبة الإيمان بالمنصورة
٢٢٥٧٨٨٢

# تمهيد للبحث

لا يغيب عن مؤمن أن النبوة أصل من أصول الدين وتشترك فى هذا الاعتقاد كافة والنبوة من ضروريات الدين فبعد الاعتقاد بالتوحيد والعدل الإلهى فإن بعثة الأنبياء لهداية البشرية إلى الصراط المستقيم تعتبر جزءا من العدل الإلهى . حيث إن الله سبحانه وتعالى وبمقتضى لطفه وعدله يلهم مجموعة من عباده بالعلوم الغيبية والمعارف الإلهية والأحكام الشرعية التى تضمن سعادة الناس ويبعثهم لهداية وإرشاد البشرية وصدق الحق سبحانه إذ يقول : ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ .

إن الإنسان الذى يحمل الرسالة الإلهية يسمى نبيا ويسمى رسول الله ومجموع الرسالات التى جاء بها الأنبياء تشكل ينبوع الأديان الإلهية الكبرى ومن شروط النبوة العصمة من الخطايا والذنوب .

إن الاعتقاد بنبوة الأنبياء بشكل عام وبخاتمية نبوة محمد ﷺبشكل خاص يعتبر من أصول ديننا ، أما الاعتقاد بعدد الأنبياء قبل النبى الخاتم فلا يعتبر من ضروريات الدين . فالمشهور عن عدد الأنبياء كونهم مائة وأربعة وعشرين ألف نبى بعثهم الله تعالى بالنبوة أولهم آدم صفى الله وآخرهم محمد المصطفى ﷺ ، ومن بين الأنبياء المبعوثين خمسة يعتبرون من الأنبياء العظام - أولى العزم - وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد على نبينا وعليهم الصلاة والسلام وتعتبر شرائعهم ورسالاتهم إلى الناس كافة ، إن الكثير من الأنبياء بعثوا إلى قوم أو بقعة من الأرض وكانوا يدعون ويروجون إلى الرسالات العالمية أما خاتم الأنبياء ﷺ فإنه مبعوث إلى البشرية جمعاء وإلى يوم القيامة فلن

يأتى بعده نبى ، والدين الإسلامى يعتبر مكمل الأديان وشرعته باقية إلى نهاية الخليقة .

إن الدليل على نبوة الأنبياء هو مجيئهم بالمعاجز الخارقة للنواميس الطبيعية والمستمدة من القدرة الغيبية والتى يعجز الآخرون عن الإتيان بمثلها .

ومن المعاجز المشهورة للأنبياء صيرورة النار بردا وسلاما على إبراهيم وإخبار نوح بالطوفان وعصا موسى واليد البيضاء وإحياء الموتى معجزة عيسى عليه السلام المعروفة . ومن معاجز الرسول الأكرم وأهمها هى القرآن الكريم الذى لو اجتمعت الخلائق وكان بعضهم لبعض ظهيرا على أن يأتوا بمثله لما استطاعوا وهى معجزة دائمة وخالدة إلى الأبد .

قالوا إن عدد الأنبياء مائة وأربع وعشرين ألف نبى ولا توجد لدينا تفصيلات عن أسماء وحياة أكثرهم والذين لم يحملوا رسالات وشرائع وكتب .

فبالإضافة إلى الأنبياء الخمسة أولى العزم لدينا معرفة بسيرة وحياة خمسين من الأنبياء ثلاثين منهم تعرض القرآن لبيان حياتهم وسيرتهم وسيرة حياة البعض الآخر تعرضت لها الكتب الأخرى إيجازا أو تفصيلا . وهناك اختلاف فيما روى عن حياة الأنبياء . فنرى أن الروايات الواردة فى نسخ التوراة والإنجيل تختلف عن الروايات الإسلامية الواردة فى القرآن الكريم والسنة النبوية وروايات المعصومين عليهم السلام .

أما ما ورد فى هذا الكتاب عن حياة الأنبياء وسيرهم فإنها روايات مشهورة وردت فى أغلب الكتب الإسلامية ومن بينها كتاب قصص الأنبياء

للجويرى والذى يعتبر من الكتب المشهورة .

وفى كتابنا هذا لا نريد كما أسلفنا أن نثبت شيئا أو ندفع إشكالا فإن هذا الأمر يختص بالكتب الكبيرة بل اعتمدنا التعرض لحياة الأنبياء من آدم عليه السلام وانتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين وبشكل مختصر .

* * * * * * * * * *

# قصة الخلـــق

هناك تفاوت بين أسلوب الكتب الدينية وكتب العلوم المادية فى تفسيرها لمسألة خلق الكائنات ، فالذى يعتقد بالقرآن الكريم يرى أن القرآن يبحث عن القصد والهدف من خلق السماوات والأرض . أما النظريات المادية حول الأرض والسماء فإنها خالية من أى هدف روحى ، بل تبحث فى كيفية انفصال الأرض عن الشمس وعن إمكانية وجود المخلوقات هناك ، أما الهدف من الإيجاد فإن النظريات المادية قاصرة عن إعطاء الجواب على ذلك . إذن هناك تفاوت بين الوجود والإيجاد . ففى الإيجاد تؤخذ بنظر الاعتبار ذلك المسائل الروحية والحقوق والواجبات والتكاليف والأحكام الإلهية وهنا يعتبر الإنسان أشرف المخلوقات ، أما من وجهة النظر المادية فإن الإنسان يعتبر شأنه شأن أى مخلوق صغير مثل دودة الأرض . ولا يهمنا فى هذا الكتاب التعرض لهذه الأبحاث فكما قدمنا أن هدفنا أن نتعرض وبشكل مختصر لحياة الأنبياء .

أما قصة الخليقة فلها ارتباط بما نريد أن نبحثه باعتبار أن آدم عليه السلام أول المخلوقات وهو بداية الخلقة . وفى هذه القصص هناك مواضيع واضحة وأسرار غامضة لا يدركها إلا ذوو العلم والمعرفة فهناك عطاء من الحكمة والمعرفة فى الكتب السماوية بالرغم من الاختلاف الموجود فى تعبيراتها . وهذه نبذة عما جاء فى قصص الأنبياء فمن باب خلقة العالم لقد خلق الله سبحانه وتعالى الأرض والسماء وما بينهما فى ستة أيام من أيام ذلك العالم الذى يعادل يومه ألف سنة من سنى عالمنا هذا .

إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق العالم بطرفة عين ولكنه تعالى

أراد من ذلك أن يعلم عباده الصبر فى أعمالهم .

إن أول شىء خلقه الله سبحانه وتعالى هو القلم وإن كان ما موجود فى هذا العالم قد خط بالقلم ، والمدة بين خلق القلم وخلق السماوات والأرض تقدر بستة آلاف سنة ، وخلق بين السماوات أنوارا وخلق من هذه الأنوار ملائكة تسبح وتهلل الله تعالى ولا تغفل عن ذكره لحظة واحدة وخلق الأرض من الماء وأمر الرياح أن تهب على الأرض والشمس أن تشرق على الأرض بنورها ، ثم خلق الجن والملائكة من النار والدخان ثم لما اقتضت الإرادة الربانية بخلق آدم قال للملائكة : اعلموا بأننى سوف أبعث إلى الأرض خلقا من غير جنسكم أخلقه من التراب والطين وسيكون خليفتى فى الأرض والحاكم فيها .

قالت الملائكة : إلهنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ؟

فجاء الجواب : أيتها الملائكة أنا أعلم ما لا تعلمون .

قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [١] .

وأمر الله سبحانه وتعالى جبرائيل بأن يهبط إلى الأرض ويأتى بقبضة من التراب . وهبط جبرائيل على أرض الكعبة فاهتزت الأرض تحت قدمه وقالت : أعوذ بالله أن يأخذ منى ترابا أخشى أن يُخلق منه مخلوق يقوم

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

بارتكاب الذنوب ويستوجب العذاب وأنا لا طاقة لى على تحمل العذاب .

فعاد جبرائيل وقال : إلهى أنت أعلم أن الأرض أقسمت علىَّ باسمك ، وهبط ميكائيل أيضا وأقسمت عليه الأرض ورجع كذلك بيد خاليه .

وبعدها جاء الأمر إلى عزرائيل بأن يهبط ويأتى بقبضة من تراب الأرض فهبط عزرائيل إلى الأرض فأقسمت عليه الأرض بالله بأن لا يأخذ منها ترابا يخلق منه خلقا يعصى الله سبحانه وتعالى فيستوجب العذاب حيث لا طاقة لى على تحمل العذاب . فقال عزرائيل للأرض : إنك تقسمين علىَّ بمن بعثنى وأمرنى وهو يعلم كل شىء حيث أننى مأمور ومعذور .

ثم مد يده وأخذ حفنة من التراب ثم قال يا رب : أنت تعلم أننى أتيت بالتراب ولم أعتن بقسم الأرض على لأن إطاعة أمرك عندى أوجب .

فجاء الخطاب : إنك الآن أصبحت مهيمنا على الأرض وسوف أخلق هذا التراب خليفة وأجعلك مسلطا على روحه لكى تقبض روحه عندما يحين أجله .

فقال عزرائيل : سيصبح عبادك أعدائى ؟

فجاءه الجواب : لا تخف سأبتلى كل واحد منهم ببلاء حتى لا يتخذونك عدوا . فمنهم من يُفرط فى الأكل والشرب ومنهم من يفرط فى الشهوات ومنهم من ينغمر فى طلب الجاه والرئاسة ، ومن ذلك تنشأ الأمراض والأوجاع والحمى ، ومنهم من يغرق ومنهم من يقتل فى الحرب ، وسوف يكون موت كل شخص نتيجة لعشوائية وعدم مبالاته لن يكون لك أحد منهم عدوا .

والوارد من أن آدم عليه السلام خلق من الطين وأنه لو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضا ولكانوا على صورة واحدة ، بل إنه خلق من سهل الأرض وحزنها ومرها وحلوها وعذبها ومالحها ومن جميع أشكالها وألوانها من أبيضها وأصفرها وأسودها وأشقرها إلى غير ذلك : ولذا ترى ألوان البشر مختلفة غاية الاختلاف فعن أمير المؤمنين عليه السلام أن الله تبارك وتعالى بعث جبرائيل عليه السلام وأمره أن يأتيه من أديم الأرض بأربع طينات طينة بيضاء وطينة حمراء وطينة غبراء وطينة سوداء وذلك من سهلها وحزنها ثم أمره أن يأتيه بأربع مياه ماء عذب وماء مالح وماء مر وماء منتن ثم أمره أن يفرغ الماء كله فى الطين فجعل سبحانه الماء العذب فى حلقه والماء المالح فى عينه والماء المر فى أذنيه والماء المنتن فى أنفه . . . إلخ .

وفى توحيد المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام . . . إنما جعل الماء العذب فى الحلق ليسوغ له أكل الطعام وجعل الماء المالح فى العينين إبقاء على شحمة العين لأن الشحم يبقى إذا وضع عليه الملح أو الماء الصالح ، وأما المر فى الأذنين فلئلا تهجم الهوام على الدماغ ومن ذلك إنها وصلت إلى الماء المر فى الأذنين ماتت ، ولربما تتعدى الهوام الماء المر وتصل إلى الدماغ لقوتها مع قلة الماء فى الأذنين ولعله لضعف المزاج لكونه مريضا أو شيخا كبيرا أو طفلا صغيرا .

بعد ذلك جاء الأمر إلى الملائكة أن يضعوا التراب بين مكة والطائف ثم تلبدت السماء بالغيوم ونزل عليه مطر الرحمة لمدة سنتين حتى لان التراب وأصبح طينا وبعد سنتين أصبح صلبا وسنتين ثالثة اتخذ هيئة كما أرادها الله سبحانه وتعالى ، وبقى على هذا الحال سنين طويلة من سنين هذا العالم .

وجاءت المرحلة الأخرى حيث أمر الله سبحانه وتعالى جبرائيل وميكائيل وعزرائيل بأن يأتوا بالروح الإلهية لآدم ، ولما أتوا بروح آدم فى طبق من نور إلى سماء الأرض اجتمعت الملائكة للنظر إليها ، فأمر الله الملائكة بالطواف حول روح آدم سبع مرات قبل أن تلج فى جسده .

ومن تلك اللحظة بدأ إبليس بعصيانه فقال : إلهى إنك خلقتنى من نار وجسمى لطيف لأنك خلقته من نار فكيف أطوف حول تمثال من تراب لا يعلم شيئا ، أمهلنى لكى أرى ماذا سيكون؟! وأمر سبحانه وتعالى الروح بأن تلج الجسد الترابى لآدم ودخلت الروح وصار التمثال لحما ودما وعروقا وعظاما وتكونت الهيئة الآدمية ، وقبل أن يكتمل ولوج الروح فى الجسد أراد آدم النهوض فقالت الملائكة : يبدو أن هذا المخلوق سيكون عجولا لأنه قبل أن يكتمل نصفه يريد القيام من مكانه وسرت الروح فى كافة أعضاء جسمه ثم علمه الله الأسماء الحسنى بعدها أخذ آدم يسبح بحمد ربه شاكرا له .

وأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بأن يسجدوا لآدم ، وسجدت الملائكة بأجمعها إلا إبليس أبى واستكبر وقال : أنا لا أسجد لمخلوق خُلق من التراب .

وعندما سأله البارى تعالى : ما منعك من السجود لمن خلقته بقدرتى ورحمتى ونفخت فيه من روحى؟

فقال إبليس : أنا أفضل منه لأنه خلق من التراب وأنا مخلوق من النار .

فقال له سبحانه وتعالى : ما دمت قد عصيت أمرى فإنك ملعون وبعيد عن رحمتى إلى يوم القيامة . قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه المجيد : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ**

الْكَافِرِينَ ﴾[١] وقال تعالى فى مقام آخر موبخا إبليس على امتناعه أن يسجد له بقوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[٢]. فقال له اللعين: ﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[٣]. وورد فى مكان آخر قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾[٤] وقوله: ﴿ قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾[٥]. وقوله: ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾[٦].

روى فى مجمع البيان عن طاووس ومجاهد أن إبليس كان قبل أن يرتكب المعصية، ملكا من الملائكة إسمه عزازيل وكان من سكان الأرض، وكان سكان الأرض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة أشد اجتهادا ولا أكثر علما منه، فلما عصى الله لعنه وجعله شيطانا وسماه إبليس يعنى العاصى.

قال إبليس مخاطبا الله سبحانه وتعالى: إلهى لقد عبدتك آلاف السنين وكنت من المقربين فأين أجر عبادتى لك؟ فأجابه البارى: أطلب ما تشاء.

فقال إبليس: أريد أن أبقى حيا لأنظر ماذا سيفعل هذا المخلوق.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٣٤.
(٢) سورة الأعراف الآية: ١٢.
(٣) سورة الأعراف الآية: ١٢.
(٤) سورة الأعراف الآيتان: ١٦، ١٧.
(٥) سورة الأعراف الآيتان: ١٤، ١٥.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

فأجابه : سأمهلك إلى الوقت المعلوم .

فساوم الشيطان وقال : إلهى إن أبقى حيا ويبقى الإنسان حيا فهذا قليل بحقى لأنى عبدتك آلاف السنين أريد أن تكون لى قدرة على أن أتكلم مع بنى آدم وأتعرف على أفكارهم . فكان إبليس أول من تكبر ومن بعبادته وساوم ونكث قوله الأول الذى طلب فيه الإمهال فى الحياة فقط .

فأجابه تعالى : بأن لك ذلك .

عندها قال إبليس : بما أمهلتنى فسوف أغوى أبناء هذا الخلق الجديد إلا المخلصين منهم الذين لا أقدر عليهم .

فقال تعالى : إنك لا سلطان لك على الصالحين الصادقين وسأملأ جهنم منك وممن اتبعك إلى يوم الدين . ومن هذه اللحظة نشأت العداوة بين إبليس وبنى آدم .

أما آدم فقد كان لوحده فى الجنة فأخذه النوم وكان يبحث فى نومه عن أنيس له من جنسه . فخلق الله سبحانه وتعالى حواء من طينته وعندما استيقظ من النوم وجد حواء إلى جانبه ، عندها خاطبهما تعالى بأن اسكنا فى الجنة .

قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ ﴾[1] .

قال أمير المؤمنين على فى نهج البلاغة : ثم أسكن سبحانه وتعالى آدم

(١) سورة البقرة ، الآية : ٣٥ .

دارا أرغد فيها عيشه وآمن فيها محلته وحذره إبليس وعداوته فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الأبرار فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما ثم بسط الله سبحانه له فى توبته ولقاه كلمة رحمته ووعده المرد إلى جنته وأهبطه إلى دار البلية وتناسل الذرية .

يعتقد البعض بأن آدم وحواء مكثا فى الجنة سبع ساعات ، وقال البعض أنهما مكثا عدة شهور وذلك لأن الساعات فى ذلك العالم تعادل أياما وكل يوم يعدل ألف سنة من سنينا والآن نتابع ما جرى لآدم عليه السلام.

* * * * * * * * * *



# آدم صفي الله عليه السلام

**معجزات آدم:**

١- خلقه.

٢- نفخ الروح فيه.

٣- علمه ربه أسماء كل شيء وأول ما تعلم من الأسماء أسماء الله الحسنى عز وجل.

٤- أسجد الله تعالى له الملائكة.

٥- لعن إبليس لأجله مع كثرة عبادته.

* * * * * * * * * * * *

## وإليك الخصائص التى خص الله عز وجل بها آدم عليه السلام

لقد خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه ، وفى أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قائل: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ولقنه الحمد حين عطس ، ثم قال له يرحمك ربك ، فسبقت له رحمته غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل ، وأباح له جميع الجنة إلا شجرة واحدة ، وعلمه الأسماء كلها ، وأمر ملائكته بالسجود له وأمرهم بالتلقين ، وجعله أبا البشر وجعله خليفته فى الأرض .

وعرف الملائكة فضله عليهم ، ولعن إبليس من أجله مع كثرة عبادته ، وعاتب الملائكة بسببه وهو أول حامد وأول تائب وأول مجتبى وأول مصطفى وأول خليفة لله فى الأرض ، وهو المميز للأرواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة بعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه عليه السلام وشرف وكرم والله أعلم .

# آدم صفى الله

يكنى آدم عليه السلام بأبى البشر ويلقب بالخليفة والصفى «**ورد فى زيارة وارث: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله**» عندما سكن آدم فى الجنة وحواء فى الجنة أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يأكلا ويشربا ما شاء لهما ونهاهما عن الاقتراب من شجرة لأن الأكل منها يعتبر ظلما لأنفسهما ، وفى الجنة أشياء أربعة غير موجودة وهى: الجوع والعطش والعرى والمرض . وعندما رأى آدم الراحة والاطمئنان فى الجنة قال فى نفسه: إن إبليس فى الأرض وأنا فى الجنة ولا يستطيع أن يصل إلى ، ولقد منعنا من الأكل من شجرة واحدة فى الجنة وإذا لم نأكل من هذه الشجرة فنحن فى أمان من عداء إبليس .

أما إبليس فإنه قرر أن يضل آدم وحواء ويخرجهما من الجنة لقد ذاق إبليس طعم عصيانه وهو يعلم أن العصيان يُذهب العزة والرحمة فمنع من دخول الجنة ، وقد جرب الاحتيال أول مرة ليدخل الجنة فاستقر فى فم حيوان ودخل ، ومن لسان ذلك الحيوان وسوس لآدم وحواء وقال لهما: إن قلبى يحترق لحالكما لأنكما لا تستطيعان البقاء فى الجنة .

قالا: لماذا؟!

قال إبليس: لأنكما ممنوعان من الأكل من هذه الشجرة وهى شجرة السعادة والخلود ، وكل من يأكل منها يخلد فى الجنة والذى لا يأكل منها فإنه سيخرج من الجنة ، وأقسم بأنه صادق فى قوله وهو أول من أقسم كذبا .

قيل: إن هذه الشجرة كانت شجرة تفاح أو حنطة أو عنب ، لكن الطمع وغواية الشيطان دفعا آدم وحواء إلى الأكل من الشجرة الممنوعة .

ورد فى معانى الأخبار بإسناده إلى الهروى قال قلت للرضا عليه السلام يا بن رسول الله أخبرنى عن الشجرة التى أكل منها آدم وحواء ما كانت فقد اختلف فيها الناس فمنهم من يروى إنها الحنطة ومنهم من يروى أنها العنب ومنهم من يروى أنها شجرة الحسد؟

فقال عليه السلام : كل ذلك حق ، فقلت : فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال : يا أبا الصلت : إن شجرة الجنة تحمل أنواعا فكانت شجرة الحنطة وفيها العنب وليس كشجرة الدنيا . . .[(١)] .

وما إن دخلت الثمرة فى حلقومهما نزع لباسهما وأصبحا عاريين فى حين أنهما أعطيا عهدا بأن لا يجوعا ولا يعريا فى الجنة ، عندها علم آدم وحواء إن مصيرهما آل إلى حال آخر فخجلا من حالة العرى وأخذا يستران بدنهما العارى من ورق الشجرة بحالة من الخوف والهلع .

وجاءهما الخطاب من البارى تعالى : ألم أمنعكما من أن تأكلا من الشجرة؟ ألم أقل لكما بأن الشيطان عدو لكما؟ الآن وقد عصيتما أخرجا من الجنة واهبطا إلى الأرض لتعيشا فيها بمعاناة وعداوة ومصاعب إلى أن يشاء الله ، بعدها أخرجا من الجنة وهبطا على جبل (سرنديب) وبكى آدم أربعين يوما من الخوف والخجل والندم .

قال تعالى فى كتابه العزيز : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[(٢)] .

---

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى .

(٢) سورة البقرة الآية : ٣٦ .

والمشهور عن السادة الأطهار عليهم السلام من أن نزول آدم عليه السلام كان على الصفا ونزول حواء على المروة ، ولكن المشهور عند جمهور المسلمين أن آدم عليه السلام هبط على جبل (سرنديب) ويقال له (نود) أيضا أما حواء فقد هبطت في جدة [(١)] .

بعدها هبط جبرائيل إلى الأرض ومعه كمية من الحنطة أعطاها إياه وقال :

هنا دار عمل والأرض ليست كالجنة إزرع هذه الحنطة واحصدها واصنع منها العجين ثم أخبزه ، وجاءه بالنار لكي يخبز الخبز ، وبقي آدم على هذه الحال مائة سنة .

وفي يوم جاءه جبرائيل بقطعة من الحديد وعلمه الحدادة والأعمال الشاقة لكي تصبح حياتهم أفضل وقال لهم : إن هذه عقوبة ذلك العصيان وإنكما لا تحصلان على متطلبات العيش إلا من بعد مشقة وعناء ومرت على آدم مائة سنة وهو يبكي ندما ويطلب العفو من الله بعدها نزل جبرائيل عليه السلام وبشره بقبول توبته فبكى آدم مائة سنة أخرى شكرا لنعمة قبول توبته ولأنه وعد بالجنة ولهذا فإن ابن آدم يبكي بعض الأحيان فرحا وأحيانا من الشوق .

وعاش آدم وحواء في عناء لأنهما تحملا مشقة إنجاز أعمالهم حيث لم تكن وسائل العمل والعيش متوفرة لديهما ، واستطاعا شيئا فشيئا وبالتجربة والتفكير والتعليم الغيبي أن يوفروا وسائل العيش .

**أبناء آدم :**

بعد مرور فترة من الوقت حملت حواء وأنجبت من ذلك الحمل ولدا

---

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملي .

أسمته (هابيل) وبنتا اسمها (غارورا) والذكر كان أجمل من الأنثى ومرة أخرى أنجبت ولدا وبنتا وكان اسم الولد (قابيل) ولكن الأنثى كانت أجمل من الذكر فى هذه المرة ، وهكذا فقد أنجبا مائة وعشرين ولدا .

الوارد عن أهل بيت النبوة فى أمر زواج آدم من حواء ما مضمونه هو أن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم عليه السلام من تراب ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ، غلب عليه النوم ، ففى حال نومه خلق الله تعالى حواء كما خلق آدم من طين من جنس طينة آدم أو من فاضل طينته ، وجعلها إلى جانبه ملتصقة به . فلما أوجد الله فيها الروح أخذت تتحرك فانتبه آدم إلى تحركها فنوديت أن تنحى عنه ، فلما نظر آدم إليها نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنها أنثى فكلمها فتكلمت بلغته ، فقال لها : من أنت؟ فقالت : خلقنى الله كما ترى . فخاطب آدم ربه وقال : يارب من هذا الخلق الذى آنسنى قربه والنظر إليه؟ فقال الله تعالى : هذه أمتى حواء أفتحب أن تكون معك فتؤنسك وتحدثك وتأتمر لأمرك؟ فقال آدم : نعم يارب ولك بذلك الشكر والحمد ما بقيت .

فقال الله تعالى : اخطبها منى لنفسك فإنها أمتى وأنها الصالحة للشهوة أيضا . وقد ألقى الله عليه الشهوة ، فقال : يا رب فإنى أخطبها منك لنفسى فما رضاك بذلك؟ فقال سبحانه وتعالى : رضائى أن تعلمها معالم دينى . فقال آدم لك ذلك علىَّ إن شئت ذلك . فقال سبحانه وتعالى : لقد شئت وقد زوجتك إياها على ما شرطت عليك فضمها إليك . فقبل آدم بذلك ورضى ثم قال آدم لها : أقبلى إلىَّ ، فقالت : بل أنت أقبل إلى فأمر الله عز وجل آدم أن يقوم إليها فقام إليها ، ولولا ذلك لكانت النساء هن يذهبن إلى الرجال

ويخطبن لأنفسهن ، وهذه قضية زواج آدم وحواء[١] .

وعندما بلغ أولاد آدم مبلغا من العمر لم يجدوا من يختارون للزواج ، وهنا صدر الأمر بأن يتزوج أنثى البطن اللاحق من ذكر البطن السابق وبالعكس فلا يُحلل للأخ أخذ أخته التى ولدت معه من بطن واحدة وبذلك أصبحت أخت قابيل زوجة لهابيل وبالعكس فإن أخت هابيل أصبحت زوجة لقابيل وبذلك صار أولادهم أولاد عمومة . وطلب آدم أولاده وأبلغهم الأمر ، لكن قابيل لم يستجب لهذا الأمر وقال : إن أخت هابيل غير جميلة . فقال آدم : لا مناص لنا إلا أن نمتثل لهذا الأمر وقد أبلغنا الله سبحانه وتعالى بأن الجمال شىء زائل ويجب أن يبقى هذا الأمر متعارفا لدى الناس لكى يرتبط الناس ويزداد التقارب فى هذه الدنيا ولدرء الشك نلجأ إلى القرعة لتعلموا أن هناك فرق بين أمر الله سبحانه وتعالى وما تهواه أنفسنا . وأمر آدم أولاده بأن يأتى كل واحد منهم شيئا عزيزا من كده يقربه قربانا ويضعه فى مكان مرتفع لنرى أيكما يُقبل قربانه فسيحظى بالجميلة من البنات .

وكان هابيل صاحب غنم فأتى بأفضل كباشة ، وكان قابيل فلاحا فأتى بكمية رديئة من القمح ووضعا قربانهما فى مرتفع من الأرض ودعا آدم ربه بأن تنزل النار وتحرق القربان المقبول كعلامة للقبول ونزلت النار من السماء وأحرقت قربان هابيل ولم تقرب قربان قابيل ، وإنما تقبل قربان هابيل لأنه جاء بأفضل كبش عنده بينما قابيل جاء بحنطة رديئة حيث إن الله يعلم كل شىء ولا تخفى عليه الحيل وبعد ذلك تزوج هابيل أخت قابيل أما قابيل فقد تزوج أخت هابيل ولكن قابيل كان غير راض من الذى حدث وضمر لهابيل

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى .

حقدا فى قلبه وكانت أول عداوة بين أولاد آدم منشأها النساء والجمال .

قال تعالى فى كتابه المجيد : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ من أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ [1] .

ولكن الوارد عن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة عليهم السلام هو منع زواج الإخوة من أخواتهم وإنكاره أشد الإنكار ، وأن سائلا سأل الإمام الصادق عليه السلام وقد أظهر السائل له من أن هذا الخلق كله أصله من الإخوة والأخوات . فقال عليه السلام : سبحان الله وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ، أيقول من يقول إن الله تعالى جعل صفوة خلقه وأنبيائه من الحرام ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال ، والله لقد نُبئت أن بعض البهائم تنكرت له أخته فنزى عليها فلما عرفها ونزل عن ظهرها وكشف له عن حقيقة حالها وأنها أخته أخرج ذكره ثم قبض عليه بأسنانه حتى انفصل ثم خر ميتا . . .

ثم أخذ يبين كيفية بدء النسل من آدم عليه السلام وذريته وأنه ولد قابيل فلما أدرك وبلغ أظهر الله تعالى جنية من ولد الجان يقال لها (جهانة) فى صورة

---

(١) سورة المائدة الآيات : ٢٧ - ٣١ .

إنسية ، فلما رأها قابيل أحبها فأوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوجها من قابيل ، ثم ولد لها هابيل فلما أدرك أهبط الله تعالى إلى آدم حورية من الجنة وإسمها (نزلة) فلما رآها أحبها فأوحى الله تعالى إلى آدم أن يزوجها من هابيل ففعل ذلك ، فكانت (نزلة) الحوراء زوجة لهابيل ابن آدم وكانت (جهانة) ابنة الجان زوجة لقابيل ابن آدم وكان النسل منهما . . .[١] .

ويوما قال قابيل لهابيل : لقد وقع على الظلم وغدا سيفتخر أولادك على أولادى بأن أبونا تقبل الله قربانه وأبوكم لم يقبل قربانه .

فقال له هابيل : أنا لا دخل لى فيما جرى يا أخى وإذا ما بسطت يدك لى لتقتلنى فما أنا بباسط يدى إليك وإذا قتلتنى فسوف تكون من الظالمين ، وجزاء الظالمين نار جهنم . ولكن قابيل لم يكترث لكلام هابيل وأخذ ينظر إليه نظرة عداء ويبحث عن طريق للإيقاع به .

ويوما من الأيام جاء إبليس بحجر وحية وألقى الحية على الأرض وأخذ يضرب رأسها بالحجر بمرأى من قابيل إلى أن قتلها ، فتعلم قابيل من إبليس ، واغتنم أول فرصة وانقض بالحجر على رأس هابيل ضربا حتى قتله ، وتملكته الحيرة ولم يدر ماذا يصنع كى يخفى جريمته حتى لا يطلع آدم على ذنبه ، وفى الأثناء كان هناك غرابان يقتتلان حيث قتل أحدهما الآخر وحفر له حفرة بمنقاره وأخذ يواريه فيها ، وتعلم قابيل من الغراب كيف يحفر حفرة ويدفن فيها أخاه هابيل حيث كان مضطربا وخائفا . وتفقد آدم هابيل وسأل عنه قابيل فأجابه : بأنه لا يدرى وهو ليس مسؤولا عنه ، لكن جبرائيل أخبر آدم بالأمر

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى .

فقام آدم بطرد قابيل ونفيه وقال له : بما أنك ارتكبت جريمة القتل فسوف لن ترى الراحة والاطمئنان أبدا .

أما آدم وحواء فقد تملكهما الحزن لسنوات طويلة على ولدهما هابيل وقد سلط الله سبحانه وتعالى أولاد هابيل على قابيل .

وأما قابيل فقد ابتعد عن إخوانه وأخواته وبقى يبكى ندما وحزنا على فعلته . وأخذ إبليس يسلى قابيل بقوله : إن المشكله نشأت من أن هابيل كان يعبد النار ولذلك تقبلت النار قربانه وأنت إذا أردت أن تستقر بعد هذا فعليك أن تعبد النار ، فخدعه بهذا الكلام وأصبح من عبدة النار وأخذ يدعو من يراه من بنى آدم لعبادة النار ومن ذلك الحين بدأت عبادة النار .

لقد جرب إبليس حيلته الكبرى ورأى أن أفضل طريق لإضلال الناس هو أن يدعوهم لعبادة شىء غير الله وإذا ما فعلوا ذلك عندها سيتقبلون كل شىء يعرض عليهم حيث أن الكفر يعتبر أرضية لنشر الفساد .

إن الوارد عن أهل العلم والعصمة والرسالة عليهم السلام ما مضمونه إن الله سبحانه وتعالى أمر آدم عليه السلام أن يضع مواريث النبوة والعلم عند هابيل ويعلمه بما أمر الله تعالى به وما نهى عنه ، فلما فعل ذلك وعلم قابيل بما جرى غضب واعترض أباه قائلا : ألست أنا الأكبر من هابيل وأنا الأحق بهذا الأمر ومن الأحرى أن تقدمنى على أخى هابيل؟ فقال له : يا بنى إن الأمر لم يكن بيدى وأنه بيد الله وأن الله تعالى هو الذى خصه بما فعلت ولم أفعله عن أمرى ، فإن لم تصدقنى فقربا قربانا فأيكما تقبل الله تعالى قربانه فهو أولى بالفضل وإعطاء مواريث النبوة . وكان قبول القربان فى ذلك العهد هو أن

تنزل عليه النار من السماء فتحرقه . وكان قابيل صاحب زرع فقرب قمحا رديئا وكان هابيل صاحب غنم فقرب كبشا سمينا فنزلت النار من السماء وأحرقت قربان هابيل فغضب قابيل غضبا شديدا وأتاه إبليس اللعين ووسوس له وقال : لو أتاكما ذرية وأولادا وكثر نسلكما فلابد أن يفتخر أولاد هابيل على أولادك بقبول قربان أبيهم هابيل وعدم قبول قربانك وبأن الله تعالى قد خص هابيل بمواريث النبوة دونك ، وهذا أمر يسبب القلق والذل لأولادك ولئن قتلته قطعت نسله وأرحت أولادك من هذه المصائب وتحمل هذه الشدائد ولم يجد أبوك من يخصه بالمواريث سواك فتفوز بفضلها ، فسولت له نفسه قتل أخيه فقتله [1] .

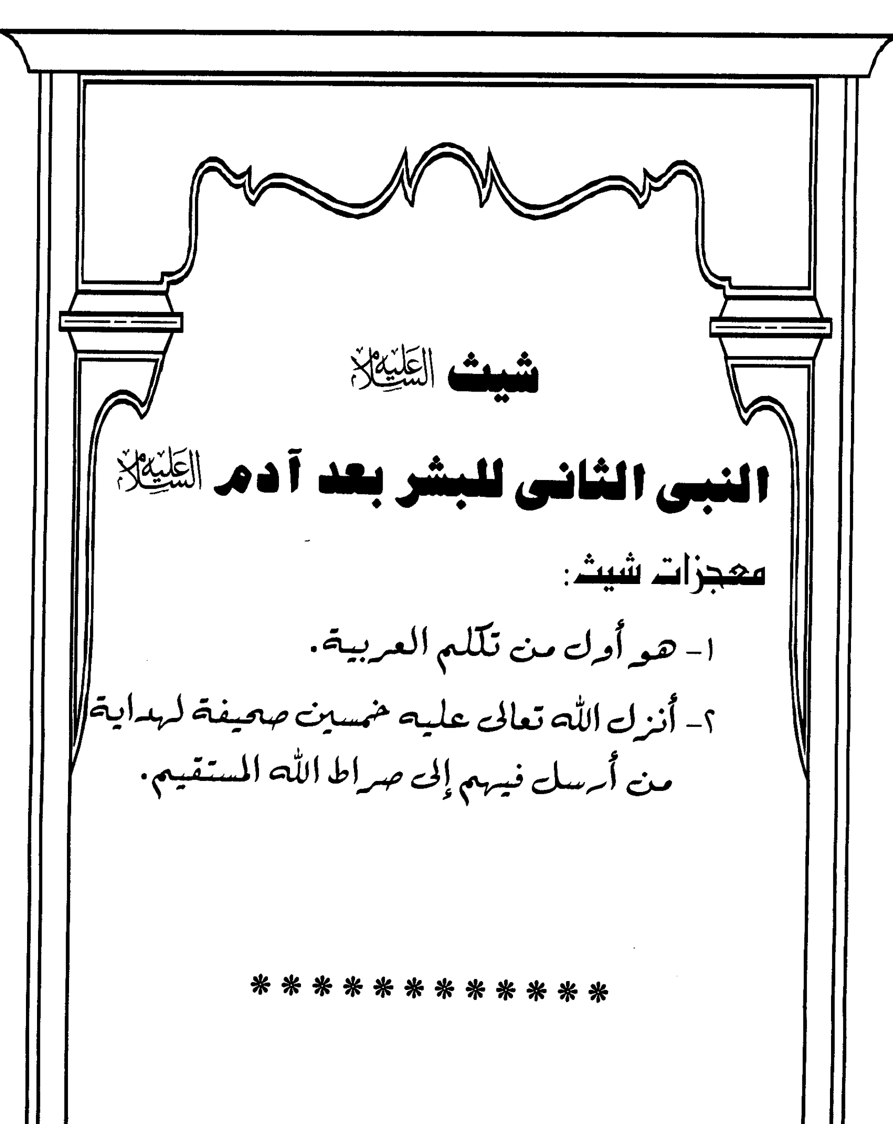
وأما آدم فكان عمره طويلا وعندما حضرته الوفاة بعد مرض طال واحدا وعشرين يوما جمع مجموعة من أولاده وأوصاهم بذكر الله واتباع الطريق المستقيم وخلف بعده ولده شيث ورحل من الدنيا وكان أولاده فى ذلك الوقت قد انقسموا إلى مجموعتين أكثرهم يعبدون الله سبحانه وتعالى والباقى يعبدون النار ، والذين يعبدون النار كانوا يعتبرون قابيل عالما وكيسا ، وكان شيث كلما أسدى النصح لجماعة لجلبهم إلى الطريق المستقيم تضل جماعة أخرى ويقعون فى حبائل الشيطان .

وقد دفن آدم فى جبل إلى قبيس وتوفيت حواء بعد سنة من وفاته ودفنت إلى جانبه ، وبعد طوفان نوح نقل قبر آدم إلى بيت المقدس .

* * * * * * * * * *

---

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى .



# شيث عليه السلام

# النبي الثاني للبشر بعد آدم عليه السلام

**معجزات شيث:**

١- هو أول من تكلم العربية.

٢- أنزل الله تعالى عليه خمسين صحيفة لهداية من أرسل فيهم إلى صراط الله المستقيم.

************

# حيـــاة شيـــث

كان شيث أعلم بنى آدم فى عصره ، وبوصية من آدم فإنه أصبح خليفته لهداية بنى آدم .

وقالوا: عندما رحل آدم من الدنيا كان عدد أولاده وأحفاده قد بلغ الأربعين ألف نسمة . وانتشروا فى أطراف الأرض التى كانت تتوفر فيها المياه والأراضى الخضراء ، وكان قابيل ومن اتبعه يسكنون قريبا من اليمن . وأخذ شيث ينشر التعاليم الدينية التى أوصى آدم بنشرها بين عباد الله ، ولكن مجموعة من عباد النار لم يذعنوا ولم يهتدوا واستمر الأمر كذلك إلى أن اصطفى الله سبحانه وتعالى شيثاً وأنزل عليه خمسين صحيفة ليدعوا الناس إلى طريق الهداية والسعادة وقد أوضح لهم شيئا جديدا فى زمان خلافته وآمن به جميع أبناء آدم عدا أتباع قابيل ، ولكن أيام شيث كانت قصيرة وكان له ولد يدعى (أنوش) وكان عالما بصيرا بالأمور .

وعندما وصل أنوش إلى سن البلوغ توفى والده شيث فقام بنشر شريعة أبيه ومنهاجه وكان له ولد اسمه (قينان) وكان يدعو الناس أيضا لدين أبيه .

وكان لقينان ولد يدعى (مهلائيل) وكان أجمل أبناء آدم بالإضافة إلى أنه كان خطيبا بليغا ، فأخذ يحرض الناس على العمل والعمران والصناعة حيث اتخذت الخلافة فى أيامه رونقا خاصا . وكان الناس فى ذلك الوقت يعتزون بدين مهلائيل فيأتونه بالهدايا من كل مكان ويطيعون أوامره مسرورين من أسلوب تعامله معهم فى القول والعمل ، وقد تقدمت فى أيامه الصناعات وأخذ عصره يزدهر يوما بعد يوم . وعندما توفى مهلائيل واجه أولاده

صعوبات كثيرة فى حياتهم حيث كان الناس يشتاقون إلى رؤيته . ولم يكن أولاده بالمستوى المطلوب من فن الإدارة فأخذ الناس يرتدون وسادت الفوضى فى الأعمال واغتنم إبليس الفرصة وجاء إلى أبناء مهلائيل على هيئة شيخ مجرب حكيم وقال لهم: إن روح أبيكم غير راضية عنكم .؟ فقالوا له: لماذا

قال لهم: ألا ترون أن الناس يأتون من الشرق والغرب لزيارة أبيكم ويرجعون خائبين وأخذت الأمور تسير نحو الفوضى وأنتم لا تفكرون بحل .

قالوا له: ماذا نفعل؟

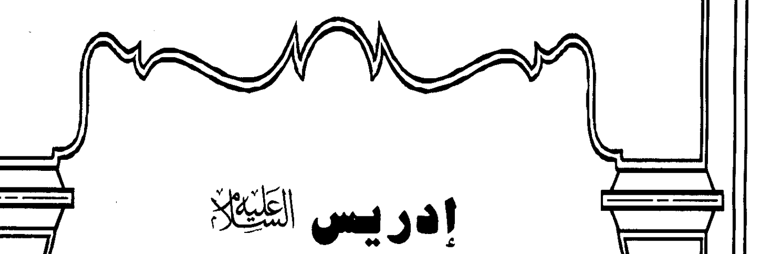
قال: اصنعوا تمثالا فى بيتكم يشبه شكل مهلائيل ضعوا عليه ستارا ولا تخبروا الناس بموته ، قولوا لهم لقد أصبح شيخا هرما لا قدرة له على لقاء الناس والحديث معهم وذلك ليأتى الناس لزيارته ولا يقطعوا الأمل من وجوده وستحتفظون بمكانتكم وسترضى عنكم روح مهلائيل .

قالوا: كيف نفعل ذلك وليس لنا خبرة فى فن النحت؟

قال: أناأصنع لكم ذلك حيث أنى أستاذ فى فن نحت التماثيل ولا أريد أجرا على عملى وما أطلبه هو رضا الله ولا غير . فصنعوا تمثالا لمهلائيل وفعلوا مثلما قال لهم إبليس ، وقد دخل السرور على أولاد مهلائيل لأن الناس أخذوا يزورون تمثال أبيهم ويأتون له بالهدايا . عند ذلك أخذ الشيطان يلتقى كل يوم بجماعة ويقول لهم: إن مهلائيل قد رحل من الدنيا وأنتم تزورون تمثالا لمهلائيل فلماذا تقدمون هذه الهدايا لأولاد مهلائيل اصنعوا عندكم تمثالا لمهلائيل وقدموا الهدايا لأولادكم بدلا من أن تقدموها لأولاد مهلائيل .

وبما أن الناس يحبون الاقتصاد فاتبعوا توصيات إبليس لأنها كانت أقرب لما كانوا يحبون ، ومن ذلك الوقت شاعت عبادة الأصنام وشيئا فشيئا فقد فَقد أولاد مهلائيل السيطرة على زمام الأمور وأخذ الشيطان يدير الأمور ، فانقسم الناس إلى مجاميع ، مجموعة تعبد النار وأخرى تعبد الأصنام ، ولم تزل في أذهان الناس الممارسات الجيدة التي اعتادوا عليها في عبادتهم لله سبحانه وتعالى . وكان الشيطان يريد جرهم أكثر فأكثر إلى الفساد فعلم أحد أولاد قابيل صناعة الخمر وقال له هذا شراب نزل من الجنة ألا تراه كيف يبث النشوة في رأس شاربه ، وقد راجت مسألة شرب الخمور ووسائل اللهو بشكل واسع . وكانوا لا يعتنون بتعاليم آدم وشيث ومهلائيل واستمر الأمر كذلك إلى خلافة النبي إدريس عليه السلام .

* * * * * * * * * *



# إدريس عليه السلام

## هو النبى الثالث للبشر

## بعد آدم وشيث عليهما السلام

**معجزات إدريس:**

١- رفعه الله تعالى مكانا عليا.

٢- أحياه تعالى بعد أن قبض...

وجاء فى الخبر أن أربعة من الأنبياء أحياء اثنان فى السماء هما إدريس وعيسى عليهما السلام... واثنان فى الأرض هما الخضر وإلياس عليهما السلام.

************

# فى ذكر النبى إدريس عليه السلام

قال الله تعالى - واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا - قال أهل العلم بأخبار الماضين وقصص النبيين ، هو إدريس بن برد وقيل باريد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم واسمه أخنوخ وسمى إدريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث وأمه أشوت وكان إدريس أول من خط بالقلم ، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط ، وأول من نظر فى علم النجوم والحساب بعثه الله إلى ولد قابيل ثم رفعه إلى السماء وكان سبب رفعه إلى السماء على ما قاله ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يارب إنى مشيت فى الشمس يوما فتأذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام فى يوم واحد . اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها ، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خفف عنى حر الشمس فما حال الذى قضيت على فيه ، فقال تعالى إن عبدى إدريس سألنى أن أخفف عنك ثقلها وحرها فأجبته إلى ذلك : فقال يارب أجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فأذن الله له فكان إدريس يسأله وكان مما سأله أن قال أخبرت أنك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لى إليه ليؤخر أجلى فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك - لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها - قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسى فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لأحد من بنى آدم فهو فاعله لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم أنه أتى إلى ملك الموت فقال له لى إليك حاجة فقال له أفعل لك كل شىء أستطيعه فقال لى صديق من بنى آدم تشفع بى إليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك إلى ولكن أن

أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فيتقدم فى نفسه قال نعم فنظر ديوانه فأخبره باسمه وقال إنك كلمتنى فى إنسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك؟ قال إنى لأجده يموت عند مطلع الشمس ، قال فإنى أتيتك وتركته هناك فقال له فانطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات والله ما بقى من أجل إدريس شىء فرجع الملك فوجده ميتا . قال وهب كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض جميعهم فى زمانه فتعجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن الله فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره وقال له فى الليلة الثالثة أنى أريد أن أعلم من أنت؟ قال أناملك الموت استأذنت ربى أن أزورك وأصاحبك فأذن لى فى ذلك فقال له إدريس لى إليك حاجة قال وما هى؟ قال اقبض روحى فأوحى الله تعالى إليه أن اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح؟ قال لأذوق كرب الموت وغمه فأكون له أشد استعدادا ثم قال له لى إليك حاجة أخرى قال وما هى؟ قال: ترفعنى إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة فأذن له فى ذلك فلما قرب من النار قال لى إليك حاجة قال وما تريد؟ قال تسأل مالكا يفتح لى أبواب النار حتى أراها ففعل ذلك ثم قال فكما أريتنى النار فأرنى الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج؟ قال لأن الله تعالى قال: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ وقد ذقته وقال تعالى: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا** ﴾ وقد وردتها وقال تعالى: ﴿ **وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ** ﴾ فلست أخرج

فقال الله تعالى لملك الموت دعه فإنه بإذنى دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حى هناك فتارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة ، والله أعلم .

**إدريس** عليه السلام **:**

اسمه (أخنوخ) ويلقب بـ إدريس وكان قريب الخطى إذا مشى ، كثير الفكرة وهو أول من خط بالقلم وبعد ذلك فإن كل من يتعلم القراءة والكتابة يقال له تعلم الإدريسية ، وتسمية الدرس أشتقت من اسمه ، وإدريس من أحفاد مهلائيل وكان أنزههم وعندما بُعث نبيا نزلت عليه ثلاثين صحيفة بالإضافة إلى ما نزل على آدم وشيث ، وقد حدث تطور فى حياة الناس آنذاك فأول من أمر بمحاربة الأعداء نزل على إدريس ، وأول قحط حدث فى زمانه وذلك لانصراف الناس إلى اللهو وتركهم العمل فواجهوا الصعوبات بسبب تركهم طريق الهداية . وقد أمر إدريس الناس بالصيام وذلك لكى يخصص قوتا للفقراء من القوم ولكى تنتظم الأعمال ، وهو أول من أسس المراسلات وعندما رأى توجه الناس إليه أخذ يدعوهم إلى الإيمان جهرا ويحثهم على ترك عبادة النار والأصنام ، فآمنت به ثلة وعصت أخرى وكان العصاة من أتباع قابيل .

وطلب إدريس من الله سبحانه وتعالى بأن يأذن له بمحاربة الضالين والقضاء عليهم وقد فعل ذلك ، وبقى الناس لمدة طويلة يسيرون على الصراط المستقيم وكلما وسوس لهم الشيطان أجابوه بأننا لم نر سوءا من إدريس وكانوا يأتمرون بأوامر إدريس . وذكروا أنه كان لإدريس ثلاثة وعشرين ولدا ماتوا كلهم فى صغرهم عدا الأخير منهم وهو أصغرهم وكان يدعى

(متوشلخ) حيث كان عالما حفظ ما جاء بالصحف الثلاثين التى نزلت على إدريس ، وقد مرض (متوشلخ) فى سن العاشرة فحزن إدريس كثيرا لهذا الأمر وقال له جبرائيل : ادعوا الله لسلامة ولدك .

فسأله إدريس : وكيف أدعوا .

قال جبرائيل : سبح الله سبعمائة ألف مرة وعندها فسوف لا ترد لك دعوة وتستطيع أن تطلب لابنك عمر الخالدين .

قال إدريس : أحب أن يبقى إبنى لهداية الناس لا لشىء آخر وإن الله سبحانه وتعالى لا يترك العباد بدون هاد . وقد طلب إدريس لنفسه عمر الخلود .

لقد سبح إدريس ربه سبعمائة ألف مرة وطلب شفاء ولده وعمر الخلود لنفسه فاستجيب دعاؤه .

وبعد أن وصل ابن إدريس إلى سن الرشد رأى إدريس عزرائيل فقال له : أنا طلبت من الله الخلود فى الدنيا ولكن أحب أن أرى كيفية خروج الروح من البدن؟ فطلب عزرائيل إجازة من الله سبحانه لكى يقبض روح إدريس ، فقبض روحه وأعادها إليه ثانية بأمر الله عز وجل .

بعدها طلب إدريس من عزرائيل أن يريه الجنة والنار ، فأراه النار أولا ثم الجنة ، ولما رأى الجنة قال : ما أحسن هذا المكان الآن وقد اهتدى الناس وأنا ليس لى عمل بعد فى هذه الدنيا حيث سيقوم ابنى بمقامى وقد ذقت غصة الموت وإن الله سبحانه وتعالى قد أذن لمن دخل الجنة بعد الموت بالبقاء فيها .

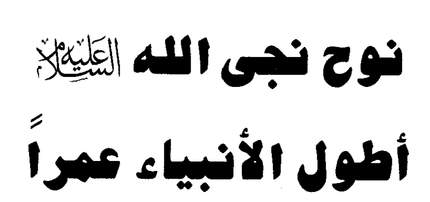
فقال له عزرائيل : لا تستعجل جئنا معا ونعود معا ، فوافق إدريس على كلام عزرائيل ورجع ناسيا عصاه فى الجنة وبعد خروجهما من الجنة

تذكر عصاه التى نسيها تحت شجرة طوبى فاستأذن عزرائيل ليرجع إلى عصاه ، وبعدها لم ير عزرائيل إدريسا فى الدنيا وعلى هذا الأساس فقد قيل بأن إدريس بقى حيا وإن الله سبحانه وتعالى رفعه مكانا عليا .

قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (١) .

* * * * * * * * * *

(١) سورة مريم الآيتان : ٥٦ ، ٥٧ .



# نوح نجى الله عليه السلام
# أطول الأنبياء عمراً

**معجزات نوح:**

١- إجابة دعوته.

٢- نجاته ومن معه فى السفينة من المؤمنين يوم الطوفان...

*************

# نوح نجى الله

لقد قاد ابن إدريس (متوشلخ) الناس لسنين طويلة إلى طريق الهداية وبعد وفاته أخذ الناس يعبدون الأصنام وذلك بتأثير حيل الشيطان ، وانتشر الفساد فى الأرض ، عندها اضطلع نوح وهو من أحفاد إدريس بدعوة الناس إلى التوحيد ولكن الناس لم يعطوا أذنا صاغية لدعوته .

واسم نوح (سكن) ولقبه كما ورد فى الروايات (النجى) وكان يزول مهنة النجارة . وعندما كان يدعو الناس إلى عبادة الله عز وجل والعمل الصالح كان يقول الناس : كيف ينصحنا عامل نجار .

وقد عانى من ضلالة قومه وكان يئن ويبكى حتى سمى نوحا وهو أطول الناس عمرا ، ومن ثباته على الدين كان يتمنى أن يأتيه أمر أو معجزة لكى يصدقه الناس وكانت إرادة الله كذلك وعندما بعث نوح رسولا كان عمره آنذاك أربعمائة وسبعين سنة وكان يبدو شابا ، وبالرغم من بعثته نبيا ونزول الوحى والكتاب لكن الناس لم يصغوا لنصائحه لأنهم كانوا فى ضلال بعيد .

قال تعالى فى محكم كتابه : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١] .

ونوح أول نبى من أولى العزم لأنه بعث إلى الناس كافة ولكن بالرغم من دعوته الطويلة المستمرة للناس فلم يؤمن به إلا القليل منهم ولذا فإن عدد

---

(١) سورة نوح الآيات ١ - ٤ .

الذين آمنوا به خلال مائة وعشرين سنة كانوا لا يتجاوزون الثمانين ، وكان أتباعه يعانون العذاب والألم فى مواجهتهم لأهل الضلالة من القوم . وقد أخرج نوح وأتباعه عدة مرات من المدينة ، ولكنه كان مواظبا بصبر وجلد على نصيحة قومه ويدعو الله لهداية قومه الذين كانوا يصرون فى عنادهم وعدائهم له ، وكلما دعاهم إلى التصديق بنبوته والانقياد لأوامره فإنهم كانوا يضعون أصابعهم فى آذانهم وينفضون من حوله كى لا يسمعوا وعظه ، وأحيانا فإن الناس يأتون بأولادهم ويشيرون إلى نوح بأنه كاذب وساحر فلا تسمعوا كلامه ، وبما أنه ذو عمر طويل فيوصون أولادهم بضرورة إخبار أولادهم عنه . واستمر الأمر على هذا الحال إلى حد إذا أراد شخص أن يسمع كلام نوح ويتأمل به فإن الأعيان المتنفذين فى المجتمع لا يسمحون له بذلك ، وكانوا يفتعلون لنوح وقومه المشاكل كى يعزلوهم عن المجتمع .

قال تعالى فى كتابه المجيد : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ * وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّيَ أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ

**الظَّــالمينَ * قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِــنَ الصَّادِقِينَ ﴾** [١] ووصل الأمر إلى حد نفذ معه صبر نوح ويئس من هداية قومه مع كل ما كان يتصف به من الصبر والتحمل والمقاومة . وأخذ يشتكى إلى الله مما لاقاه من قومه وقال : إلهى إننى سعيت مئات السنين ولم أجزع بالرغم من الصعوبات التى واجهتنى ولم أبخل فى هدايتهم ولكنهم لم يهتدوا إلى الطريق المستقيم .

اللهم لا تبق من الضالين على الأرض . فأخبره جبرائيل بأن دعاءك مستجاب وعليك بالصبر والجلد لمدة أخرى .

قال تعالى فى كتابه العزيز : **﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَــارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّــهُ كَــانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾** [٢] .

إلى أن يقول : **﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾** [٣] .

وقال تعالى أيضا فى كتابه الكريم : **﴿ وَقَــالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِــنَ الْكَافِــرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ**

(١) سورة هود الآيات : ٢٥ - ٣١ .
(٢) سورة نوح ، الآيات : ٥ - ١٢ .
(٣) سورة نوح ، الآيتان : ٢١ ، ٢٢ .

**فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾** (١) .

لقد تعرضت لقصة نوح ثمانية وعشرون سورة من سور القرآن الكريم فى ثلاثة وأربعين موضعا ، وذكرت قصة نوح مفصلا فى ستة سور منها : الأعراف ، هود ، المؤمنون ، الشعراء ، القمر وسورة نوح فكان فيها الشرح الوافى لأحوال نوح إليه السلام وهى متفقة المضمون فى الجملة وإن تفاوتت فى اللفظ وتغايرت بسبب سبك الكلام وصياغته . فبعض تلك الآيات الكريمة تعطينا صورة خاصة من البيان فى أحوال شيخ المرسلين وما تعرض له مع قومه ، أن نوحا حينما بُعث رسولا إلى قومه وظهرت على يده المعجزات وظهرت كراماته وبزغ نور النبوة وشع فجر الرسالة وشمسها اتبعه ممن هداه الله إلى دينه بعد أن كانوا على عبادة الأصنام عاكفين وامتنع الأكثر وكذبوه واحتقروه ومن اتبعه واستغربوا جدا أن يبعث رجل منهم هو أقلهم مالا ورجالا ودونهم صيتا ، ويرون أنه لم يميز عنهم بحسب ولا نسب ولا علم ولا كرم بل هو منهم ومثلهم فى ذلك ، بل يرون أنهم هو الأولى والأمثل لمثل هذا لأنهم الرؤساء وأهل الثراء (٢) .

وجاءه جبرائيل بأقلام من شجرة الساج وقال له اشتل هذه الأشجار وإذا ما كبرت هذه الأشجار فسيأتى الفرج فإن الأمور لا تجرى إلا بأسبابها ، وبالصبر تحل كل المصاعب . وعلم نوح بأن يجب عليه الصبر أربعين سنة لأن شجرة الساج تحتاج إلى أربعين سنة لتكبر ، وبعد غرس الأشجار أخذ يخبر

---

(١) سورة نوح ، الآيات : ٢٦ - ٢٨ .

(٢) الأنبياء حياتهم قصصهم - عبد الصاحب الحسنى العاملى .

الضالين من قومه بقرب نزول العذاب عليهم . وأخذوا يجادلونه ويقولون له : إنك تريد الرئاسة علينا ونحن لا نرضاك رئيسا ، والآن جئت تخوفنا بالعذاب ، إذا كنت صادقا فيما تقول ، فافعل ما أنت فاعل لقد ملئت آذاننا من هذا الكلام . واستمر نوح بوعظ قومه وإرسال أتباعه إلى كافة أنحاء البلاد ليبلغوا رسالته . وكان قومه يستهزئون به كثيرا والأعيان منهم يصفونه بالجنون ويوصون بعدم سمع وعظه .

ولما كبرت الأشجار هبط جبرائيل وقال له : اقطع هذه الأشجار واصنع منها سفينة . فقال له نوح : وكيف تكون السفينة؟ قال له جبرائيل : هيء الألواح حتى أعلمك كيف تصنعها ، وامتثل نوح إلى الأمر وصنع سفينة ذات سبع طوابق طولها ١٠٠٠ ذراع وعرضها أربعمائة ذراع ، وكان كلما مر عليه قومه ويسألونه ماذا تصنع فيقول لهم أصنع سفينة النجاة . وسوف يرسل الله طوفانا يُغرق فيه المعاندين وينجى الصالحين فكانوا يضحكون ويستهزئون منه ويقولون من أين يأتى الماء الكثير لهذه الصحراء القاحلة ، فيجيبهم انتظروا فسوف يأتى اليوم الذى نسخر فيه منكم .

قال تعالى فى كتابه العزيز: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (١) .

---

(١) سورة هود ، الآيات: ٣٦ - ٣٩ .

ورد فى بعض الروايات ما مضمونه : إنه لما أظهر الله سبحانه وتعالى نبوة نوح عليه السلام وأيقن شيعته بالفرج وغلبة أمره ونصرته على أعدائه الكفرة الملحدين ، وكان كلما دعاهم نوح إلى دين الحق والعمل فيه وعبادة الحق تعالى ثاروا عليه وتوجهوا نحوه بالأذى والإضرار به وبقومه وذلك ضمن مدة ثلاثمائة سنة من مبعثه وهو فى خلال ذلك طيلة هذه المدة يدعوهم ليلا ونهارا فينفرون منه ثم يدعوهم سرا فلا يجيبون ، ويدعوهم علانية فيعرضون كبرا وعتوا ولا يكترثون به وبدعوته ، فهم بعد مضى هذه المدة بالدعاء عليهم بالهلاك والدمار ، هبط عليه ملائكة من الله يأمرونه بتأجيل الدعاء عليهم والصبر والتحمل اتماما للحجة ، ثم استأنف العمل معهم والدعاء لهم إلى طاعة الله تعالى وأخذ فى ترغيبهم ونصحهم وإرشادهم إلى مثل ما كان معهم أولا إلى مدة ثلاثمائة سنة أخرى ، حتى إذا انقضت هذه المدة ويئس من إيمانهم توجه للدعاء عليهم بالهلاك ، وإذا بوفد من الملائكة نزلت عليه من قبل الله تعالى تأمره فلم ينفع معهم شىء وقد نفذ صبر شيعته ومواليه فصاروا إليه وشكوا ما هم فيه وما نالهم من عامة الناس والطواغيت ، ثم سألوه الفرج والدعاء بالفرج فأجابهم إلى ذلك ثم توجه إلى الصلاة والدعاء عليهم فهبط عليه جبرائيل عليه السلام من قبل الله تعالى وقال له إن الله تبارك وتعالى قد أجاب دعوتك فى قومه ولكن قبل تنجيز الأمر فيهم يريد الله منك أن تأمر مواليك وشيعتك والتابعين لك أن تغرسوا نوى التمر فإذا كبر فرج الله عنهم ثم عرفهم كيف يصنعون فاستبشروا عندما علموا أن الفرج قريب .

وكان سبب التأخير هو التمحيص والتصفية وإخراج أهل النفاق أو أهل الإيمان المستودع .

وعن الرسول الأعظم ﷺ وآله قال: «**إنه لما أراد الله أن يهلك قوم نوح** عليه السلام **أوحى إليه أن يشق ألواح الساج وهو شجر عظيم جدا لا ينبت إلا ببلاد الهند وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه كما فى أقرب الموارد ، فلما شقها لم يدر ما يصنع بها فهبط عليه الأمين جبرائيل** عليه السلام **فأراه هيئة السفينة ومعه تابوت فيه مائة وتسعة وعشرون ألف مسمار فسمر المسامير كلها فكانت قدر الحاجة للسفينة ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى جبرائيل** عليه السلام **أن يعلم نوحا كيف يصنعها ، فقال نوح يا رب من الذى يعملها ويصنعها ويعيننى على إتمامها واتخاذها فأوحى الله تعالى إليه أن ينادى فى قومه وعامة الناس وأهل العمل ويدعوهم إلى العمل ويبالغ فى أجورهم وإكرامهم ، فنادى نوح فى قومه وأعلمهم أنه من اشتغل معى بنصح وأمانة حسب ما آمره فله الجزاء الجزيل والأجر البالغ الكثير فأجابوا وباشروا فى العمل كل فرد حسب حاله ومهنته ومهارته وحرفته فأعانوه على صنعها وكانوا يسخرون منه ويقولون يتخذ سفينة فى البر**»[1] .

وعندما اكتمل بناء السفينة أتم نوح الحجة على قومه وقال لهم: كل من يؤمن بالله يلتحق بنا قبل فوات الأوان فإن الله لا زال يقبل توبتكم وإذا ما جاء الطوفان فلا ينجو منه إلا المؤمنون ، ومع ذلك كانوا يستهزئون به .

وعندها جاء الأمر الإلهى إلى نوح إنه سوف نهلك الكافرين ولم يبق منهم أحد إلا من يتوب من عبادة الأصنام ويؤمن بالله الواحد الأحد . فأدخل فى السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وفى يوم كانت فيه امرأة نوح تخبز الخبز فإذا بها ترى الماء ينبع من التنور فأخبرت نوحا بذلك فقال عليه السلام : إن

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى .

وعد الله حق . وبدأ الطوفان ودعا نوح الناس للإيمان وللمرة الأخيرة ولكنهم لم يستجيبوا دعوته وقالوا : إننا لا نخاف من الماء ، واستمر المطر من السماء وانفجرت العيون من الأرض أربعين يوما بأيامها ولياليها وغُمرت الأرض بالماء ، واستقر نوح ومعه ثمانين من الذين آمنوا معه من رجال ونساء ، وارتفعت السفينة على الأرض ونصحهم بأن يتوبوا فما زال باب التوبة مفتوح وقال لهم : أرأيتم كيف نزل العذاب؟ فقالوا : إن الجبال عالية ونلجأ إلى قممها ولا نتحمل منة نجار ولا نتراجع عن معتقداتنا . وكان ابن نوح من الكافرين وكلما نصحه نوح فلم يفد فيه النصح وكان يجيب أباه : إننا شباب وسنلجأ إلى قمة الجبل .

فقال له نوح : لا ينجو إلا من ركب معنا فى السفينة ، ولكن ابنه لم يسمع كلامه وفى الأثناء ارتفع الموج وأصبح حائلا بينه وبين ابنه ، ورق قلب نوح على ابنه وخاطب ربه : رب إن ابنى من أهلى .

فأجابه تعالى : ﴿ **يَـا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ .

وغمرت المياه اليابسة وطفت السفينة على الماء وغرق كل من فى الأرض من مخلوقات من بنى آدم وحيوانات ووصل الماء إلى أربعين ذراعا فوق قمم أعلى الجبال وبقيت سفينة نوح طافية على الماء ستة أشهر ، وكان لا يرى إلا الماء يغمر الأرض وقويت قلوب المؤمنين بالله عندما تجلت لهم عظمته فكانوا يحمدون الله على هذه العظمة ، ولما انقضى الأمر انقطع المطر وابتلعت الأرض مياهها واستقرت سفينة نوح على جبل الجودى .

قال تعالى فى كتابه العزيز: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ * وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ * قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) وبعد مدة عاد الناس ثانية ينتشرون على الأرض وتطهرت الأرض من الضلالة والكفر وبدأ الناس يتناسلون إلى أن ازداد عددهم بعدها التقى نوح بإبليس وكان إبليس ضاحكا ومسرورا .

فقال نوح لإبليس: لماذا تضحك . فأجابه: أنا أضحك من عملك كيف أغرقت هؤلاء الكفرة وذهبوا إلى نار جهنم ليكونوا من أنصارى واغتم نوح من كلامه ودعا عليه باللعنة ، فقال إبليس: وهل يوجد أكثر من اللعنة فإنى ملعون والآن وقد أصبح عملى قليل ولا أخشى على أحد من التوبة فأنا

---

(١) سورة هود ، الآيات: ٤٠ - ٤٨ .

مستعد أن أجيبك إجابة صحيحة على سؤال تسألنى إياه ، فسأله نوح : إذا كنت صادقا فقل لى أى الصفات تجعل الناس جهنميين أكثر من غيرها .

**فأجابه الشيطان : أربعة أشياء :**

**الأولى :** الحسد ، فإنى عبدت الله سبعين ألف سنة ولكن الحسد منعنى من أن أسجد لآدم وذهب أجرى أدراج الرياح .

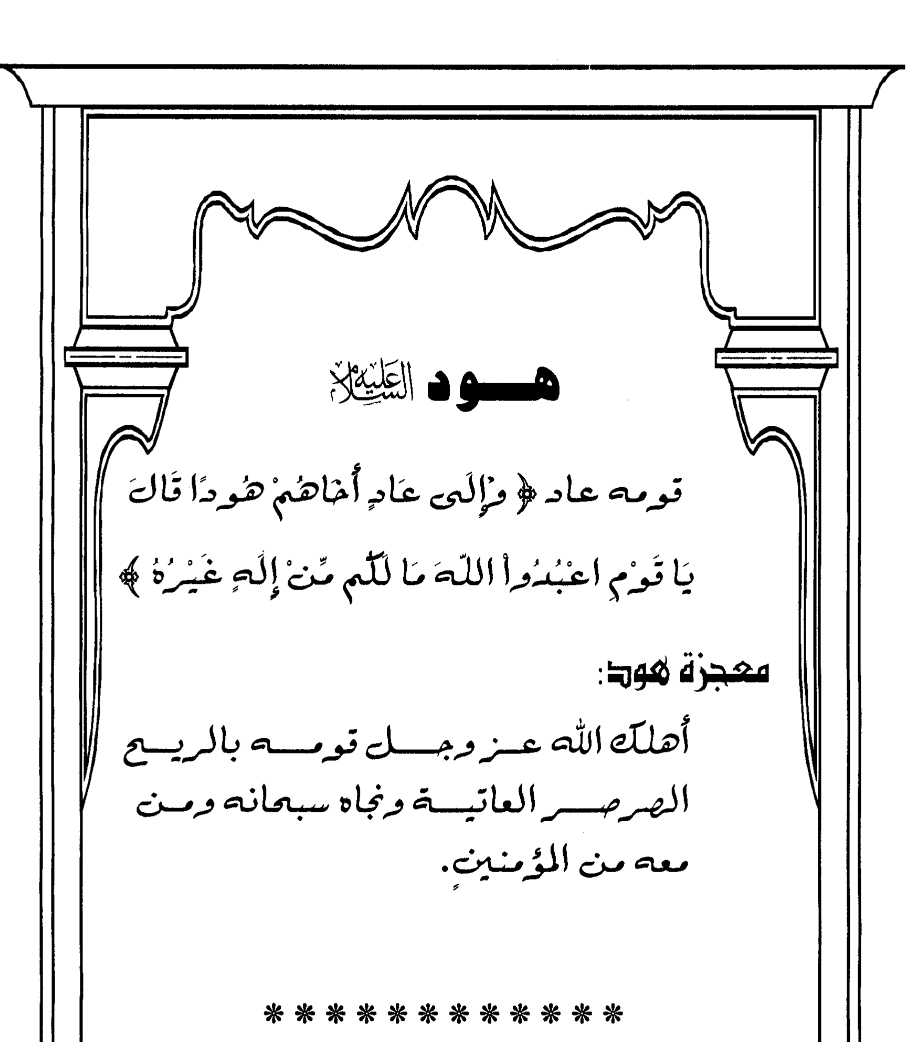
**الثانية :** الكبر - فعندما سألنى الله لماذا لم تسجد لآدم ، قلت له : أنا أفضل منه ، وهذا ناشئ من الكبر وحقت على لعنة الله ولعله لو انتحلت عذرا آخر فإن باب العفو لا يسد بوجهى .

**الثالثة :** الحرص ، فإن آدم حرص على أن يأكل من الشجرة ولو لم يفعل ذلك لبقى فى الجنة وكان آدم يأكل من كافة نعم الجنة ولكنه من حرصه لم يمتنع من الأكل من الشجرة الممنوعة فأوقع نفسه وأبناؤه فى العذاب .

**الرابعة :** الركون إلى عبادة الجمال بدل الإحسان ، فقد نسى قابيل الإحسان وفى سبيل الحصول على الجمال وضع أساس الضلالة فى الدنيا .

وقد عمر نوح تسعمائة وخمسين سنة ، وقال البعض : إن نوحا توفى بعد أربعين سنة من الطوفان .

* * * * * * * * *



## هـــود عليه السلام

قومه عاد ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾

**معجزة هود:**

أهلك الله عز وجل قومه بالريح الصرصر العاتية ونجاه سبحانه ومن معه من المؤمنين.

*************

# هـــود عليه السلام

وهو حفيد سام بن نوح ومن نبوة نوح إلى نبوة هود لم يبعث الله أنبياء ، وقد أرسل هود ليدعو قوم عاد إلى عبادة الواحد الحق حيث كانوا يعبدون الأصنام .

قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ** ﴾ (١)

وكان زعيمهم يدعى عاد وهو رجل قوى وقومه مرفهين منعمين يعيشون بعيدا عن الأقوام الأخرى ، وقد جاءهم الشيطان يوما ليسألهم : ماذا تعبدون؟

قالوا : لقد سمعنا بأن نوحا كان نبيا عظيما ودينه دين الحق .

قال الشيطان : إن العظمة والصغر ليست مقياسا ، العظيم من عرف الحق ، المهم إن الناس عندما استهانوا بعبادة الأصنام استحقوا الطوفان ، وإذا كنتم تطلبون السعادة فيجب أن تعبدوا أصنام سفينة نوح ، فأخرج لهم من بين الرسوبات الطينية لطوفان نوح أصناما حجرية وقال لهم : إن هؤلاء عندما كانوا محترمين لم يأت الطوفان فلما استهانوا بهم جاء الطوفان ودمر كل شىء ولكن هذه الأصنام بقيت سالمة ، وكان نوح قد اتخذ صنما كبيرا وضعه فى السفينة وكان يدعو الناس إلى عبادة الله ولو كانت هذه الأصنام محترمة لما جاء الطوفان . فخاف عاد وقومه من كلام الشيطان ولجأوا إلى عبادة الأصنام خشية وقوع طوفان آخر وكانوا منقطعين عن الأقوام الأخرى . أما هود فقد كان يعيش بين هؤلاء ويتألم من انحرافهم وضلالتهم ولما انتشر الفساد بعثه الله

---

(١) سورة هود ، الآية : ٥٠ .

لهدايتهم . ولما أعلن هود دعوته لم يستجب له قوم عاد وقالوا له : إنا لا نراك إلا شخصا صالحا ونحن نخاف من الطوفان ولا نستطيع ترك آلهتنا .

فقال لهم هود : لقد أضلكم الشيطان وإن الله سبحانه إنما جاء بالطوفان لكى يجتث جذور عبادة الأصنام .

قالوا : إن هذه الأصنام أفضل لنا لأنها لا تأتى بالطوفان وأنت جعلت من عبادة الله حجة تطلب بها الرئاسة علينا . قال هود : أنا رسول الله إليكم ولا أطلب منكم شيئا وأريد أن تنهجوا طريق العدالة والصلاح لتسعدوا فى حياتكم .

قالوا له : إنك منا ونحن نكن لك الحب والاحترام لو تركت هذا الكلام وعشت كواحد مثلنا .

قال لهم هود : أتعجبون أن يبعث الله نبيا من بينكم يهديكم إلى الطريق المستقيم ويريد أن تكونوا خلفاء عباد الله بعد نوح وأتباعه وتكونوا أفضل الناس .

قالوا له : إن أى شخص يستطيع أن يدعى ادعاءك هذا ، وإلى الآن لم ير أحد منا إلهك وإذا كنت صادقا فأتنا بدليل على ادعائك وإذا استمر إصرارك على هذا الكلام فسوف نخرجك من بيننا نحن الآن نعمل ما نريد وأنت تقيدنا فى أوامرك ونواهيك وتمنعنا من لذائذ العيش فى حين أن الأصنام لا يفعلون ذلك .

قال تعالى يصور حال قوم هود : ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ

* قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (١)

وعندما يئس هود من هداية قومه لما رآهم قد اتبعوا أهواءهم ولا يسمعون قول الحق ولا ينتهون من فعل الباطل قال لهم: إذا أصررتم على الضلالة فإنكم لا تضرون الله شيئا وسوف يستبدلكم بأحسن منكم . ودعا هود ربه فأرسل عليهم ريحا شديدة البرد وأهلك الكافرين من القوم ونجا هو وبعض من آمن وقطع دابر الفساد فى الأرض .

قال تعالى فى كتابه الكريم يصف هذا الحادث: ﴿ وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (٢) .

وتوفى هود عليه السلام بعد مرور سبع وعشرين سنة على هلاك قومه . واستمر إبليس فى غوايته للناس وعندما رأى أن قوم ثمود أكثر استعدادا للغواية من الأقوام الأخرى ذهب فى أوساطهم وصنع لهم صنما وحفر تحته

(١) سورة هود الآيات: ٥٢ - ٥٧ .
(٢) سورة هود الآيات: ٥٨ - ٦٠ .

نفقا وكان يدخل تحت الصنم ويتكلم مع الناس فيأمر وينهى ويقول لهم ما يخيفهم أو يبعث فى نفوسهم الرجاء والأمل ، وشيئا فشيئا شغف حب الصنم الحجرى قلوبهم وقالوا : عجبا حجر يتكلم إن هذا يعنى شيئا . فصنعوا أصناما على غرار ذلك الصنم الكبير وانتحل صفة إله الآلهة فأخذ يجيبهم على أسئلتهم التى كانوا يسألونها ، فنحتوا أصناما فى بيوتهم واعتبروها ممثلة الصنم الكبير إله الآلهة .

جاء فى تفسير على بن إبراهيم : إن عادا كانت بلادهم فى البادية وكان لهم زرع ونخل كثير وكانت لهم أعمار طويلة وأجسام طويلة فعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم هودا يدعوهم إلى الإسلام فأبوا ولم يؤمنوا بهود وآذوه فكفت السماء عنهم سبع سنين حتى قحطوا وكان هود مزارعا وكان يسقى الأرض فجاء قوم إلى بابه يريدونه فخرجت إليهم امرأة شمطاء عوراء فقالت لهم : من أنتم وماذا تريدون؟ فقالوا لها : نحن من بلاد كذا وكذا جدبت بلادنا وقحطنا فجئنا إلى هود نسأله أن يدعو الله تعالى حتى تمطر وتخصب بلادنا . فقالت لهم : لو استجيب لهود لدعا لنفسه هذه بلاده أجدبت وزرعه احترق لقلة الماء فقالوا لها : فأين هو؟ قالت : هو فى موضع كذا وكذا فقصدوا إليه وشكوا له حالهم وقالوا له : يا نبى الله إن بلادنا قد أجدبت وجئنا لتدعوا لنا الله وتسأله أن يمطر على بلادنا فلما سمع منهم وعرف حاجتهم قام فصلى ودعا الله تعالى لهم ، ثم قال لهم : ارجعوا إلى بلادكم فقد أمطرتم ، فقالوا له ما صادفوه ولاقوه من تلك المرأة فى بيته فقالوا : يا نبى الله رأينا فى بيتك عجبا امرأة شمطاء عوراء وحكوا له ما جرى لهم معها وجوابها لهم فقال عليه السلام : هى امرأتى وأنا أدعوا الله لها بطول البقاء . فقالوا : وكيف ذلك فقال

لهم: لأن الله ما خلق مؤمنا إلا وله عدو يؤذيه وهى عدوى فلأن يكون عدوى ممن أملكه خير من أن يكون عدوى ممن يملكنى .

فبقى هود عليه السلام فى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وينهاهم عن عبادة الأوثان كى يسعدوا فى الدنيا والآخرة فتخصب بلادهم وتكثر أرزاقهم ويفوزوا بنعيم الآخرة ، وهو قوله تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ * قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] فلما لم يؤمنوا أرسل الله عليهم الريح الصرصر وهى الشديدة البرد وهو قوله تعالى فى سورة القمر: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ [2] وفى سورة الحاقة: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [3] فحسوم أى متتابعة وكانت أول الثمانية أيام أربعاء وآخرها وهو النحس المستمر [4] .

ولقد بلغ الانحراف بقوم عاد أن أشركوا بالله وعبدوا الأصنام فكانوا بذلك أول من عبد الأصنام بعد الطوفان فأرسل الله لهم هود عليه السلام وأخذ هود عليه السلام يبشر بالتوحيد شأنه شأن الأنبياء جميعا وكان موقف السادة الكبراء أو على حد تعبير القرآن الكريم كان موقف الملأ الذى كفروا من قومه العداوة

---

(١) سورة هود: الآية: ٥٢ .
(٢) سورة القمر: الآيتان: ١٨ ، ١٩ .
(٣) سورة الحاقة: الآيتان: ٦ ، ٧ .
(٤) الأنبياء حياتهم وقصصهم - عبد الصاحب الحسنى العاملى .

والبغضاء والرمى بالسفاهة والكذب وفشوا فى الأرض وكثروا وقهروا أهلها بفضل قواهم التى آتاهم الله تعالى وقد أعطاهم الله من القوة والقامة ما لم يعط غيرهم كما قال الله تعالى: ﴿وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ أى عظما وطولا وقوة وشدة.

ولم ييأس هود عليه السلام منهم وإنما أخذ يذكرهم بنعم الله الظاهرة والباطنة التى يتقلبون فيها والتى تستوجب منهم الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى.

ثم هددهم هود بالقانون الإلهى الثابت وهو أنهم إذا أعرضوا ورفضوا واستكبروا فإن عقاب الله سبحانه وتعالى نازل بهم وتلك سنة الله فى خلقه.

ومع هذا التهديد من هود عليه السلام لهم فلم يستجيبوا لتهديده واستمروا يتابعون أهوائهم فيبنون على الروابى والمرتفعات قصورا هى آيات فى الفن.

وظلوا سادرين فى غيهم لا يستجيبون لنداء الحق ولا يرجعون عن الباطل. بل تمادوا فى باطلهم وعنادهم وسخروا من هود عليه السلام ومن اتبعه وأعلنوها صريحة: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (١).

وطلبوا من هود عليه السلام أن يعجل لهم العذاب الذى وعدهم به بعد هذا التحدى منهم لم يبق لهود عليه السلام إلا قبول التحدى. لم يبق إلا التوجه إلى الله وحده. لم يبق أمامه إلا إنذار أخير ينطوى على وعيد للمكذبين وتهديد.

وهكذا فقد توكل على الله والله هو القوى بحق وهو الآخذ بناصية كل دابة فى الأرض سواء الدواب من الناس أو دواب الوحوش أو الحيوان لا

---

(١) من الآية رقم (٣٧) من سورة المؤمنون.

شيء يعجز الله سبحانه وتعالى .

وهو في حديثه لهم يفهمهم أنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة التي أرسل لهم بها وما داموا على هذا العناد والاستكبار فسوف يستخلف الله قوما غيرهم سوف يستبدل بهم قوما آخرين وهذا معناه أن ينتظروا العذاب الذي سيقع بهم من عند الله وهذا قانون من قوانين الحياة يعذب الله الذين كفروا برسله وكذبوهم وسخروا منهم مهما يكونوا أقوياء أو أغنياء أو جبابرة أو عمالقة . فانتظر هود عليه السلام وانتظر قومه وعد الله .

## معجزة هود عليه السلام ونجاته من الريح العقيم التي أهلكت قومه :

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

وقد ذكر الله تعالى خبر إهلاكهم في غير ما آية من القرآن الكريم وأما تفصيل إهلاكهم فلما قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ كان هذا أول ما ابتدأهم العذاب أنهم كانوا محلين سنتين فطلبوا السقيا فرأوا

عارضا في السماء وظنوه سقيا رحمة فإذا سقيا عذاب ولهذا قال الله تعالى: ﴿ ... بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ... ﴾ أى من نوع العذاب وهو قولهم: ﴿ ...فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وقد ذكر المفسرون وغيرهم الخبر الذى ذكره الإمام محمد بن إسحاق بن بشار قال: فلما أبو إلا الكفر حبس الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا فبعثوا إلى مكة وفدا يستسقى لهم . وكانوا سبعين رجلا منهم قيل ونعيم وجُلهمة ولقمان بن عاد ومرثد بن سعد وكان مرثد مؤمنا يكتم إيمانه وكان الناس مؤمنهم وكافرهم إذا جهدوا سألوا الله تعالى عند الكعبة فنزلوا على بكر بن معاوية وكان خارجا من الحرم فأكرمهم وكانوا أصهاره وأخواله وكان سكان مكة العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح فجعل بكر يسقيهم الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية فلما رأى بكر طول مقامهم عنده قال: هلك أخوالى وأصهارى هؤلاء ضيفى فما أدرى ما أصنع وأستحى أن آمرهم بالخروج فشكا ذلك إلى قنيتيه الجرادتين فقالتا: قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال:

**ألا يا قيل ويحك قم فيهم ::: لعل الله يمنحنا غما ما**
**فتسقى أرض عاد إن عادا ::: قد أمسوا لا يبينون الكلاما**
**من العطش الشديد فليس نرجو ::: به الشيخ الكبير ولا الغلاما**
**وقد كانت نساؤهم بخير ::: وقد أمست نساؤهم عيامى [1]**
**وإن الوحش تأتيهم نهارا ::: ولا تخشى لعادى سهاما**
**وأنتم هاهنا فيما اشتهيتم ::: نهاركم وليلكم التماما**

---

(١) وهى العطشى .

**فقبح وفدكم مــن وفــد قوم ::: ولا لُقــوا التحيــة والسلامــا**

فلما: سمعوا هذا قالوا: ويحكم أدخلوا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد: إنكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم سقيتم فقال جلهمة: احبسوا عنا هذا ولا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود ثم خرجوا يستسقون فنشأت ثلاث سحائب: بيضاء، وحمراء، وسوداء ثم نودى منها يا قيل اختبر فقال: أختار السوداء لأنها أكثر ماء وقيل للوفد اختاروا فقال مرثد: يارب أعطنى صدق وبرا فأعطى وقال لقمان بن عاد أعطنى عمراً فأعطاه. وأما السحابة فساقها الله، فقال إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له مغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا: ﴿ **هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا** ﴾. فكان أول من رأى ما فيها امرأة منهم فصاحت وصعقت فقيل لها: ما رأيت؟ فقالت: ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودنها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى متتابعة ابتدأت غدوة الأربعاء آخر أربعاء فى الشهرة وسكنت فى اليوم الثامن.

واعتزل هود عليه السلام ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصيبهم منها إلا ما يلين الجلود وتلتذ عليه النفوس فكان الريح تقلع الشجر وتهدم البيوت وترفع الرجال والنساء بين السماء والأرض فتدق رقابهم فيبين الرأس عن الجسد فذلك معنى قول الله تعالى: ﴿ ...**كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** ﴾ [1] ثم تدفعهم بالحجارة قال عمر بن ميمون: كانت الريح تحمل الظعينة [2].

روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال: أول من عرفوا أنه عاب رأوا ما

---

(١) من الآية رقم (٧) من سورة الحاقة.

(٢) المرأة فى الهودج ثم قيل للمرأة وهى فى بيتها ظعينة.

كان خارجا من رحالهم ومواشيهم يطير بين السماء والأرض مثل الريش فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح ففتحت أبوابهم وهالت عليهم بالرمل فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم قبضت أرواحهم وطرحتهم الريح وألقوا في البحر ﴿ ...**فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ...** ﴾(١) .

وقال مقاتل: بعث الله طيرا أسود فالتقطهم حتى ألقاهم في البحر (٢) .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: أوحى الله تعالى إلى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم فخرجت بلا كيل ولا وزن على قدر منخر ثور حتى رجفت الأرض مما يلي المشرق والمغرب قال فقال الحزان: يا رب لن يطيقوها ولو خرجت على حالها لأهلكت بين مشارق الأرض ومغاربها فأوحى الله تعالى إليها: أن ارجعي فاخرجي على قدر خرقة الخاتم وهي الحلقة قال: فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي دائمة متتابعة فلم تدع أحد من عاد إلا أهلكته وكان هود عليه السلام ومن معه قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما تلتذ به الأنفس وأنها من عاد لطعن لهم وهلاك فتحملهم ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا .

قال ابن بشار: لما خرجت الريح على عاد من الوادي قال تسعة رهط منهم . أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادي فنردها فجعلت الريح تدخل الواحد منهم فتحمله ثم ترمي به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم

---

(١) من الآية رقم (٢٥) من سورة الأحقاف .

(٢) التبصرة: لابن الجوزي ، تحقيق د/ مصطفى عبدالواحد ، ط الحلبي .

عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى: ﴿ ... **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** ﴾ (١) .

لم يعد باقيا من قوم هود إلا ما يبقى من النخيل الميت مجرد غلاف خارجى لا تكاد تضع يدك عليه حتى يتطاير ذرات فى الهواء ونجا هود عليه السلام هو ومن آمن معه وهلك الجبابرة ونزل الستار على قوم هود .

عن عطاء بن أبى رباح عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: «**اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به**» قلت: وإذا عببت(٢) السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سرى عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال: «**لعله يا عائشة كما قال قوم عاد**» ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا** ﴾ (٣) . وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب أنه ذكر صفة قبر هود عليه السلام فى بلاد اليمن وذكر آخرون أنه بدمشق وبجامعها مكان فى حائطه القبلى يزعم بعض الناس أنه قبر هود عليه السلام .

* * * * * * * * * *

---

(١) من الآية رقم (٧) من سورة الحاقة .
(٢) أى أصابهم غيم .
(٣) رواه الترمذى وابن ماجه .

# صالح 

قومه ثمود: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾

**معجزة صالح:**

الناقة ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾.

************

# صالح عليه السلام

صالح عليه السلام من قوم ثمود وإلى أن بعثه الله نبيا لم يبعث نبى بعد هود وكان يشكو إلى ربه ضلالة قومه ويقول:

إن الفساد والضلال مثل الوباء والطاعون ينتقل كل يوم بالعدوى إلى مجموعة من الناس ، فكان همه نصيحة الناس ووعظهم إلى أن بعثه الله نبيا .

ولأنه كان يعلم بقدرته على إبلاغ رسالات الله جاء إلى قوم ثمود وأخذ يدعوهم جهرا للإيمان بالله .

فقال له قوم ثمود: ماذا تدعى أنت ، إن لدينا صنما يتكلم فهل تستطيع أنت أن تجعل الحجر يتكلم ، إذا كنت صادقا فأتى بمعجزة أكبر من هذه ، هل تستطيع إحياء الحجر .

قال لهم صالح: إن الله الواحد الذى لا مثيل له بقادر على كل شيء وإذا شاء الله فإنى أستطيع أن أجعل من الحجر والخشب كائنا ذا روح .

قالوا له: إذا كنت تستطيع فأخرج لنا من هذا الجبل ناقة بحيث يمكننا أن نشرب منها لبنا ، وإذا ما تمكنت من هذا الأمر فسنعلم أنك تمثل شيئا .

فقال لهم صالح: بشرط أن تؤمنوا بالله وتكسروا الأوثان والتماثيل ولا تؤذوا الناقة أو تقتلوها وإذ نكثتم عهدكم فاستعدوا لوقوع العذاب .

فوافقوا على ذلك ظنا منهم أن صالحا لا يستطيع أن يأتى بهذه المعجزة .

ولكن بإرادة الله ودعاء صالح خرجت الناقة من الجبل وانقسم قومه إلى طائفتين حيث آمنت به ثلة قليلة وأصر القسم الكبير منهم على عنادهم

وقالوا: إن صالحا ساحر وإن الناقة ليست حقيقية بل هى جن . وعندما تجلت معجزة صالح للعيان خاف ثمود وكان سيد قومه على ضياع رئاسته فأخذ يحذر الناس من صالح ويقول لهم: إن هذا الرجل يخدعكم وسوف ترون ماذا سيحل بكم ، حيث ستشرب الناقة كل ما ينبع من ماء فتجف البساتين والمزارع .

قال تعالى فى كتابه المجيد: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ * قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ * وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ (١) .

فى الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام ما مضمونه: أن صالحا بعث إلى قومه وهو ابن ست عشرة سنة فلبث فيهم حتى بلغ مائة وعشرين سنة لا يجيبونه إلى خير ، وكان لهم سبعون صناما يعبدونها من دون الله فلما رأى ذلك منهم قال لهم: يا قوم إنى بعثت إليكم وأنا ابن ستة عشرة سنة وقد بلغت عشرين ومائة سنة وأنا أعرض عليكم أحد أمرين إن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابتنى بالذى أسألها خرجت عنكم فقد سئمتكم وسئمتمونى ، فقالوا له: يا صالح سل من شئت منهم . فقال لكبيرهم بإسمه: يا فلان أجبنى ، فلم يجبه ، فقال صالح:

---

(١) سورة هود ، الآيات: ٦١ - ٦٤ .

ما له لا يجيبنى؟ فقالوا له: سل غيره فأقبل على أصنامهم يسألها واحدا بعد واحد فلم تجبه فقال لهم: يا قوم قد ذهب النهار ولا أرى آلهتكم تجيبنى فاسألونى حتى أدعوا إلهى فيجيبكم الساعة فانتدب له منهم سبعون رجلا من كبارهم وهم وجوه القوم وقالوا له: إن أجابنا ربك فلا يخالف من قومنا أحد ثم مضوا معه إلى جبل فى قربهم حسب طلبهم فلما انتهوا إليه قالوا: يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا من هذا الجبل الساعة ناقة حمراء شقراء وبراء عشراء (أى شديدة الحمرة والوبر والعشراء التى عليها الحمل عشرة أشهر) فقال لهم صالح: لقد سألتمونى شيئا يعظم علىّ ويهون على ربى سبحانه وتعالى ثم إنه بمجرد ما سأل صالح ربه عظمت آلاؤه انصدع الجبل صدعا كادت أن تطير منه عقولهم عند سماع انشقاقه وانفلاقه ثم اضطرب الجبل وارتعش ارتعاشا شديدا كالمرأة إذا أخذها المخاض والطلق عند الولادة ثم ظهر رأسها من ذلك الصدع وأخذت تخرج حتى استوت قائمة على الأرض فلما رأوا ذلك قالوا له يا صالح ما أسرع ما أجابك ربك ادع لنا ربك أن يخرج لنا فصيلها فسأل الله ذلك فرمت به من بطنها فدب حولها ، فقال لهم: يا قوم أبقى شىء؟ فقالوا: لا . ثم إنهم انطلقوا معه إلى قومهم والناقة وفصيلها معهم فقبل وصولهم إليهم ارتد منهم خمسة وستون رجلا وبقى ثابتا منهم خمسة أشخاص وقال جمهورهم إن هذا لسحر ولا حقيقة له [1] .

وأثار ثمود العداوة بين صالح وبين من يحيط به من قومه ، فجاؤوا إلى صالح وقالوا له: أيصح أن تشرب الناقة مياهنا ويبقى الناس عطاشى؟

فقرر صالح أن يسقى الناقة بأقل مما كانت تشربه ، ولكنهم لم يقتنعوا بذلك

---

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم - عبدالصاحب الحسنى العاملى .

وأخذوا يصطنعون الحجج ، وكانوا يتلقون التعليمات من الصنم الحجرى الذى يدخل فيه إبليس ويتكلم من خلاله حيث كان يقول بأن صالحا ساحر .

وأما صالح فإنه كشف لهم قصة الصنم كان يتكلم من خلاله إبليس حيث أراهم النفق وكيف إن إبليس هو الذى يكلم الناس من خلاله وبذلك انجلت حيلة إبليس . ولكن قوم ثمود بدلا من أن يهتدوا ازدادوا عداوة وعنادا وقرروا القضاء على الناقة مع كونهم خائفين من عاقبة هذا العمل . فأوعزوا إلى رجل شقى من قوم ثمود لكى يعقر الناقة وبعدما نفذ هذا الشقى الجريمة أقدموا على قتله لكى يتهموا صالحا بقتل الشقى فأخذ صالح يحذرهم من عاقبة ما أقدموا عليه وينذرهم بنزول العذاب ولكن قومه لم يكترثوا لتحذيره وقالوا له : نحن لا نعبد إلهك وليكن ما يكون . عندها دعا صالح ربه ، فمادت الأرض بهم ، وبعد انتهاء المهلة وإتمام الحجة ابتلعت الأرض العاصين ونجى من آمن مع صالح فيمموا وجوهم شطر بلاد الشام لتأتى مرحلة أخرى من حياتهم ومرت مدة طويلة لم تعبد فيها الأوثان إلى أن قام الشيطان بمحاولات إضلال جديدة حيث كان يقول : إن آدم وإدريس ونوح وهود وصالح كانوا على صواب حيث كانوا يدعون الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد ولكن الأفضل أن يكون لكل شخص مكانا يتفرغ فيه للعبادة لكى يضمن التوجه الدائم ويجب أن يصنع شيئا يذكره بالله دائما . وبهذه الحيلة جذب الناس لعبادة الأجسام والأوثان وشيئا فشيئا غفل الناس عن التوجه للغيب وأخذوا يعبدون الأشياء المنحوتة . وقد انتشرت عبادة الأوثان إلى حد فإن نمرود كبير البابليين جعل من نفسه ربا وأمر الناس بعبادته حيث كان يقول إن هذه الأصنام تمثل الصور الصامتة للأنبياء وأنا أمثل الصورة الحية للآلهة

فيجب أن تعبدوا الأوثان لتذكروا الأنبياء ويجب إطاعتى حتى لا تعبدوا الموتى وأن لا تنسوا الأحياء ، وبهذه الصورة فإن نمرود أضل الناس أكثر من غيره ، وبما أن بابل كانت عامرة توجه إليها الناس من كل صوب وحدب وانتشرت الضلالة منها إلى كل مكان وعلى هذا فقد حان وقت ظهور نبى عظيم ذى إرادة صلبة لكى يستطيع الوقوف أمام هذا التوجه الضال فكان دور إبراهيم عليه السلام

**معجزة صالح عليه السلام :**

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ قال الله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

وإلى ثمود هم ولد ثمود بن جاثر بن أرم بن سام وكانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا عتوا كبيرا فبعث الله إليهم صالح ﷺ قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا؟ وكان الله قد أطال أعمارهم حتى إن كان أحدهم يبنى البيت من المدر فينهدم وهو حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوها وكانوا فى سعة من معايشهم ولم يزل صالح عليه السلام يدعوهم فلم يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون (٢) .

ورغم (٣) نصاعة دعوة صالح عليه السلام فقد بدأ واضحا أن قومه لا يصدقونه كانوا يشكون فى دعوته واعتقدوا أنه مسحور وطالبوه بمعجزة تثبت أنه رسول

---

(١) من الآية رقم (٧٣) من سورة الأعراف .
(٢) الكامل فى التاريخ : لابن الأثير ، ط دار الكتب العلمية .
(٣) أنبياء الله أحمد بهجت : ط دار الريان للتراث .

الله إليهم وشاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن تستجيب لطلبهم . قال صالح عليه السلام لقومه حين طالبوه بمعجزة ليصدقوه : ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾[١] .

## معجزة الناقة لصالح عليه السلام :

كانت هذه الناقة معجزة وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ ...نَاقَةَ اللَّـهِ... ﴾[٢] أضافها لنفسه سبحانه وتعالى . وإنما استشهد صالح عليه السلام على صحة نبوته عند قومه بالناقة لأنهم سألوه إياها آية ودلالة على حقيقة قوله . وكان [٣] لقومه عيد يخرجون إليه بأصنامهم فقالوا لصالح أخرج معنا إلى عيدنا فندعوا إلهك وندعوا آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال : نعم ، فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم فدعوا أصنامهم أن لا يُستجاب لصالح ما يدعو به وقال له سيد قومه : يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة - لصخرة منفردة - ناقة جوفاء عشراء فإن فعلت ذلك صدقناك فأخذ عليهم العهود والمواثيق بذلك وأتى الصخرة وصلى ودعا ربه عليه السلام فإذا هي تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انفرجت وخرجت من وسطها الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت وليدا مثلها في العظم فآمن به سيد قومه واسمه : جندع بن عمرو ورهط من قومه .

وأصدر الله أمره إلى صالح أن يأمر قومه بعدم المساس بهذه الناقة أو إيذائها أو قتلها أمرهم أن لا يمسوها بسوء وأن يتركوها تأكل في أرض الله

---

(١) من الآية رقم (٦٤) من سورة هود .

(٢) أنبياء الله : أحمد بهجت ، دار الريان للتراث .

(٣) الكامل في التاريخ : لابن الأثير ، ط دار الكتب العلمية .

وحذرهم إذا مدوا أيديهم إليها بالأذى فسوف ينزل بهم عذاب قريب من الله سبحانه وتعالى .

وكانت هذه الناقة ناقة مباركة قيل : كان لبنها يكفى آلاف الرجال والنساء والأطفال وكانت إذا نامت فى موضع هجرته كل الحيوانات الأخرى وكان واضحا أنها ليست مجرد ناقة عادية وإنما هى آية من آيات الله قال صالح : ﴿هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فهو يرجو منهم أن يتركوا الناقة تأكل فى أرض الله وكل الأرض أرض الله وهو يحذرهم من أن يمسوها بسوء خشية وقوع عذاب الله عليهم وهو يلفتهم إلى إنعام الله عليهم كيف جعلهم خلفاء من بعد قوم عاد .

يفعل صالح عليه السلام ذلك كله فإذا قومه يجيبونه أغرب إجابة يتجهون إلى الذين آمنوا بصالح فيسألونهم سؤال استخفاف واستهزاء :

أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه؟

وهو سؤال لا محل له بعد معجزة الناقة قالت الفئة الضعيفة التى آمنت بصالح : إنا بما أرسل به مؤمنون . وبدأ قوم صالح يفكرون فى حيلة لقتل هذه الناقة مع أنه عليه السلام لما خرجت هذه الناقة قال لهم : ﴿ ...لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [1] ومتى عقرتموها أهلككم الله . فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما فإذا كان يوم شربها خلوا بينها وبين الماء وحلبوا لبنها وملأوا كل وعاء وإناء وإذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه

(١) من الآية رقم (١٥٥) من سورة الشعراء .

شيئا وتزودا من الماء للغد .

## قصة قتل الناقة :

فقال قوم صالح ينبغى لنا أن نزيح صالح من طريقنا يقصدون قتل الناقة وبعد قتلها يقتلونه هو وانبعثت الهمسات حول صالح وناقته قال أحدهم وكان فى عقله بقية لم يطمسها الكفر . . حذرنا صالح من المساس بالناقة وهددنا بالعذاب القريب . أخمد الجالسون هذا الصوت العاقل بكأسين من الخمر وبدأوا يتشاورون فيما بينهم من الذى يستطيع قتل الناقة قال أحدهم : أعرف واحدا يستطيع قتلها تناقلوا الاسم بينهم فى سرور ذلك جبار من جبابرة المدينة رجل يعيث فسادا فى الأرض ولا يكف عن الشراب تساءلوا من يساعده على القتل فقيل إن له زملاء فى المدينة (وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) اتفقوا على موعد الجريمة ومكان التنفيذ .

## الناقة المباركة وهى تضم لصدرها طفلها الصغير :

وانتهى المجرمون التسعة من إعداد أسلحتهم وسيوفهم وسهامهم وخرجوا فى جوف الظلام . . هجم الرجال التسعة على الناقة فنهضت الناقة ونهض طفلها مفزوعا . . امتدت الأيدى الآثمة القاتلة إلى الناقة وقتل طفلها أيضا .

وقيل : إن الذى نفذ عملية القتل هو : قدار بن سالف كمن لها فى أصل شجرة فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها ثم نحرها .

فلما اجتمع قوم صالح على قتل الناقة وقتلوها كما بينا ورآها صالح عليه السلام مقتولة قال : أنتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله وتمتعوا فى داركم ثلاثة أيام

وذلك وعد غير مكذوب .

قالوا لـه وهم يهزؤون به ومتى ذلك يا صالح؟

وما آية ذلك : وكانوا يسمون الأيام فيهم .

الأحـد : أول . والاثـنين : أهـون . والـثلاثاء : دبـار . والأربعـاء : جـبار . والخميس : مؤنس . والجمعة : يوم العروبة . والسبت : شيار .

وكانوا قد عقروا الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك : تصبحون غدا يوم مؤنس يعنى يوم الخميس وجوهكم مصفرة ، ثم تصبحون يوم العروبة يعنى يوم الجمعة وجوهكم محمرة ، ثم تصبحون يوم شيار يعنى يوم السبت وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب الأول يعنى يوم الأحد [1] .

فلما [2] أصبحوا فى اليوم الأول إذا وجوههم مصفرة فصاحوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب ، فلما أصبحوا فى اليوم الثانى إذا وجوههم محمرة فضجوا وبكوا ، فلما أصبحوا فى اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا بأجمعهم : أى قد حضركم الموت فتكفنوا وألقوا أنفسهم بالأرض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما أصبحوا فى اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة فتقطعت قلوبهم فى صدورهم .

وقال مقاتل : حفروا لأنفسهم قبورا ، فلما ارتفعت الشمس من اليوم الرابع ولم يأتهم العذاب ظنوا أن الله قد رحمهم فخرجوا من قبورهم يدعو بعضهم بعضا فقام جبريل عليه السلام فوق المدينة فسد ضوء الشمس فرجعوا إلى

---

(١) حاشية الصاوى على الجلالين : ط الحلبى .
(٢) التبصرة : لابن الجوزى ، تحقيق د / مصطفى عبدالواحد ، ط الحلبى .

قبورهم فصاح بهم صيحة عظيمة : موتوا عليكم اللعنة فماتوا وزلزلت بيوتهم فوقعت عليهم (فدمدم عليهم ربهم) أى أطبق عليهم العذاب انقضت الصيحة على الجبال فهلك فيها كل شىء حى وارتجفت الأرض رجفة جبارة فهلك فوقها كل شىء حى هى صرخة واحدة لم يكد أولها يبدأ وآخرها يجىء حتى كان كفار قوم صالح قد صعقوا جميعا صعقة واحدة . هلكوا جميعا قبل أن يدركوا ما حدث :

أما الذين آمنوا بسيدنا صالح عليه السلام فكانوا قد غادروا المكان مع بنيهم ونجوا [١] .

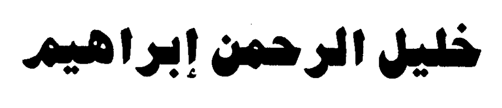
ولما مر النبى عليه السلام على ديارهم قال : «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين**» [٢] .

فاعتبروا إخوانى بهؤلاء الهالكين وانظروا سوء تدبير الخاسرين لا بالناقة اعتبروا ولا لتعويضهم اللبن شكروا ، وعتوا عن النعم وبطروا ، وعموا عن الكرم فما نظروا وأوعدوا بالعذاب فما حذروا ، كلما رأوا آية من الآيات كفروا . الطبع الخبيث لا يتغير ، والمقدر خلاله لا يزال يتحير خرجت إليهم ناقة من أحسن النعم ، ودر لبنها لهم فتوفرت النعم فكفروا وما شكروا فأدبرت النعم فأعاذنا الله وإياكم من الكفران وحفظنا من موجبات الخسران إنه سبحانه إذا لطف صان .

*** * * * * * * * ***

---

(١) أنبياء الله : أحمد بهجت ، ط الريان .
(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده .



# خليل الرحمن إبراهيم

## أبو الأنبياء عليه السلام

**معجزات إبراهيم:**

١- نجاته من نار النمرود.

٢- إحياء الطير بين يديه ليرى كيف يحيي الله الموتى...

٣- من دعوته خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

* * * * * * * * * * * * *

# إبراهيم الخليل عليه السلام

يلقب نبى الله إبراهيم عليه السلام بخليل الله وهو ثانى الأنبياء من أولى العزم ، وبعد صالح لم يبعث نبى حتى بعث إبراهيم عليه السلام ولد إبراهيم فى عهد نمرود فى مدينة بابل ، ووقتها كان الفساد والكفر سائدا ، ونمرود كان حاكما ظالما قويا ، وفى بداية سلطته قدم لأهل الكوفة وما بين النهرين وبابل خدمات أكسبته شهرة جعلته محبوبًا لدى الناس . لقد جاء نمرود بشئ جديد إضافة إلى ما كان يشترك به مع الأقوام السابقة الأخرى فى عبادة الأصنام وهذا الشىء هو إدعاؤه الربوبية وبهذا أضاف مأساة إلى ما كان يواجهه الأنبياء السابقين من مآسى . وكان نمرود مغرورا وقد بلغ غروره إلى حد كان يريد أن يشن حربا على رب السماوات والأرض ، فأمر أن يصنعوا له مركبا هوائيا وقد ربط طرفاه بأرجل صقرين جائعين علقوا فوق رأسهما لحما فحلقا به إلى السماء وكان بيده قوس يريد أن يرى رب السماوات بسهام قوسه حسب ما هداه جهله وغروره . ومن هنا يبدو جهل نمرود بحيث لم يسمع كلام الأنبياء بدقة ، لقد سمع منهم أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شىء ولكنه لم يعلم بأن الله ليس بجسم ولا يرى بالعين حتى يستطيع أحد أن يحاربه .

أما إبراهيم عليه السلام فكان من الرجال الواعين فى ذلك الزمان حيث أنه عندما كان يرى الناس يعبدون الشمس والقمر والنار والأوثان المصنوعة من الطين والحجر كان يستغرب بشدة ويقول : إن الله خالق كل شىء وهو أفضل مما يعبدون وذلك لأن الشمس والقمر يغيبان والنار تبرد والصنم جماد لا روح له والعجب من الناس إنهم لا يفهمون ذلك .

وقد نشأ إبراهيم فى عائلة تتكسب من نحت الأصنام ، وعمه الذى كان يدعوه (أبى) كان يعمل فى معبد للأصنام وكان من المقربين من نمرود ، وكان إبراهيم يسخر من الأصنام ويسفه آلهتهم مما أثار غضب عمه آذر الذى كان يعمل أيضاً فى نحت الأصنام ، وعندما اصطفى إبراهيم عليه السلام نبيا ونزلت عليه الصحف شرع بتبليغ رسالته لهداية الناس وأخذ يستهزئ بالأصنام ووصل الحد إلى أن آذر الذى يدعوه بأبيه أخرجه من بيته تقربا لنمرود . وأخذ إبراهيم يزداد إصرارا يوما بعد يوم على دعوة الناس لعبادة الله وكانوا لا يستجيبون له إلا القليل منهم لأن نمرود كان يملك مقدرات البلاد والعباد ، وكانوا يتصورون أن الأوثان إذا ما غضبت فسيكون مصيرهم أسودا . ورأى إبراهيم أنه لابد من أن يكسر طوق الخوف الذى ضُرب على الناس من القدرة الوهمية للأصنام بسلب قدسية الأصنام فى نفوس الناس ، ويوماً حيث كان الناس خارجين من المدينة بمناسبة أحد الأعياد ، فأخذ إبراهيم فأسا وتوجه إلى المعبد الكبير للمدينة ، وبعد توكله على الله قام بتكسير كل الأصنام ما عدا الصنم الكبير حيث علق الفأس فى رقبته وعاد إلى بيته وعندما عاد الناس إلى المدينة وشاهدوا الأصنام قد كُسرت أخبروا نمرود بذلك .

فسأل نمرود : هل تعلمون من فعل ذلك بآلهتنا؟

فقالوا : لا يجرؤ أحد على هذا العمل سوى فتى يقال له إبراهيم فإنه عدو للأصنام ويدعو إلى عبادة رب لا يشاهد بالعين ويعتبر نفسه نبيا وصاحب رسالة .

فأمر نمرود بإحضار إبراهيم فجىء به وسأله قائلا : يقولون إنك كنت الوحيد الذى بقى فى المدينة أتعلم من الذى كسر الأوثان فأجابه إبراهيم : يقولون أن الفأس كان على عاتق الصنم الأكبر ألا يعنى أنه غضب وقام

بتحطيم الأصنام؟

قال له نمرود: ليس بمقدور الصنم الكبير أن يفعل ذلك ولا يستطيع أن يرد الأذى عن نفسه.

أجابه إبراهيم: إذا كان الصنم الكبير لا قدرة له على هذا الفعل فإن الأصغر منه أضعف منه فكيف تعبدون هذه المجسمات العاجزة عن الدفاع عن نفسها ولا تؤمنون بالله الخالق الكبير الذى يستطيع فى لحظة أن يقلب الدنيا وينشئ خلقا آخرا.

فقال بعضهم: الحق مع إبراهيم وحدثت فى المدينة ضجة وضاق نمرود من زوال ملكه، فقال لإبراهيم: يبدو أنك أنت الذى كسرت الأصنام فانتظر فسوف أحرقك فى النار لتكون عبرة للآخرين.

فقال إبراهيم: إن الذى خلقنى قادر على أن يحفظنى من حرارة النار.

قال له نمرود: عش بهذا الأمل، وأمر بأن يذهبوا به إلى السجن وأن يجمع الناس حطبا ويملأوا به مساحة أربعة فراسخ ويصنعوا منجنيقا كى يقذفوا فيه إبراهيم فى النار.

قال تعالى فى كتابه الكريم يصور هذه المشاهد: ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا

فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ ﴾ (١) .

وأيضا نرى القرآن فى موضع آخر يصف وضع إبراهيم بقوله : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢) .

وجاء فى الخبر أنه خرج نمرود بن كنعان الجبار وجميع أهل مملكته فى يوم عيدهم وكره إبراهيم عليه السلام أن يخرج معهم فوكله نمرود ببيت الأصنام ، فلما ذهبوا ولم يبق أحد إلا هو عمد إلى طعام فأدخله بيت أصنامهم وعرض على الأصنام الطعام فكان إبراهيم يدنيه منها واحدا بعد واحد ويقول له كل وتكلم فأخذ يكسر أيديهم وأرجلهم حتى أتى على آخرهم ثم علق الفأس فى عنق كبيرهم ، فلما رجع الجبار الملك نمرود ومن معه من عيدهم ونظروا إلى ما فُعل فى الأصنام من التكسير والتمثيل البشع قالوا : من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين؟ فقالوا ههنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ، ثم جيء بإبراهيم إلى نمرود فقال له نمرود من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون . ثم إن نمرود استشار قومه فى إبراهيم فقالوا له : حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ، ثم إن نمرود حبس إبراهيم عليه السلام وجمع له الحطب حتى إذا كان اليوم الذى يريد أن يلقيه فى النار برز نمرود وجنوده وكان نمرود قد بنى بناءً لنفسه كى ينظر ما يكون من أمر إبراهيم حين يلقيه فى النار وكيف تأخذه

(١) سورة الصافات ، الآيات : ٨٣ - ٩٨ .
(٢) سورة العنكبوت ، الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

النار ، وجاءه إبليس واتخذ لهم المنجنيق لأنه لم يتمكن أحد من الدنو من النار أو مقاربتها وحاروا كيف يلقوه فيها لعظمتها ، وكان الطائر عن مسيرة فرسخ يحترق بها ، فوضع إبراهيم فى المنجنيق وألقى فى النار ، فدعى إبراهيم عليه السلام ربه بسورة الإخلاص فقال : يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد نجنى من النار برحمتك فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى النار بقوله : يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم فاضطربت أسنان إبراهيم من البرد حتى قال لها وسلاما على إبراهيم فهبط جبرائيل وجلس معه يحدثه فى النار وهما فى روضة خضراء ، ونظر نمرود إلى إبراهيم عليه السلام وقال : من اتخذ إلها فليتخذ مثل إله إبراهيم [1] .

ويوم تنفيذ الحكم أقاموا حائطا حول الحطب وأشعلوا النيران وقذفوا إبراهيم عليه السلام بالمنجنيق فى النار على مرأى ومشهد من الناس ودعا إبراهيم ربه لينجيه ، فأصبحت النار بردا وسلاما وخرج منها إبراهيم سالما لم تمسسه النار وكأنه خرج من روضة واستمر فى دعوته للناس ، وفى هذه المرة رأى الناس المعجزة بأم أعينهم فلانت قلوبهم ولكنهم كانوا يخافون من نمرود ويقولون : لقد أصبحت النار بردا وسلاما على إبراهيم وربما لا تكون لنا إذا ما أراد نمرود أن يحرقنا جميعا عندها ماذا نفعل؟

واستدعى نمرود إبراهيم وقال له باحترام : أيها الرجل الجليل إننى علمت أنك صادق فيما تقول ولكنى لا أتنحى عن زعامة قومى وإذا لم أستطع القضاء عليك فإنى سأعذب الآخرين ويجب أن لا ترضى بإراقة الدماء ، أنا لست من الملوك الذين يسيئون لشعوبهم وإن هؤلاء لا يتبعونك ،

---

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى .

فإذا كنت لا تحب قتل الناس فارحل من أرض بابل لتهدى غيرنا فإن العالم غارق فى الضلال وهناك من يكون أضل منا ، أنا مشغول بإعمار البلاد وغيرى لا يعمرون بلادهم وأنت تستطيع أن تدعوا الناس فى كل مكان وقد بذرت الآن بذور الإيمان ، ألا يكفى هذا؟

فقا له إبراهيم : الآن وقد اعترفت بصدق قولى فلماذا لا تعبد الله؟

فأجابه نمرود : أنا أعلم ذلك ولكن الوقت لم يحن وأخشى أن تتبعثر أمور البلاد وأحتاج إلى وقت مناسب لهذا الأمر . فهل ترغب أن تكون مكانى؟

فقال له إبراهيم : كلا أنا أريد أن أهدى الناس إلى طريق السعادة والخير .

فقال له نمرود : إذن لا تدع البلاد لأن تكون فى هرج ومرج واعمل بالتدريج ، إذهب من بابل وأنا أهيئ لك الناس شيئا فشيئا وبعكسه فسوف تكون حربا وإراقة دماء وأنت لا تحب ذلك .

فهاجر إبراهيم بأمر الله بصحبة ابن أخيه لوط وزوجته سارة التى كانت ابنة عمته وجمع من المؤمنين من هاجروا إلى بلاد الشام وهناك أخذوا يدعون الناس إلى الهداية وقد آمن بهم الكثير .

قال تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١] .

**آراء المفسرين فى معنى لفظة أمة أقوالا :**

قيل الأمة : معلم الخير أى كان معلما للخير يأتم به أهل الدنيا وقيل أنه

(١) من الآية رقم (١٢٠ - ١٢٢) من سورة النحل .

كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة وحده وقد ذكر الله فى هذه الآيات من صفات إبراهيم عليه السلام أوصافا حميدة منها :

مائلا إلى الدين القيم أى تاركا لما عداه من الأديان الباطلة ولم يكن من المشركين : هذا الوصف قد علم التزاما من قوله تعالى حنيفا وإنما ذكره ردا على المشركين حيث زعموا أنهم على ملة إبراهيم قوله شاكرا لأنعمه : أى صارفا جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله فهو معصوم عن الغفلة وعن كل شاغل يشغله عن الله تعالى ظاهرا وباطنا .

اجتباه : أى اختاره من دون خلقه وهذا الوصف وما بعده ناشئ من الله خاصة لم يكن له فيه كسب إشارة إلى ما نشأ عنه من الأخلاق الحميدة والأفعال الجميلة باختيار الله له لا بنفسه .

قوله : إلى صراط مستقيم ، أى دين قويم لا اعوجاج منه [١] .

كان [٢] إبراهيم عليه السلام هو هذا العبد الربانى الذى استحق أن يتخذه الله خليلا وتلك درجة من درجات الأنبياء لا تعرف مقدارها ولا يحدثنا القرآن الكريم عن ميلاده أو طفولته ولا يتوقف عند عصره صراحة ولكنه يرسم صورة لجو الحياة فى أيامه فتدب الحياة فى عصره ونرى الناس انقسموا ثلاث فئات :

فئة تعبد الأصنام والتماثيل الخشبية والحجرية .

وفئة تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر .

وفئة تعبد الملوك والحكام .

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى : ط دار الفكر بيروت .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى : ط دار الفكر بيروت ، أنبياء الله : أحمد بهجت ، ط الريان بشىء من التصرف .

وفى هذا الجو المليء بالكفر والشرك ولد إبراهيم عليه السلام وولد عليه السلام فى أسرة من أسر ذلك الزمان . ولم يكن رب الأسرة كافرا عاديا من عبدة الأصنام بل كل كافرا يصنع بيديه تماثيل الآلهة .

قيل : إن أباه مات قبل ولادته فرباه عمه وكان له بمثابة الأب وقيل : إن أباه لم يمت وكان آذر هو والده حقا . ومهما يكن من أمر فقد ولد إبراهيم فى هذه الأسرة كانت أسرة مرموقة من الأسر الارستقراطية بتعبير زماننا .

من هذه الأسرة المقدسة ولد طفل قدر له أن يقف ضد أسرته وضد نظام مجتمعه وضد أوهام قومه وضد عبدة النجوم والكواكب وضد كل أنواع الشرك .

وكان طبيعيا أن يكون جزاؤه الإلقاء فى النار حيا كما سنبين فيما بعد إن شاء الله بشيء من التفصيل .

ولم يكن معه عليه السلام حين بدأ صراعه مع عبدة الأصنام غير إسلامه فخرج على قومه بدعوته قال بحسم غاضب وغيرة على الحق :

﴿ ... مَا هَـٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ . ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ . ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ . ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [(١)] .

انتهى [(٢)] الأمر وبدأ الصراع بين إبراهيم وقومه وكان أشدهم غضبا هو أبوه أو عمه الذى رباه كأب وانتهى الأمر بينه وبين أبيه بأن طرد إبراهيم من بيته كما أسفر عن تهديده رميا بالحجارة وخرج إبراهيم من بيت أبيه هجر .

---

(١) الآيات (٢٥ - ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦) من سورة الأنبياء .
(٢) أنبياء الله : أحمد بهجت ، ط الريان بشيء من التصرف .

قومه وما يعبدون من دون الله .

وقرر فى نفسه أمرا وكان يعرف أن هناك احتفالا عظيما يقام على الضفة الأخرى من النهر وينصرف الناس جميعا إليه . فخرج إبراهيم حذرا لكى يحطم تلك التماثيل فذهب إلى المعبد ومعه فأس حادة .

اقترب من تمثال لأحد الآلهة وسأله فى سخرية وكان أمام هذا التمثال طعام وضعه القوم له - أى التمثال لقد برد الطعام أمامك . . . لماذا لا تأكل .

وظل التمثال صامتا جامدا وسأل إبراهيم عددا من التماثيل حوله (ألا تأكلون) كان يسخر منهم وعاد يسأل التماثيل (ما لكم لا تنطقون وبدأ يحطم هذه التماثيل بفأسه إلا تمثالا واحدا علق الفأس فى رقبته فلما رجع القوم من احتفالهم ودخلوا المعبد فاكتشفوا أن الآلهة قد تحطمت ما عدا واحدا وبدأوا يفكرون فيمن يكون مرتكب هذه الفعلة [١] .

﴿ **قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ** ﴾ [٢] .

أحضروا إبراهيم على الفور وسألوه ﴿ ... **أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ** ﴾ [٣] قال لهم إبرهيم وهو يشير إلى كبير الآلهة الذى علق الفأس برقبته ﴿ ...**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ** ﴾ [٤] .

فقالوا له : أنت تعرف أنها لا تنطق فقال لهم إبراهيم : كيف تعبدون شيئا لا ينفع ولا ينطق لقد علقت الفأس فى عنق كبير الآلهة فلم يقل لماذا فعلت هذا إنه لا يسمع ولا ينطق ولا يتحرك .

---

(١) أنبياء الله : أحمد بهجت ، بتصرف
(٢) من الآية رقم (٦٠) من سورة الأنبياء .
(٣)من الآية رقم (٦٢) من سورة الأنبياء
(٤) من الآية رقم (٦٣) من سورة الأنبياء .

ألزمهم إبراهيم عليه السلام الحجة وأسكتهم بالبرهان فقرروا إعدامه حرقا فى النار .

## معجزة نجاة إبراهيم عليه السلام من النار:

قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾[(١)] .

والقائل ذلك : هو النمرود بن كنعان . وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هينوب خسف الله به الأرض والحكمة فى اختيارهم الحرق بالنار على غيره من أنواع القتل أن إبراهيم عليه السلام بادأهم بالفضيحة والتشنيع عليهم فأحبوا أن يجازوه بما فيه التشنيع والشهرة .

وحاصل القصة : أنه لما اجتمع النمرود وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه فى بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر ، حتى كان الرجل يمرض فيقول لئن عوفيت لأجمعن لإبراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلبه لئن أصابت ما تطلب لتجمع الحطب لإحراق إبراهيم فلما جمعوا ما أرادوا وأشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى أن كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة حرارتها فأوقدوا عليها مدة سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم عليه السلام فى النار فلم يعلموا كيف يلقونه فقيل إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا إلى إبراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة أى ربنا خليلك يلقى فى النار وليس فى أرضك أحد يعبدك غيره فائذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى : إنه خليلى ليس لى خليل

---

(١) من الآية رقم (٦٨) من سورة الأنبياء .

غيره وأنا الإله ليس له إله غيرى فإن استغاث بأحدكم فأغيثوه وإن لم يدع غيرى فأنا وليه وأنا أعلم به فخلوا بينى وبينه .

فلما [(١)] أرادوا إلقائه فى النار أتاه خازن النار وقال: إن أردت أخمدت النار وأتاه خازن الهواء وقال إن شئت طيرت النار فى الهواء فقال إبراهيم عليه السلام لا حاجة لى إليكم حسبى الله ونعم الوكيل فلما [(٢)] رفعوه على رأس البنيان رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم أنت الواحد فى السماء وأنت الواحد فى الأرض حسبى الله ونعم الوكيل وعرض له جبريل وهو يوثق فقال: ألك حاجة يا إبراهيم؟ قال: أما إليك فلا فقذفوه فى النار فناداها الله تعالى فقال: يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم .

وقيل: فلو لم يتبع بردها سلام لمات إبراهيم من شدة بردها فلم يبق يومئذ نار إلا طفئت ظنت أنها هى المقصودة وبعث الله الظل فى صورة إبراهيم فقعد فيها إلى جنبه يؤنسه فمكث النمرود أياما لا يشك أن النار قد أكلت إبراهيم فرأى كأنه نظر فيها وهى يحرق بعضها بعضا وإبراهيم جالس إلى جنبه رجل مثله فقال نمرود لقومه: لقد رأيت كأن إبراهيم حى ولقد شبه على ابنوا لى صرحا يشرف بى على النار فبنوا له وأشرف منه فرأى إبراهيم جالسا وإلى جانبه رجل فى صورته فناداه نمرود: يا إبراهيم إن إلهك كبير الذى بلغت قدرته وعزته أن حال بينك وبين ما أرى هل تسطيع أن تخرج منها؟ قال نعم قال: أتخشى إن أقمت فيها؟ قال: لا فقام إبراهيم فخرج منها فلما خرج قال له: يا إبراهيم من الرجل الذى رأيت معك مثل صورتك؟

قال: ذلك ملك الظل أرسله إلى ربى ليؤانسنى قال نمرود: إنى مقرب

(١) حاشية الصاوى على الجلالين: ط الحلبى .
(٢) الكامل فى التاريخ: لابن الأثير ، ج١ ، ط دار الكتب العلمية .

إلى إلهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيت إلا عبادته فقال إبراهيم: إذا لا يقبل الله منك ما كنت على شىء من دينك فقال: يا إبراهيم لا أستطيع ترك ملكى .

وآمن مع إبراهيم رجال من قومه حين رأوا هذه المعجزة العظيمة [١] .

قال الإمام الرازى: كانت مدة مكث إبراهيم عليه السلام فى النار أربعين يوما . ويروى أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما وضع فى النار قال: ما كنت قط أياما أنعم منى فى الأيام التى كنت فيها فى النار .

## وفاة إبراهيم عليه السلام وما قيل فى عمره:

ذكر ابن جرير فى تاريخه أن مولده فى زمن النمرود بن كنعان وهو فيما قيل: الضحاك الملك المشهور الذى يقال إنه ملك ألف سنة وكان فى غاية الغشم والظلم . وذكروا [٢] أنه طلع نجم أخفى ضوء الشمس والقمر فهال ذلك أهل ذلك الزمان وفزع النمرود فجمع الكهنة والمنجمين وسألهم عن ذلك فقالوا: يولد مولود فى زمانك يكون زوال ملكك على يديه فأمر عند ذلك بمنع الرجال عن النساء وأن يقتل المولودون من ذلك فكان مولد إبراهيم الخليل فى ذلك الحين فحماه الله عليه السلام وصانه من كيد الكفار الفجار وشب شبابا باهرا وأنبته الله نباتا حسنا حتى كان من أمره ما تقدم وقد روى [٣] ابن عساكر عن غير واحد من السلف عن أخبار أهل الكتاب فى صفة مجىء ملك الموت إلى إبراهيم عليه السلام أخبارا كثيرة الله أعلم بصحتها .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) البداية والنهاية: لابن كثير ، ط دار المعرفة ، بيروت .
(٣) المرجع السابق .

وقد قيل : أنه مات فجأة والذى ذكره أهل الكتاب وغيرهم خلاف ذلك قالوا : ثم مرض إبراهيم عليه السلام ومات عن مائة وخمس وسبعين سنة وقيل : وتسعين سنة وقد ورد ما يدل أنه عاش مائتى سنة .

وقال أبو حاتم بن حبان فى صحيحه : أنبأنا المفضل بن محمد الجندى بمكة ، حدثنا على بن زياد اللخمى ، حدثنا أبو قرة عن ابن جريج عن يحيى ابن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : «**اختتن إبراهيم بالقدوم وهو ابن عشرين ومائة سنة**» وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وقال[1] مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : كان إبراهيم أول من أضاف الضيف ، وأول الناس اختتن وأول الناس قص شاربه ، وأول الناس رأى الشيب فقال يا رب ما هذا!!؟ فقال الله تعالى : وقار فقال : يا رب زدنى وقارا وزاد غيرهما وأول من لبس السراويل .

وروى ابن عساكر بسنده إلى وهب بن منبه قال : وجد عند قبر إبراهيم الخليل على حجر كتابة فيها :

**إلهى جهولا أمله ::: يموت من جاء أجله**
**ومن دنا من حتفه ::: لم تغن عنه حيلة**
**وكيف يبقى آخر ::: من مات عنه أوله**
**والمرء لا يصحبه ::: فى القبر إلا عمله**

**********

(١) البداية والنهاية : لابن كثير ، ط دار المعرفة ، بيروت .



## ابنى خليل الرحمن

## إسماعيل وإسحاق عليهما السلام

**معجزتـه:**

أما إسماعيل فمعجزته الفداء بذبح عظيم.

وأما إسحاق فميلاده معجزة لسارة على الكبر عليهم سلام الله أجمعين...

* * * * * * * * * * * *

# إسماعيل وإسحاق

كانت سارة زوجة إبراهيم امرأة عقيما لا تنجب وكانت عندها أمة اسمها (هاجر) فوهبتها لإبراهيم كى يعتقها ومن بعد ذلك يتزوجها كى تنجب له أولادا .

ولأول مرة يتزوج رجل امرأة ثانية لتنجب له الأولاد . وبعد مدة ولدت هاجر ولدا أسموه إسماعيل .

أما سارة فقد أصابها الهم بسبب عدم إنجابها وقالت لإبراهيم يجب أن تفصل بينى وبين هاجر ، إن إرادة الله اقتضت أن أكون بدون ولد ولكننى لا أستطيع أن أتحمل هاجر بقربى . فناجى إبراهيم ربه ، فهبط عليه جبرائيل وقال له : افعل كما تريد سارة فإنها امرأة طيبة القلب ولكنها ضعيفة ومهمومة ويجب أن لا يبعث همها على إيجاد عدم الراحة فى العائلة فان أى مكان توجد فيه ضرة فلا يرى طعم الراحة والهدوء . واضطر إبراهيم إلى أن يأخذ هاجر وابنها إلى صحراء مكة وقال لهما : امكثا هنا حتى أرجع إليكما فتركهما وذهب . وبعد مرور برهة من النهار ذهبت هاجر للبحث عن الماء حيث كانت الشمس محرقة وأخذت تسعى سبع مرات بين جبلى الصفا والمروة بحثا عن عين ماء وعندما رجعت إلى ابنها شاهدت عينا قد نبعت من أثر قدم إسماعيل فشكرت هاجر ربها على هذا الولد المبارك ، وكانت مجموعة من الناس فى الجانب الآخر من الجبل يبحثون عن الماء ولما علموا بوجوده استأذنوا هاجر أن يقيموا هناك بالقرب من الماء فأذنت لهم ، وعندما علم إبراهيم بأن هذا المكان أصبح فيه سكن فرح فرحا شديدا واطمأن قلبه ، واتفق مع سارة بأنه إذا ما أراد أن يزور هاجر وإسماعيل فإنه لا يمكث هناك

وسوف يرجع سريعا . وبقيا هناك إلى أن صار عمر إسماعيل سبع سنوات ، وهاجر إبراهيم إلى بيت المقدس وأقام هناك ، وأخذ يدعو الناس للهداية وأرسل رسولا إلى نمرود بأن لا ينسى عهده الذى عهده لإبراهيم فإذا ما انتهت المدة فسوف ينزل عليهم العذاب الشديد .

ورأى إبراهيم فى المنام أنه يقرب قربانا فى سبيل الله فناداه مناد وقال له : من الشهامة أن يقرب الإنسان أفضل ما يملك إذا ما أراد أن يقرب قربانا .

فقال إبراهيم : ليس عندى أعز من إسماعيل .

فقال له هاتف : إذن عليك أن تقدمه قربانا ، وقد كان متعارفا بين الناس آنذاك بأنهم ينذرون بأن يقدموا أولادهم قرابين فى سبيل الله وكان عرفا سيئا ، ولكن الرؤية تكررت لإبراهيم ثلاث مرات ، فقال إبراهيم : لابد أن يكون فى هذا المنام حكمة ، وعلى هذا الأساس فقد قدم إلى مكة وأخبر هاجر وإسماعيل بما جرى .

فقالا : إذا كان الأمر من قبل الله فنحن راضون بقضاء الله . ولكن الشيطان وسوس لإسماعيل على أن أباك يريد قتلك ليدخل السرور على قلب سارة ولكن إبراهيم وإسماعيل رجموا الشيطان بالحجر وطردوه . وعندما استعد إبراهيم لذبح ابنه إسماعيل وقد أسلما لله أمرهما نزل عليهما جبرائيل وقال : لا تفعل يا إبراهيم فإنك أثبت إخلاصك لله وليس من المتعارف أن تقدم مثل هذا القربان ، افديه بكبش وقربوا كبشا ، وكانوا فرحين أن خرجوا بهذه النتيجة هذا الاختبار .

ومن ذلك اليوم لقب إسماعيل بذبيح الله .

قال تعالى فى كتابه الكريم يصف هذا الأمر: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) . وبعدها جاءه الأمر من الله سبحانه وتعالى بأن يبنى بيتا لعبادته فى أرض الكعبة والذى هو الآن بيت الله الحرام (الكعبة المشرفة) والحج إليه واجب على من استطاع من المسلمين ، وما حدث فى تلك الأيام يعتبر الآن جزء من مناسك الحج ، وكبر إسماعيل وأخذ يقدم الخدمات لزائرى بيت الله الحرام .

وإبراهيم نذر نذرا بأن لا يأكل بدون ضيف ، فصادف أن مرت ستة أيام عليه ولم يطرقه ضيف ، وكان إبراهيم يصل أيامه صياما وذلك للوفاء بنذره ، وفى اليوم السابع جاءه اثنى عشر شخصا وقالوا له : نحن ضيوفك وجاء بهم إبراهيم إلى البيت وقال لسارة : إن الضيف عزيز الله ويجب أن نقدم له أعز شىء عندنا .

قالت له سارة : لا يوجد عندى أعز من هذه العنزة أقدمها للضيوف فذبحوا العنزة وصنعوا منها شواءً وقدموها لهم ولكنهما شاهدا الضيوف قد امتنعوا عن تناول الطعام فسألهم إبراهيم فقالوا له : إنما نحن من الملائكة ولسنا من الإنس حتى نأكل الطعام وقد أتيناك لكى تقطع صيامك ، والآن وقد ذبحت لنا أعز شىء عند سارة فنبشرك بأن سارة ستصبح أما لولد اسمه

(١) سورة الصافات الآيات ٩٩ - ١٠٧ .

إسحاق وسيكون نبيا مثل إسماعيل وسوف يكون له ولد اسمه يعقوب .

وولد إسحاق ، ولما بلغ إبراهيم من العمر مائة وعشرين سنة فجعل إسحاق خليفة له فى الشام وفلسطين أما إسماعيل فقد كان خليفته فى الحجاز وأخذا يدعوان إلى دين أبيهما إلى أن جاء وقت نبوتهما .

وأما نمرود فلأنه بقى على ضلالته أرسل الله سبحانه وتعالى بعوضة دخلت فى منخره واستقرت فى مخه وبقيت تؤذيه وتذله حتى مرض ومات بسببها ، أما قومه فقد اهتدوا إلى الطريق المستقيم عندما دعاهم إسحاق لذلك .

لقد ذكر إبراهيم عليه السلام فى خمسة وعشرين سورة من القرآن الكريم وهى : البقرة ، آل عمران ، النساء ، الأنعام ، التوبة ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر ، الأنبياء ، النحل ، مريم ، الحج ، الشعراء ، العنكبوت ، الأحزاب ، الصافات ، ص ، الشورى ، الزخرف ، الذاريات ، النجم ، الحديد ، الممتحنة ، الأعلى .

إن قصة إبراهيم ترتبط بها قصص أخرى كقصة لوط وقصة إسماعيل ابنه وقصة إسحاق ابنه ، وذكرنا أن لوطا هو ابن خالته وابن أخيه وهما فى عصر واحد وقد آمن لوط بعمه إبراهيم فهو يدعو إليه وإلى شريعته .

قال الله تعالى : ﴿ **فَـآمَنَ لَـهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي** ﴾ وقد ذكروا أن إسماعيل ولد لإبراهيم اسحاق وهو ابن مائة سنة وأمه سارة ابنة خالة إبراهيم [١] .

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى .

## نبى الله لوط
## أول من قاوم الفساد وحار من أمر المفسدين...

نجاته وأهله إلا امرأته...

وكان عقاب قوم لوط أن أمطر الله تعالى عليهم حجارة من جهنم: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ...إلخ وأما امرأته فهى ثانية اثنتين من زوجات الأنبياء خانتا زوجيهما النبيين نوح ولوط فضرب الله تعالى بهما المثل فى الكفر وأثبت خيانتهما بقوله سبحانه: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ سورة التحريم.

* * * * * * * * * * * * *

لقد كان لوط نبيا فى زمان نبوة إبراهيم وقد أمره إبراهيم لتولى هداية قوم لوط ولم يكن صاحب كتاب .

صحراء لوط كانت تضم سبعة مدن ، وكان قومه من الضالين قد أغواهم الشيطان ونشر فى صفوفهم الفساد ، حيث قال لهم أن آدم خدعته حواء زوجته فى الجنة والنساء ضعيفات الإرادة وكثيرات المعصية .

وبهذا التصور الذى خلقه إبليس عند قوم لوط أخذوا ينظرون إلى النساء نظرة الحقارة إلى حد كانوا يقحمونهن بالأعمال الشاقة ويذبحون البنات تقربا للأوثان ، وبالمقابل كانوا يحسنون للأولاد ويقضون أيامهم بالشرب والملذات واللهو وكان الفسق والفجور منتشرا بينهم .

ولما يئس لوط من هداية قومه ناجى ربه ، لقد أصابنى النصب من هؤلاء القوم وهم لا يرحمون حتى أنفسهم وأصبح إصلاحهم غير ممكن .

قال تعالى فى كتابه يصور حال قوم لوط : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ (١) .

ولوط ابن أخ إبراهيم وابن خالته ، وقد ذكر لوط فى أربع عشرة سورة

(١) سورة الشعراء الآيات: ١٦٠ - ١٦٦ .

من القرآن الكريم هى الأعراف ، هود ، الحجر ، الأنبياء ، الحج ، الشعراء ، النمل ، العنكبوت ، الصافات ، ص ، ق ، القمر ، التحريم .

وقوم لوط كانوا أهل لهو ولغو وفساد ودجل وباطل ، فلقد خلعوا جلباب الحياء فكانوا لا يخجلون من فعل القبيح الذى تأباه البهائم وتتنفر منه جميع النفوس البشرية من سابق ولاحق ، وكانوا لا يستحى بعضهم من بعض أن يأتى بأفظع المنكرات فيجتمع كبيرهم وصغيرهم والأب والابن والسيد والعبد منهم على نكاح الرجل الغريب واللواط به ولو فى محضر نسائهم وبناتهم ويتعاقبون الآخر بعد من سبقه ، وكانوا يتضارطون فى المجالس والنوادى كما هو وارد فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ...** ﴾ .

وقوم لوط يسكنون فى منطقة اسمها سدوم أهل صلافة ووقاحة وبغى ، وكان لهم قاض يحكم فيما بينهم فكان يحكم لهم على غيرهم حقا كان أم باطلا كما قيل ، فأرسلت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام رسولا من قبلها إلى سدوم كى يأتيها بخبر لوط وسلامته ، فلما وصل إلى سدوم لقيه رجل من أهلها فعمد إليه وضربه بحجر على رأسه فسال دمه ، ثم تعلق به قائلا له : إن هذا الدم الكثير الذى خرج من رأسك لو بقى لأضر بك فأعطنى أجرى ، فلما كثر بينهما الجدل والخصام ولم يقدر أن يتخلص منه رسول سارة دعاه إلى المحاكمة عند القاضى فمضيا إلى حاكم سدوم ، فلما سمع كلاهما قضى على المضروب وحكم عليه بدفع الأجر إلى الضارب السدمى ، فلما رأى المضروب وهو رسول سارة الجور من القاضى والخصم عمد إلى حجر وضرب به رأس القاضى فأسال دمه وقال له : الأجر الذى وجب لى عليك ادفعه إلى

خصمي الذي ضربني وأسال دمي وانصرف راجعا من حيث أتى هربا من جور تلك القرية وأهلها .

وبقي لوط بين أظهرهم سنين متطاولة فلم يحصل على نتيجة ولم يثمر كلامه معهم شيئا فحينذاك دعا عليهم فأذن الله تعالى بتعجيل عذابهم وإنزال البلاء فيهم [١] .

وهبط جبرائيل وقال للوط : لقد جاء دور هؤلاء وسوف ينزل العذاب عليهم وأن الله حليم بعباده ولكن إذا بلغ الظلم حدا وآن الأوان فإنه شديد العقاب ولا يبقى كيان لأى قوم مع الظلم والفساد ، وأتم لوط الحجة على قومه وقال لهم : لا تؤذوا البنات ولا تتزوجوا الأولاد بدلا من النساء فإن الرحمة والبركة سترفع عنكم ، اتقوا الله وآمنوا بدين إبراهيم .

وكانت امرأة لوط من الغابرين الضالين وقد عاضدت أعداء لوط وعندما كان قومه يتهمونه بشتى التهم كانت امرأته تساعدهم على تشويه سمعة لوط حتى أصبح لوط مهموما ويرجو من ربه نزول العذاب على قومه .

ويوماً هبط عليه جبرائيل وعزرائيل ومجموعة من الملائكة بصورة أناس لكي يخبروه بنزول العذاب على قومه ، وأخبرت امرأة لوط قومها بأن فى بيت لوط ضيوف غرباء فهجموا عليه ودخلوا بيته عنوة وقالوا : أنت تحيك المؤامرات ضدنا بالتعاون مع الغرباء وذلك للقضاء علينا وتخيفنا بعذاب الله ، نريد أن نقضى عليك وعلى ضيوفك ، وفى الليل قال لهم لوط إذا لم ترجعوا عن غيكم وتتوبوا فسوف ينزل عليكم العذاب صباحا .

---

(١) الأعراف ٨٠ - ٨٤ .

قالوا : إن الصبح لقريب وإذا كنت صادقا فى ذلك فليأتى العذاب ، نريد أن نقتلك مع ضيوفك لنرى أين العذاب أو ترحل الآن من بيننا وتتركنا لحالنا فإننا لا نقبل نصيحة الغرباء .

قال تعالى فى كتابه الكريم يصف إصرار قوم لوط على كفرهم : ﴿ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ * فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾ [1] .

ورد أنه لما أرسل الله سبحانه وتعالى رسله لقلب مدائن قوم لوط وإعلام خليله إبراهيم بذلك قبل وقوع الانتقام منهم ، فلما دخلوا على إبراهيم بشروه بولده اسحاق ومن وراءه يعقوب .

ولما دخلوا على إبراهم توهمهم ضيوفا فصنع لهم طعاما فعمد إلى عجل سمين فذبحه وشواه لهم وقربه إليهم ، فلما رأى أن أيديهم لا تصل إليه ارتاب منهم وأوجس منهم خيفة فأعلموه أنهم رسل الله تعالى أرسلهم للانتقام من أهل سدوم وعاموره وهم المعبر عنهم بقوم لوط . ولما علم إبراهيم أن قوم لوط هالكون وأن الملائكة مرسلون لإنفاذ الأمر فيهم فتأثر لذلك لرقة قلبه وصفاء نفسه ، فلم يملك نفسه أن بادر بالاستشفاع فأجابته الملائكته : نحن أعلم بمن فيها وإن لوطا وأهله لا يصيبهم أى ضرر وهم الناجون وحكم الله نافذ ولا راد له . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ

---

(١) سورة الشعراء الآيات ١٦٧ - ١٧٣ .

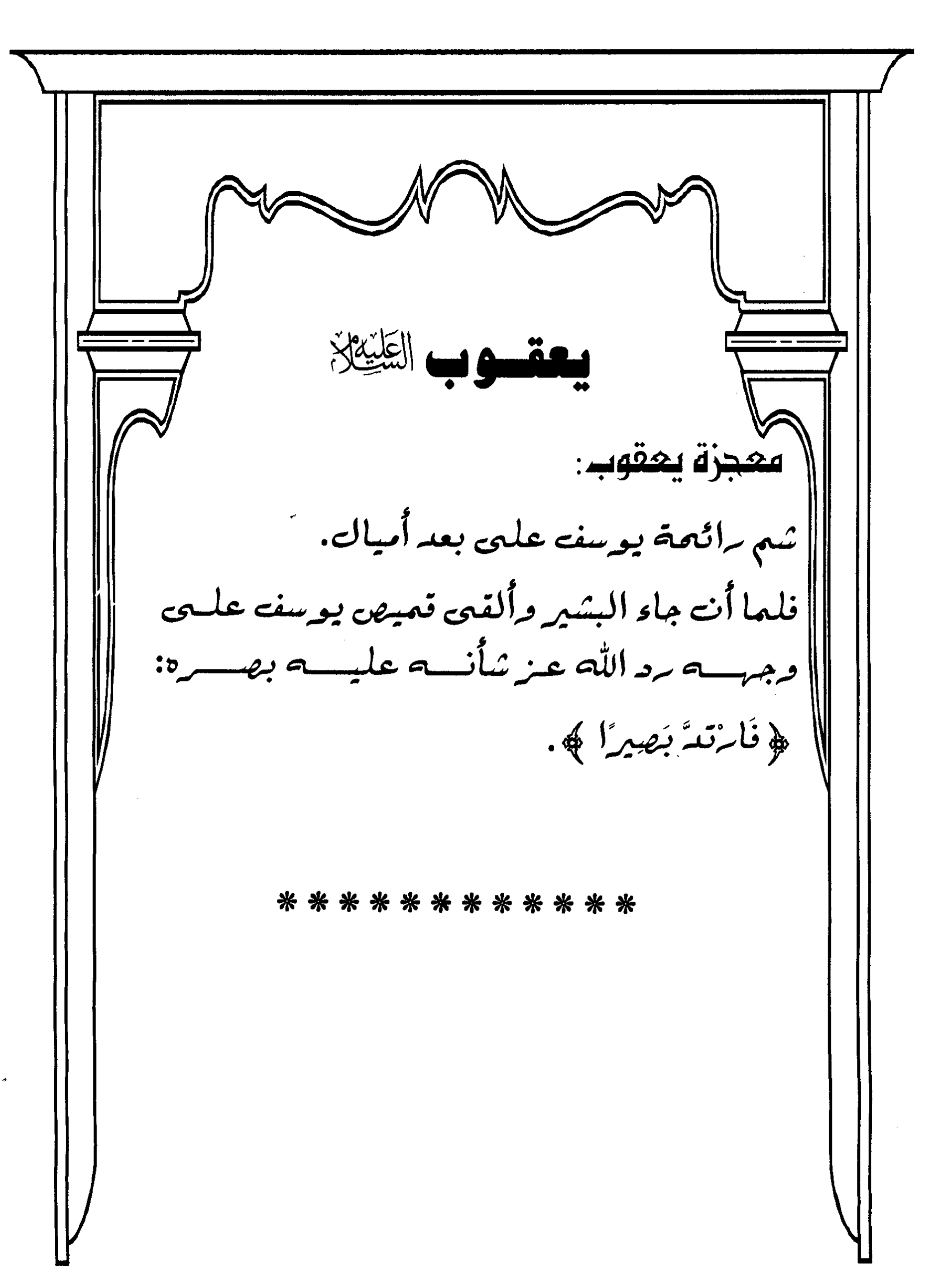
الـرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْـرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ .

وقال تعالى فى قوم لوط فى سورة الأعراف : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١) .

وكانت بداية العذاب أن فقدوا أبصارهم ثم تزلزلت الجبال وسقطت عليهم واندثروا هم وأعمالهم السيئة تحت التراب بعدها ذهب لوط إلى الشام حيث كان هناك إسحاق فزوجه من ابنته فأنجبت يعقوب وبقيا هناك حتى نهاية نبوتهما .

* * * * * * * * *

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى .



## يعقوب عليه السلام

**معجزة يعقوب:**

شم رائحة يوسف على بعد أميال.

فلما أن جاء البشير وألقى قميص يوسف على وجهه رد الله عز شأنه عليه بصره:

﴿ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾.

* * * * * * * * * * * *

# يعقــوب عليه السلام

وهـو مـن أولاد إسحاق وقد ولد توأم مع أخيه (عيص) الذى تقدم عليه فى الولادة فكان عيص الأكبر .

أم يعقـوب ابـنة لـوط كمـا أسلفنا ، وإسحاق كـان زعـيما دينيا وحاكما للشـام ، وكـان يرغـب أن يتخذ مـن عيص خليفة لـه حيث كان عيص قوى الشكيمة وذو هيبة وجـلال أكثر من يعقوب وقد فقد إسحاق بصره فى أواخر عمره ، وكان يفكر فى من ينوب عنه من أولاده ولم يصل إلى نتيجة .

مـن صـفات عيص أنه رجل لائق وشجاع ، أما يعقوب فقد كان رؤوف القلـب ومـن أهـل العـلم والعـبادة . ولأنـه كـان كـثير العـبادة والإخـلاص لله سبحانه وتعالى فسمى إسرائيل أى عبدالله .

عـندما توفيـت زوجـة يعقـوب ، رأى فـى المنام بأنـه مـأمور بالذهاب إلى مـنطقة (حـران) وأن يخطـب (راحلة) ابنة لابان ، وعندما قارب يعقوب المدينة حـان وقـت الصـلاة ، فذهـب إلى بئر قريبة من المدينة عليها صخرة كبيرة ودلو كـبير كـان بجـوار البـئر وذلـك لـيأخذ مـنها المـاء ويتهـيأ للصلاة ، فرفع الصخرة وأدلى الدلـو ومـلأ الحـوض الـذى كـان بجـوار البـئر ، وبعـد صـلاته ذهـب لى (لابان) ليروى لهم ما رأى .

فقـال (لابـان) : كنـت قد قررت بأن كل من يرفع الصخرة ويملأ الحوض مـاء فسـأزوجه مـن ابنـتى ، والآن وقـد قمـت بهـذا العمـل فـإن ابنـتى راحلـة سـتكون زوجـتك ، ومـن ذلك الوقت فقد اتخذ يعقوب وأبناؤه من كنعان مقرا لهـم وقـد رزق يعقـوب مـن راحلـة ولديـن هما بنيامين ويوسف وقبلها كان لـه عشـرة أولاد ، وكـان يوسف الأكثر كمالا وجمالا حيث كان يعقوب يحبه حبا جما وكان بقية إخوانه يحسدونه على ذلك .

## يوسف الصديق عليه السلام

### معجزات يوسف:

١- نطق ابن أخت زليخة وهو ابن ١٩ يوما.

عندما اختاره يوسف أن يكون حكما فى قضيته مع زليخة وأم الغلام أخت زليخة للأب وكانت وصيفة فى القصر فكان الغلام بقدرة الواحد الأحد شاهد النفى الوحيد فى القضية أنطقه الله عز وجل فشهد ببراعة فائقة وذكاء مقطوع النظير: ﴿ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾.

٢- صدق تعبيره للرؤيا وهكذا عناية الله عز شأنه بالأنبياء.

* * * * * * * * * * * *

# يوسف الصديق

قال تعالى فى كتابه الكريم يصف قصة يوسف: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [1].

كان يوسف عليه السلام الابن الثانى عشر ليعقوب ، فكان أصغرهم سنا وأجملهم طلعة وأكثرهم لياقة وعزة ، وقد لقب بالصديق لصدقه ، وكان عرضة لحسد إخوانه وذلك بسبب حب أبيه له وقد أظهروا كرههم له لمرات عديدة وبصراحة أمام والدهم .

وكان من اهتمام يعقوب به أنه كان يشترى له الهدايا فيوما يهدى له قميصا ويوما نطاقا وآخر أهدى له عصاه الخاصة فكان يلعب بها ويفتخر على إخوانه بأن أباه يحبه كثيرا ، وعندما كان أولاد يعقوب يسألون أباهم عن سر هذا الاهتمام بيوسف كان يجيبهم: أنا أحب كل أولادى ولأن يوسف أصغركم سنا وأصدقكم قولا ولا يقوم بأى عمل بدون استشارتى وكذلك حبه للعلم فقد حفظ كل صحف إبراهيم فى حين أنكم لم تقرأوا أى كتاب ، ويوسف يعبد الله كثيرا ولذلك أحب أن أشجعه على القيام بالأعمال الحسنة ، وعندما كنتم صغارا فقد كنت أحبكم مثل هذه المحبة ، ويجب عليكم أن تعطفوا على أخيكم الصغير فكانوا يذعنون لكلامه ظاهرا ويضمرون الحسد والحقد له باطنا .

**وفى ليلة حيث كان يوسف نائما انتفض من نومه وكان قلقا وأوصاله ترتعش فأخذ إخوانه يهدئونه ويستفسرون منه عما حدث؟**

---

(١) سورة يوسف ، الآية: ٣ .

فقال لهم : لقد رأيت مناما بأن عصا أبى صارت شجرة فى يدي ، وقد أثمرت والكل كان يأكل من ثمارها ، فضحك إخوانه منه وقالوا : إنها أضغاث أحلام ، وأخبروا أباهم بأن يوسف يرى أحلاما كاذبة ، وتهامسوا فيما بينهم بأن يوسف يدعى أمورا كبيرة يقصد بها تحقيرنا ، ومرة أخرى رأى يوسف فى المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين له ، وعندما استيقظ قص على أبيه ما رأى فى المنام . فقال له يعقوب : يا بنى إن هذا المنام له تعبير عظيم وسوف تصبح حاكما وسيدا على الناس والنجوم الأحد عشر إخوانك والشمس والقمر أمك وأبيك الذين يفتخرون بك وأرجو أن لا تقصص رؤياك على إخوتك حتى لا يناصبوك العداوة .

قال تعالى فى كتابه الكريم يصور هذا : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (١) .

ولكن يوسف قص رؤياه على خالته التى أخبرت بدورها إخوانه بهذه الرؤيا ، فأخذ بالتشاور بينهم بأن يوسف سيصبح غدا سيدا علينا ويجب الإسراع بالقضاء عليه ، ولكنهم كانوا لم يجرأوا على إبراز ما يكنون على مسمع من يعقوب لأنه كان زعيم كنعان وأمره نافذ على الجميع وسخطه عليهم يكلفهم ثمنا باهظا ولكنهم رغم ذلك فقد وضعوا له مخططا لإيقاع الأذى به .

قال تعالى فى كتابه المجيد يصور ذلك : ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ

---

(١) سورة يوسف الآيتان : ٤ ، ٥ .

**آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾** (١) .

ويوما جاؤوا أباهم وقالوا لـه : اسمح لنا أن نأخذ يوسف معنا لنرتع ونلعب ولكى يكتسب التجارب ويتعلم الرعى والزراعة .

فقال لهم يعقوب : أخاف أن تغفلوا عنه ويأكله الذئب أو يسقط فى البئر .

فقالوا لـه : يا أبانا سوف نحافظ عليه لأنه أخونا وعزيزنا ، وقد كان يوسف راغبا فى الذهاب ولم يستطع يعقوب أن يقف أمام رغبته فسمح له بالذهاب معهم وأوصاهم بالحفاظ عليه ، فحملوه على أكتافهم وذهبوا إلى المرعى ، وعندما ابتعدوا عن المدينة غيروا تعاملهم معه فأنزلوه من على أكتافهم وبلهجة خشنة قالوا له : نحن لسنا بمطية حتى نحملك على أكتافنا .

وعندما اشتكى لهم عطشه قالوا له : نحن اليوم صائمون أركز عصاك فى الأرض لتصير شجرة مثمرة ، وأخذوا يستهزئون به ويؤذونه بقولهم : لعلك تريد أن نسجد لك؟ وأخذوا يؤذونه ويقسون عليه ، وعندما كان يحتمى بأحدهم يضربه بشكل أظهروا حقدهم بصورة علنية وقاسية ، ووصل الحد إلى أن أحدهم وهو الأكثر حقدا على يوسف قال : يجب أن نقتله .

فأجابه الآخرون : نحن لا نتحمل وزر مثل هذه الجريمة فنكون مثل قابيل فنشقى فى حياتنا وبعد موتنا . واقترح أحدهم أن يلقوه فى البئر وليكن ما يكون واتفق الجميع على هذا الرأى .

---

(١) سورة يوسف الآيات : ٧ - ٩ .

قال تعالى فى وصف هذا المشهد فى كتابه الكريم :

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ * فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ [١] .

لقد أنزل الله تعالى فى يوسف سورة فى كتابه الكريم يوضح لنا فيها عما اختص الله تعالى به عبده يوسف الصديق من بلائه وحباه من مواهبه ونعمائه وأعطاه ما لم يعط غيره من النبيين وامتحنه بما لم يمتحن به غيره من الصديقين فقال سبحانه فى سورة يوسف مخاطبا حبيبه المصطفى ﷺ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .

وذلك لأن قصة يوسف على الأخص تتضمن من النكات والفوائد والغرائب ما لا يتضمنها غيرها لما فيها من تفاصيل شائقة ودقائق باهرة بنطاق شاسع لم تدع لمعن فى أمره سؤالا .

وقد قيل فى سبب نزول هذه السورة فى القرآن الكريم هو أن بعض كفار مكة المكرمة لقى بعض اليهود وتباحثا فى أمر محمد ﷺ فقال لهم اليهود : سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وسلوه عن قصة يوسف ، فنزلت هذه السورة لهذا السبب[٢] .

(١) سورة يوسف الآيات ١٠- ١٥ .

(٢) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى .

وفى النهاية فقد ألقوه فى البئر وصبغوا قميصه بدم عنزة ذبحوها ورجعوا إلى أبيهم بعيون باكية ووجوه حزينة يتشبهون بالمفجوعين .

وقالوا لـه : يا أبانا لقد أكل الذئب يوسف ونحن خجلون منك ولكننا غير مقصرين فى ذلك .

قال يعقوب : كيف يحصل مثل هذا؟

قالوا : لقد تركناه عند متاعنا وذهبنا لنجمع ماشيتنا وفجأة سمعنا صراخه فذهبنا لنجدته فرأينا الذئب قد أكله وهذا قميصه وقد فجعنا بذلك ونحن شريكون غمك وحزنك فأخذ يعقوب قميص يوسف وكان يضعه على رأسه ووجه ويبكى ، ومن شدة حزنه على فراق يوسف فقد عيناه .

وفى نفس اليوم فكر إخوة يوسف بأن يرجعوا إلى المكان الذى كادوا فيه ليوسف ليراقبوا عاقبة أمره فلعله يحاول الرجوع فينكشف الأمر وجاؤوا بالقرب من البئر وأخذوا يترصدون المكان وإذا بقافلة تريد أن تستقى من ذلك البئر ، وعندما أدلوا دلوهم تعلق يوسف بالدلو وخرج من البئر ، ولما رأوه حيا قالوا له بلهجة تهديد : إما أن تمتثل لأوامرنا وإلا فسنقضى عليك ونمحوا اسمك من كنعان . واصطنعوا الأكاذيب وصوروه عبدا آبقا كذابا عاصيا وباعوه لرئيس القافلة ، حيث كانت مسألة بيع الرقيق فى ذلك الزمان من الأمور المتعارفة ، وبعدما اشتروه نقلوه إلى مصر ولم يهتموا بكلامه ظنا منهم أنه كاذب ، وفى مصر باعوا يوسف لعزيز مصر .

زوجة عزيز مصر والتى تدعى (زليخا) كانت عقيما ، وعندما رأت يوسف أعجبت بجماله فقالت لزوجها نتخذه ولدا .

فقال لها عزيز مصر : يجب أن تهتمى برعايته وإذا رأيناه لائقا فسوف نتخذه ولدا ، وأوكلوا له عملا فى بيت زليخا ، وكان كلما يكبر يزداد جمالا ويزداد حب زليخا وتعلقها به إلى حد وصل الأمر بها إلى أنها أصبحت هائمة فى حبه وكلما كان يبتعد عنها وينصحها بالتعفف كانت تزداد حبا وعشقا ، وقد أحسن بالأمر جوارى زليخا وصديقاتها وأخذوا يوجهون لها اللوم ، ولكن زليخا عقدت لهن مجلسا وأمرت يوسف بأن يخرج عليهن ، فلما لاح لأنظارهن قطعن أيديهن حيث كان فى يد كل واحدة منهن سكينا وكانت مشغولة بأكل الفواكه فأعطين العذر لزليخا ، ولكن يوسف كان مؤمنا لا يقدم على محرم ، وبما أن زليخا كانت بعيدة عن الطريق المستقيم فكانت تحاول إقناع يوسف ليلبى لها ما تريد .

وفى يوم من الأيام وعندما كانا فى البيت جاءت لتعرض نفسها على يوسف فأخذت تراوده وتلتمسه بأن يفعل معها المحرم فرفض طلبها وفر من بين يديها فتبعته وتعلقت بقميصه فتمزق القميص ، وفى الأثناء دخل عزيز مصر عليهما البيت فشاهدهما لدى الباب ، وبدأوا بالتحقيق مع يوسف وزليخا عما جرى وحكم القاضى لصالح يوسف قميصه تمزق من ورائه ، وأما زليخا وخشية الفضيحة فإنها حرضت عزيز مصر على أن يسجن يوسف وامتثل العزيز لأمرها وذلك ليسدل الستار على الحادث فسجن يوسف وهو برىء مما نسب إليه ولنأت إلى القرآن الكريم الذى صور هذه الحوادث بأحسن تصوير فنراه يقول فى سورة يوسف : ﴿ **وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ**

لاَ يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسُتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾ (١).

وأرسلت زليخا عدة مرات إلى يوسف تطلب منه بأن ينزل عند رغبتها

---

(١) سورة يوسف الآيات: ٢١ - ٣٥ .

وستطلب له العفو من العزيز ، وكان يجيبها فى كل مرة بأن السجن أحب إلى مما تريدين أن أفعله ، وسوف لن أقدم على عمل غير مشروع .

واستمر الأمر كذلك حتى أصبح يوسف منسيا فى السجن سنين عديدة حيث انشغلت زليخا بأعمالها ونسيت يوسف .

وفى يوم رأى أحد السجناء مناما فأخبر يوسف بما رأى ، فقال له يوسف : لقد ورثت علم تعبير الرؤيا من آبائى الأنبياء أما تعبير رؤياك فإنك سيطلق سراحك من السجن وترجع إلى مزاولة عملك وأرجو منك أن تذكر العزيز بأننى برىء .

وما أسرع أن تحققت رؤيا ذلك السجن كما عبرها له يوسف وعاد إلى مزاولة عمله كخادم عند العزيز ، ولكنه نسى أن يذكر العزيز بأمر يوسف ، ومضت مدة وجاء يوم رأى فيه عزيز مصر مناما بأن سبع بقرات هزيلة تأكل سبع بقرات سمان وسبع سنابل يابسة تأكل سبع سنابل خضراء ، وقد عجز جميع مفسرى الأحلام عن تعبير رؤيا العزيز ، وعندها تذكر الخادم الذى أطلق سراحه من السجن تفسير رؤياه من قبل يوسف فى السجن فأخبر العزيز بأن شخصا فى السجن اسمه يوسف سبق وأن عبر رؤياه فكان تعبيره صادقا وتحققت الرؤيا كما فسرها ، فتذكر العزيز يوسف واستدعاه إليه ، فجاء يوسف ليفسر منام العزيز .

فقال يوسف : سوف تأتى على مصر سبع سنوات تزداد فيها النعم والأرزاق وتأتى بعدها سبع سنوات تجدب فيها الأرض فيجب أن تدخروا فى فترة الخصب وزيادة النعم لسنى الجفاف والقحط .

وفرح العزيز عندما أنبأه يوسف بما سيحدث وقال: إنه ليس بالهين توفير أرزاق الناس لمدة سبعة سنوات وسأل من يوسف هل لك القدرة على تحمل مسؤولية ذلك؟ فقال يوسف: إن الصحف السماوية جاءت بكافة العلوم وأنا مطلع على كل هذه الصحف .

فقال له العزيز: إذن نطلب منك أن تساعدنا فى حل هذه المشكلة لأننا إلى الآن لم نر القحط وليس لنا علم بالأسرار السماوية .

فقال يوسف: أولا:يجب أن يثبت لديكم بأننى لم أرتكب ذنبا ولم أكن خائنا ولم أستحق السجن وعندها سوف أقوم بتولى هذه المسؤولية كما يرام وإلا فكيف يليق أن يتولى مسؤولية الخزانة شخص أتهم بالخيانة؟

فأعاد عزيز مصر التحقيق فى القضية من الذين كانوا شهودا فى الحادث ، وهنا اعترفت زليخا بحقيقة الأمر وشهدت ببراءة يوسف من التهمة بعد أن يئست من تحقيق مأربها معه وقد ندمت على ما فعلت ، فعفا عنها العزيز وولى يوسف ولاية مطلقة على خزائن الأرض .

وتولى يوسف زمام الأمور وأمر أن يقوموا بمضاعفة الجهود لإنتاج أكبر محصول زراعة فى السنين السبع الأولى وأن تخزن المحاصيل فى سنابلها كى لا تفسد .

والآن لنرى كيف يصور القرآن الكريم ما ذكرناه بأحسن القول والتصوير:

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ * وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ

سمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ * وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (١) .

وفى هذه السنين كان يوسف يفكر بوالده ولكن لطفه ومحبته لكونه نبيا جعلته يفكر فى عدم فضح أمر إخوانه ، وكان يعلم أن الرؤيا التى رأى فيها أن الكواكب والشمس قد سجدت له سوف تتحقق كما أرادها وكان يعقوب يفكر أيضا بأمر يوسف ليلا ونهارا ويحدثه قلبه بأن يوسف فى كنف البارى

---

(١) سورة يوسف الآيات ٤٢ - ٥٤ .

سبحانه وأن رؤياه سوف تتحقق فإن رؤيا الأنبياء رؤى صادقة وحقيقية فكان صابرا يرجو تحقق الوعد الإلهى .

واستمر الأمر هكذا إلى أن جاءت سنى القحط والجوع وفى هذه الأثناء مات عزيز مصر ولم يكن هناك من يتولى زمام الأمور من بعده ولا يوجد أليق وأجل من يوسف لهذا الأمر لذا فقد اختير يوسف لخلافة عزيز مصر وقيادة البلاد ووقتها كان القحط والجوع قد بدأت آثاره على منطقة كنعان وحواليها ، وقد انتشر خبر توفر الخيرات والأرزاق فى مصر ففكر أولاد يعقوب بالسفر إلى هناك ليشتروا حبوبا لأسرتهم ، فسألهم يعقوب : أيكم يريد السفر؟

فأجابوه : كلنا نريد أن نسافر لأننا سمعنا بأن عزيز مصر قد خصص لكل قادم إلى مصر حمل بعير من الحنطة لكى يستطيع الجميع من الحصول على الأرزاق ، ونحن أحد عشر أخا فإذا ما ذهبنا جميعا نستطيع أن نحصل على أحد عشر حمل بعير .

فقال لهم يعقوب : ليذهب عشرة منكم وليبقى بنيامين بقربى كى لا أبقى وحدى ولأشم منه رائحة يوسف وأأمل أن تأتوا لى بخبر عن يوسف . فتهامسوا بينهم : إن أبانا لا زال يتذكر يوسف .

ووصل أولاد يعقوب إلى مصر ولأن الحبوب كانت شحيحة ونادرة فإن المتعارف كان بأن يطلع على طلب شراء الحبوب بالنسبة للقادمين على مصر العزيز نفسه ليعرف بأن الحنطة إلى مكان ستصرف وعندما حضر إخوة يوسف بين يدي يوسف عرفهم ولكنهم لم يعرفوه وتظاهر يوسف بأنه لا يعرفهم وسألهم عن أسمائهم وعنوان محل إقامتهم وقال : لقد انتشر بين الناس صيتا

طيبا ليعقوب أرجوا إبلاغ سلامى ليعقوب وكافة أهالى كنعان وبعدها سألهم عن عددهم .

قالوا لـه : فى الحقيقة إنا أحد عشر أخا .

فقال : فلماذا لم تأتوا جميعا؟

فقالوا : لقد أبقى أبونا أخانا الأصغر قربة لكى يشم منه رائحة يوسف .

فسألهم : ومن هو يوسف؟

فأجابوه : إنه الأخ الأصغر لنا وقد أكله الذئب وهو وبنيامين من أم واحدة .

فقال يوسف : حسنا إذا أتيتم ثانية فأتوا بأخيكم بنيامين فإنى أحب أن أرى أبناء العائلة مجتمعين ، وأمر أن يبيعوا لهم عشرة حمول من الحنطة وسرا أمر العاملين فى المخازن بأن يضعوا ثمن الحنطة الذى أخذوه من إخوته فى حمولتهم وأخذ إخوة يوسف حمولتهم ورجعوا إلى كنعان وعندما أفرغوا حمولتهم وجدوا ثمنها قد رد إليهم فقالوا لأبيهم : حقا إن عزيز مصر رجل رحيم وجليل القدر لقد أرجع لنا كل نقودنا وأثنى عليك فشكر يعقوب ربه ، وبعد مدة اضطر إخوة يوسف للذهاب إلى مصر ثانية لشراء الحبوب وقالوا : فى هذه المرة يجب أن نأخذ بنيامين معنا وإلا فإن العزيز سوف لا يبيعنا الحبوب ، وأقنعوا يعقوب بذلك وأخذوا معهم قليلا من المال وقالوا : إن العزيز لا يطمع فى المال الكثير ، ومرة أخرى جاؤوا إلى عزيز مصر فدعاهم إلى ضيافته ، واغتنم الفرصة لكى يعرف نفسه على بنيامين خفية وقال له : لا تذكر هذا الأمر لأحد وإذا ما حدث حادث فالزم الصمت وحتى لو اتهمت بشىء وذلك لكى أقوم بتدبير الأمور وجلب أفراد العائلة إلى هنا ، وبعد أن

انتهى أولاد يعقوب من أخذ حمولتهم وعزموا على المسير نادى المنادى من خلفهم مهلا أيتها القافلة فإن المكيال الذهبى قد ضاع وويل لمن نجده عنده .

فقال إخوة يوسف : نحن لسنا بسارقين .

قالوا : لا مناص لابد من تفتيش الحمولة .

وفتشوا الجميع وتركوا بنيامين آخر من فتشوه فأخرجوا المكيال من حمله ، فعندها قال يجب أن يبقى صاحب الحمل موقوفا لدينا ولا يحق له الخروج من هنا وإذا أردتم أن تأخذوا حمله فذلك لكم ولكنه يجب أن يبقى لكى ينال جزاء فعله .

وألح إخوة يوسف إلحاحا شديدا على طلب العفو عن أخيهم وحاولوا عدم إبقائه لأن أباهم ينتظرهم وهو رجل طاعن فى السن ولا يتحمل فراق بنيامين ، ولم يجد إلحاحهم .

وجاء أحد إخوة يوسف ليقول ليوسف : أيها العزيز إذا كان بنيامين قد ارتكب ذنبا فإنى أرجوا أن تحتجزنى محله لأنى أعطيت عهدا لأبى بأن أرجعه فقال لهم يوسف : هذا غير ممكن لأننا لا نعاقب شخصا بجريرة الآخر .

ويئسوا من اصطحاب بنيامين فتركوه ورجعوا إلى أبيهم وقصوا عليه القصة وأظهروا أسفهم على ما حدث .

فقال يعقوب : إننى أعلم أن بنيامين ليس بسارق وإن الذئب لم يأكل يوسف والله أعلم بحقيقة ما يجرى .

وبعدها كتب يعقوب رسالة إلى عزيز مصر قال فيها : إننى يعقوب بن

إسحاق بن إبراهيم الخليل وإننا نؤمن بالله وباليوم الآخر ، أما أنا فقد أصبحت شيخا ومنذ مدة طويلة فقدت ولدى يوسف وقد ابيضت عيناى من الحزن عليه والآن أخذت منى بنيامين وأنا أعلم أن بنيامين لم يسرق المكيال لأنه لا يوجد فى أسرتنا سارق ، وأرجو منك أن لا تكون سببا فى زيادة حزنى وهمى لأنى لازلت أبحث عن يوسف وأنا فى وضعى المؤلم هذا أرجو منك أن ترد لى بنيامين لتنال رضى الله والسلام .

وقال يعقوب لأولاده : اذهبوا جميعا برسالتى هذه وسلموها إلى العزيز وهو رجل طيب القلب ، وقلبى يعلمنى بأنكم سوف تجدون يوسف بالإضافة إلى بنيامين . وجاء إخوة يوسف برسالة أبيهم إلى العزيز وقالوا له : إن أبانا تحمل الكثير من الحزن والأسى لفراق يوسف وهو لا يستطيع أن يتحمل فراق بنيامين .

فقال لهم العزيز : إذا كان الأمر كما تقولون فلماذا لا تبحثون عن يوسف؟

قالوا : إن الذئب أكل يوسف فكيف نعثر عليه إننا عاجزون عن ذلك .

فقال العزيز : أنا لا أظن أبدا أن الذئب قد أكل يوسف وأعتقد أن يوسف سقط فى البئر ثم بيع إلى تجار الرقيق .

وهنا ظن إخوة يوسف بأن بنيامين قد أفشى سرهم فاستولى عليهم الخوف وقالوا : لا علينا بذلك إن قلوبنا تحترق لحال أبينا .

فقال لهم يوسف : ألا ترون يوسف فهل تفرحون لذلك أو تتذكرون رؤياه وتستهزئون به من جديد ، فاصفرت وجوههم من الخجل وقالوا : إذا ما وجدنا يوسف فإننا سنفرح ولكن الله قدر أن نفقده .

فقال لهم العزيز : إذا كنتم تفرحون فى لقاء يوسف فانظروا إلى

وجهى ، عندها كشف عن رأسه فتجسدت أعينهم ملامح يوسف فعرفوه وكأنهم أفاقوا من رقدتهم وخجلوا خجلا شديدا إلى حد فقدوا شعورهم .

أما يوسف فقد أخذ بتسكين روعهم وقال لهم : إن إرادة الله لا تتبدل وأنا بدورى أعفو عنكم ؛ والآن اذهبوا إلى أبى بهذا الخبر السار وخر إخوة يوسف إلى الأرض ساجدين عندما رأوا عظمة يوسف وصفحه عما اقترفوه بحقه .

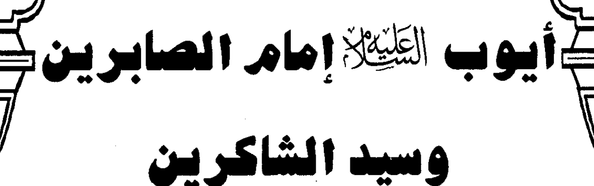
وأعطاهم يوسف قميصه وقال لهم : اذهبوا بهذا القميص الحقيقى إلى أبى وأعطاهم إياه بدلا من القميص الذى لطختموه بالدم الكاذب وقولوا له إن أيام الحزن قد ولت وإن الذى أراده الله سبحانه وتعالى قد تحقق .

وأرسل يوسف معهم هدايا لكافة أفراد عائلة يعقوب .

وما إن وصل قميص يوسف إلى يعقوب وشم رائحته عندها سُر بذلك سرورا كبيرا ورجع إليه بصره وهو بدوره عفا عن أولاده مقابل فرحه بسلامة يوسف .

بعدها ذهب يعقوب وأسرته إلى مصر تلبية لدعوة يوسف وفى أول لقاء حيث وقع الجميع ساجدين لله شكرا على ما حدث .

قال يعقوب : لقد تحققت رؤيا يوسف حيث وصل إلى مقام العزة والرفعة ونحن قد انتهى حزننا وغمنا ، واتخذ أولاد يعقوب من مصر محلا لإقامتهم ولأن يعقوب كان يسمى إسرائيل لذا فإن أولاده يسمون ببنى إسرائيل . وقد ازداد عددهم حتى بلغ عددهم فى عصر موسى عليه السلام بالملايين ولكنهم لم يستمروا بحكم البلاد حيث لاقوا الصعوبات والأذى من أيام حكم فرعون مصر .



# أيوب عليه السلام إمام الصابرين وسيد الشاكرين

**معجزات أيوب:**

١- أجاب الله تعالى دعوته فرد عليه عافيته وكشف ما به من ضر.

٢- أتاه الله عز وجل أهله ومثلهم معهم رحمة منه سبحانه وعبرة لمن أراد أن يحذو حذوه فيسير على نهجه.

وصدق الحق سبحانه: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ .

* * * * * * * * * * * * *

# أيـــوب عليه السلام

يرجع نسب النبى أيوب من الأب والأم إلى هود ويعقوب وكان عصره بعد عصر يوسف عليه السلام وقد شهد أيام عز بنى إسرائيل ، ولكنه بعث فى أيام محنة بنى إسرائيل ، وكان معروفا بالشكر والصبر مواظبا على العبادة متحليا بالصبر متجملا بالشكر ، وكان يدعو الناس لعبادة الله والشكر على نعمائه وينهاهم عن الركون إلى الظالمين وعبدة الأوثان وأهل الضلالة ، ولأنه كان ذا نعمة وجاه وغنى فكان إبليس يوسوس فى صدور الناس وذلك لينظروا إليه نظرة حسد ولا يطيعوا أمره .

وكانوا يقولون أن أيوب إنما يعظ الناس فذلك ناتج من رفاهة وعدم حاجته ، والحقيقة فإن أيوب كان صادقا فى إيمانه وقد جعل الله سبحانه وتعالى من حياة أيوب وسيلة لاختبار الناس ، فقد أخذت نعم أيوب تزول شيئا فشيئا حيث أغرق السيل ماشيته وانهدم منزله واحترقت مزرعته واغتصب بستانه من قبل الحاكم المشرك آنذاك ، وكان أيوب صابرا شاكرا لله ويدعو الناس للقسط والعدل .

قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [١] .

وكان الشيطان يوسوس لقومه أن أيوب لا علم له بمعاناتكم لأنه يعيش برفاه بين أهله وأولاده .

---

(١) سورة الأنبياء الآيتان ٨٣ ، ٨٤ .

وأصيب أيوب بمرض عضال بعد أن مات أولاده حيث أصبح لا يرى طعما للراحة ورغم ذلك فقد كان يشكر الله وينصح الناس بالصبر والعبادة واتباع الطريق المستقيم .

ومرة أخرى يوسوس الشيطان لقومه بأن أيوب أصبح مصابا بمرض معد وسوف يسرى مرضه إلى كل الناس فما كان من قومه إلا أن أخرجوه من المدينة حيث ذاق مرارة العيش فى الصحراء وكان صابرا شاكرا وكانت امرأته تتكسب وتقوم بخدمته ، وجاء يوم لم يبق لديهم ما يسدون به رمقهم ولم تجد زوجته عملا تتكسب منه فلم تتمكن من الحصول على لقمة العيش فجاءتها امرأة من طبقة الأشراف لتشترى منها شعرها الجميل كى تزين به النساء ، وامرأة أيوب لم تر حيلة للحصول على الغذاء غير بيع شعرها .

ووسوس الشيطان لأيوب حيث قال له أن امرأتك سرقت فى المدينة وعوقبت بقص شعرها ، وعندما رجعت زوجته رأت أيوب حزينا ، وعندما رأى شعر امرأته قد قص تأوه آهة شديدة وقال إلهى ما أعظم حلمك فلو عوفيت من هذا المرض لأضربن زوجتى مائة ضربة بالسوط .

قال تعالى فى سورة (ص) يصور هذه الحوادث : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (١) .

---

(١) سورة ص الآيات ٤١ - ٤٤ .

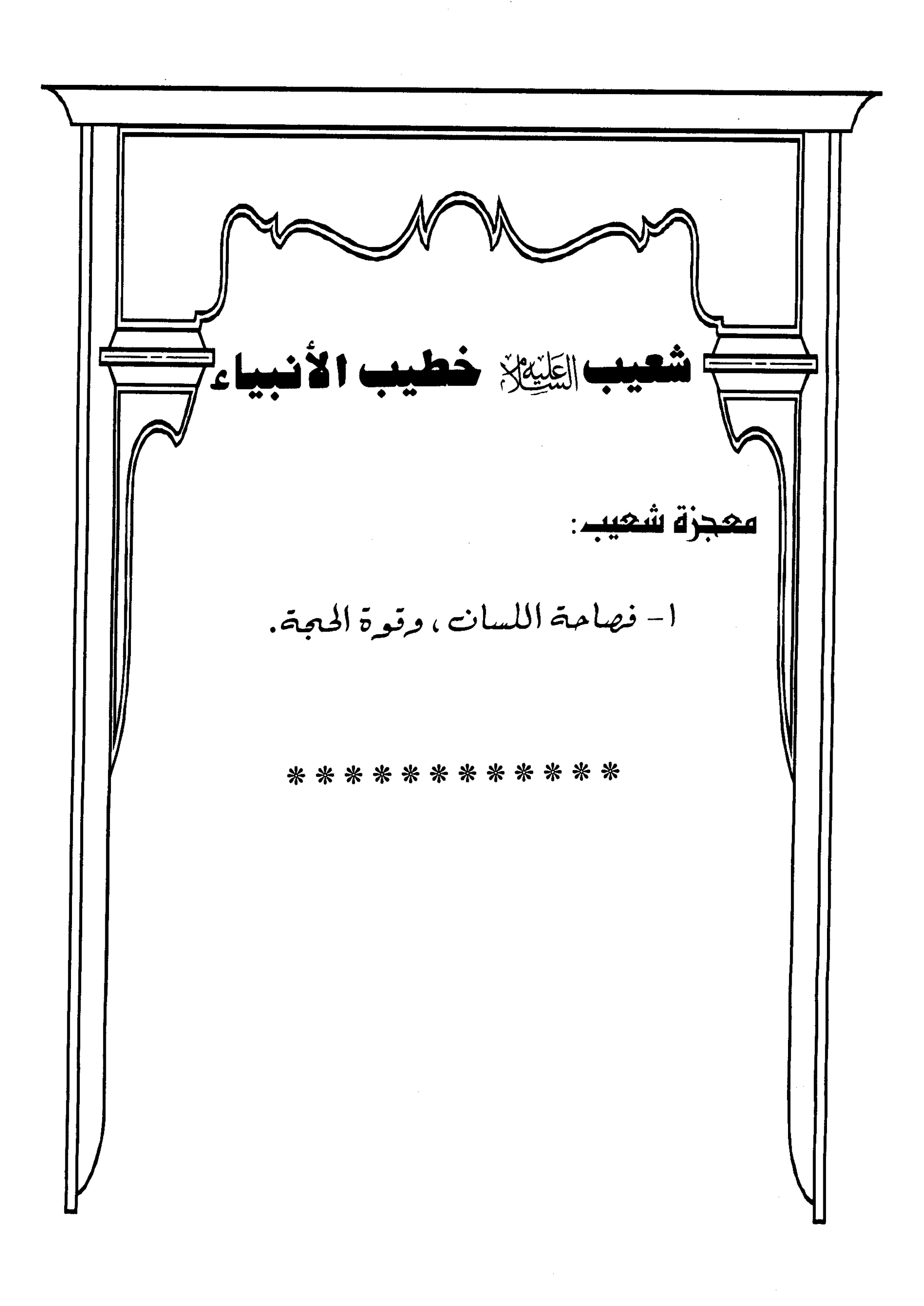
روى عن النبي ﷺ : أعظم الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل وإنما ابتلى الله عز وجل أولياؤه بالبلاء العظيم حتى يهون البلاء على سائر الناس ولكيلا يحتقروا ضعيفا لضعفه ولا فقير لفقره ولا مريضا لمرضه وليعلموا أنه سبحانه وتعالى يسقم من يشاء ويشفى من يشاء بأى سبب شاء ويجعل ذلك عبرة لمن شاء وشقاوة لمن شاء ، وقد ابتلى عبده أيوب بأشد أنواع البلاء على نفس الإنسان فسلبه نعمه الظاهرية الدنيوية فلم يبق له مالا ولا ولدا ولا صحة ، نعم أبقى له عقله وسمعه وبصره ولسانه امتحانا له واستكشافا لمقدار إيمانه وانقياده وثباته وعزمه وأنه هل يتزعزع أو يلتفت لغير خالقه لغير سيده ، لغير إلهه ، لغير صاحب نعمه وهو سبحانه العليم بسرائره وكمال إيمانه وحرصه الشديد على رضا ربه وإنما ابتلاه ليثيبه ويعلى من الدنيا والآخرة درجته .

لقد أخبر سبحانه وتعالى نبيه ورسوله المصطفى عما جرى من قصة أيوب فى سورتى الأنبياء وص وأوعز إليه أن يتذكر ما أصابه ويعلم أمته ويذكرهم بقضيته كى ينتفعوا ويتعظوا ، وإن الحالة لما اشتدت به ووقع فى محنته العجيبة التجأ إلى من بيده الوضع والرفع رافعا طرفه إليه خاضعا ذليلا مسكينا مستكينا معرضا بحاله وبمحنته وما لاقاه من كيد الشيطان الرجيم ووسوسته إلى الناس حتى بعدوا عنه وأبعدوه وتنفروا منه وأخرجوه من بينهم ومنعوا الصالحة زوجته رحمه أن تدخل عليهم فثقل ذلك وتلك الحالات من اللعين الشيطان الرجيم وأتباعه من جنسه وغير جنسه وكان اللعين يأتى لأيوب ويقول له : طال مرضك ولا يرحمك ربك وكان يذكره ما كان فيه من النعمة البالغة والنعيم بالمال والأهل والولد والصحة والاجتماع بخلق الله وقربهم منه ويذكره مقاماته ومجالسه ومواصلاته ويدعوه إلى القلق والضجر

وتشوش البال وتغير الحال فعرض بخطابه لربه داعيا له لإزالة ما به من البلاء والمكروه المسببة عن وسوسة الشيطان وكان اللعين طامعا فى أن يستزله ويوقعه فى المهالك ولكنه كان حذرا من مكره فكان صابرا وإلى حكم ربه مسالما فلا يزيده ذلك إلا تمسكا بإيمانه ودينه وربه فكان ذلك منه سببا لرفع المحنة عنه وإفاضة النعم من سيده ومولاه .

وفى هذه الظروف الصعبة زاره مجموعة من السائرين بركب الشيطان ليطلعوا على حاله ولكنهم أخذوا يشمتون به بقولهم : لو لم يكن لك ذنب فلن تبتلى بهذا البلاء ، فتأثر أيوب من شماتة هؤلاء فتضرع إلى ربه بقوله : رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين حيث أخذ الناس يتهمونى ويشمتوا بى . وقد دام ابتلاء أيوب ثمانية عشر عاما مات فى أثنائها السلطان الوثنى فعاد بستان أيوب إلى ملكه وعادت إليه النعمة والرفاه ، ووفى أيوب بقسمه حيث قام بضرب زوجته بخصلة من الحنطة تحتوى على مئة سنبلة تخفيفا عن مائة ضربة متفرقة بالسوط إكراما لوفائها أيام ابتلائه حيث ثبت له أنها بريئة .

بعدها اختير أيوب نبيا وعاش ثمانية وأربعين سنة أخرى ورزقه الله ولدا صالحا اسمه (شموئيل) وأخذايدعوان الناس إلى الالتزام واتباع الهدى ، ولكن أكثر قومه كانوا من أهل الضلالة على الرغم من أنهم شاهدوا ثبات أيوب فى البلاء ، واستمر أيوب يدعو الناس إلى اتباع الطريق المستقيم بما أوتى من قوة إلى آخر عمره ، وبما أنه كان مستعينا بالصبر والشكر فقد تحمل عصيان قومه وكان لا يدعو عليهم بالعذاب ووقتها كان بنو إسرائيل يمرون بأيام عصيبة حيث العيش صعب على المتدينين منهم . وقضى أيوب أيامه صابرا كان يوصى المؤمنين بمداراة الآخرين حتى يأتى الفرج .



# شعيب عليه السلام خطيب الأنبياء

**معجزة شعيب:**

١- فصاحة اللسان، وقوة الحجة.

*************

## شعيب عليه السلام

كان شعيب معاصرا لنبى الله موسى عليه السلام وهو عربى من سلالة إسماعيل ، فقد بُعث من العرب خمسة أنبياء هم هود ، صالح ، إسماعيل ، شعيب وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان يقال له خطيب الأنبياء لأنه كان أفصحهم قبل أن يبعث الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولبراعته فى إقامة الحجة على قومه ودحض حججهم وشعيب من أهل مدين وهى مدينة خضراء لكثرة الأشجار فيها ، فقد كانوا من عبدة الأوثان ولذا سمى قومه أصحاب الأيكة ، وكان شعيب يرعى الأغنام وعنده أغنام كثيرة وأما أهل مدين فقد كانوا يظلمون شعيبا ويظلمون أنفسهم ومن ظلمهم أنهم كانوا يبخسون الناس فى الكيل والميزان فكان شعيب ينصحهم بأن يلتزموا الصدق والاستقامة لكى تنزل عليهم البركة وتشملهم الرحمة ونتيجة للأذى الذى لاقاه أهل الشام من أصحاب الأيكة فقد آمن بعض منهم بشعيب وكان بينهم وبين أهل مدين خلاف .

وعندما بعث شعيب آمن به ثلة قليلة من قومه وأما الباقون فقد استمروا على ضلالتهم .

قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ**

وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (١) .

والسور التى تعرضت لقصة شعيب هى : الأعراف ، هود ، الشعراء ، العنكبوت وغيرها حيث أن الآيات كثيرة والمضمون فى جميعها متقارب ومدين اسم قريته وفيها قبيلته وأب القبيلة هو مدين بن إبراهيم الخليل فنسبت القبيلة إليه وكذلك القرية ، وشعيب من تلك القبيلة ، ولذا قال سبحانه وتعالى ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ إلخ أى وأرسلنا شعيبا أخاهم إلى مدين وقد بعث أيضا إلى أصحاب الأيكة وهم أيضا أصحابه ، وقد ذكرنا أن الأيكة فى قرب مدين وهى بلاد كثيرة المياه والأهوار والأشجار ، فأتاهم بما أتى به جده الخليل عليه السلام من قبل ربه العلى القدير عظمت كبرياؤه ، أتاهم بأحكام شرعه وقوانينه العادلة فأمرهم بالعدل والإنصاف فى وزنهم وكيلهم فلا يبخسون فى الوزن حين بيعهم لغيرهم ولا يطففون فى الكيل والوزن فيستوفون زائدا حين يبتاعون ويأخذون من غيرهم وأن لا يفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ، وقد بذلوا جهدهم فى إبطال دعوة شعيب عليه السلام وكانوا يقولون له : ﴿ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ وكانوا يحتقرون شأنه بقولهم له : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ ثم يهددونه بقولهم له : ﴿ وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ فلما ضايقهم بحججه وأبطل مزاعمهم اجتمع الملأ منهم وهددوه والذين آمنوا معه بإخراجهم من القرية إذا

---

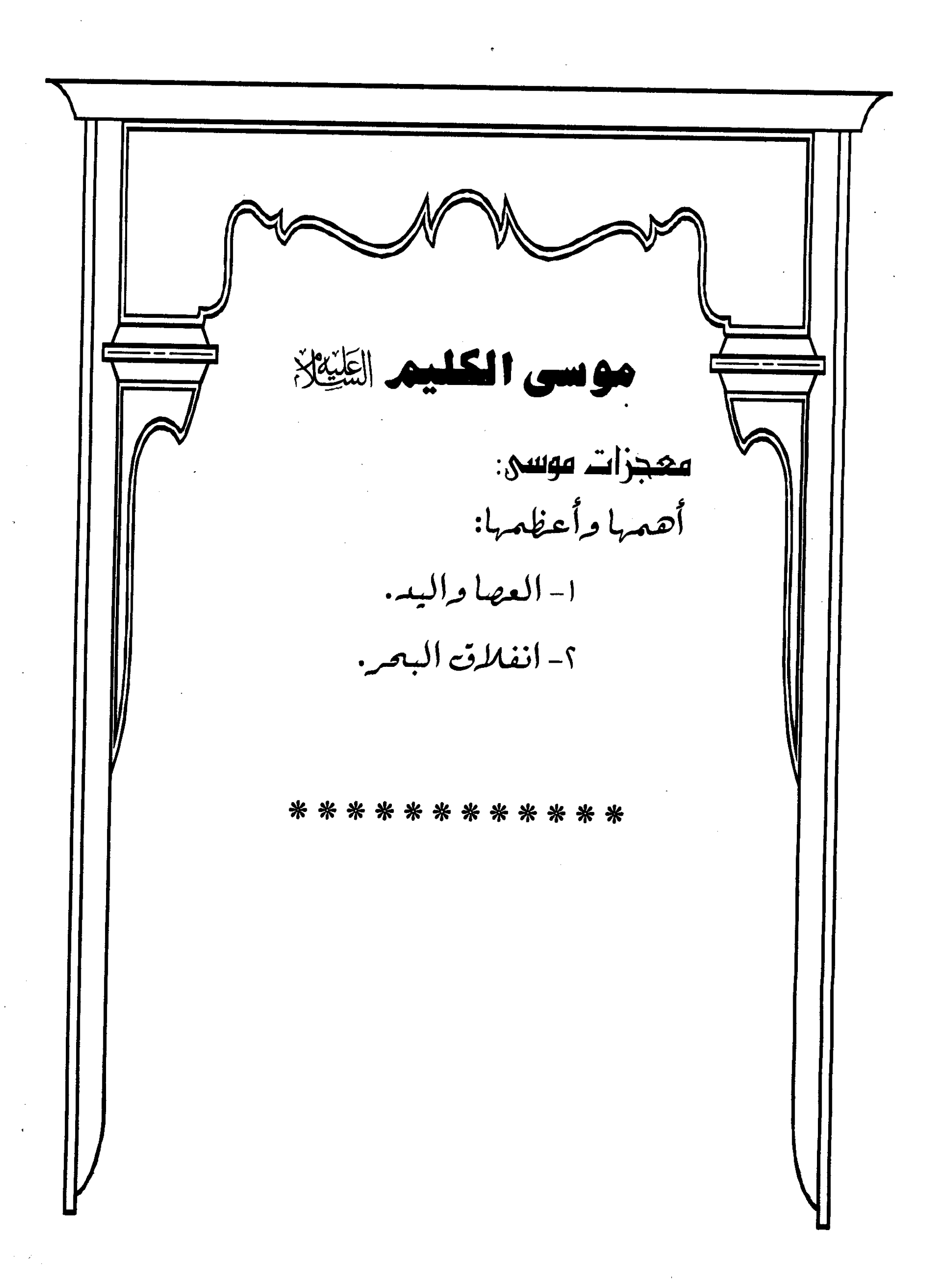
(١) سورة الأعراف الآيات ٨٥ - ٨٨ .

لم يرجعوا عما هم عليه ويدخلون فى ملتهم ودين قومهم بقوله : ولو كنا كارهين ، إنا نكون قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم ودينكم بعد أن نجانا الله منها بالهداية إلى دين الحق ، وإنما يكون ذلك إن أراد الله أن يخذلنا ويبعدنا عن داره وجواره [١] .

أما عشيرة شعيب فقد كانوا مكرمين وأصحاب سمعة طيبة فكان قومه يقولون له : لولا عشيرتك لأخرجناك من المدينة فأنت تكذب علينا بالرغم من كونك فرد منا - فإذا كنت صادقا فيما تقول فأتى لنا بسحابة تظلل علينا من الشمس وكلما جاء السحاب فكانوا يتحججون بأن يجب أن يصحبنا أين ما ذهبنا وكانوا يختلفون الأقاويل والذرائع ليؤذوا شعيبا ولم ينتهوا من الظلم والفساد ، وبعد أن أتم شعيب الحجة عليهم أنذرهم بنزول العذاب عليهم ، ولكن أصحاب الأيكة كانوا فى ضلال مبين ، ولذلك أصروا على عنادهم بالرغم من إنذاره لهم ، وأخيرا أخرجوا شعيبا ومن اتبعه من بينهم فاستحقوا العذاب حيث نزلت عليهم صاعقة من النار فأحرقتهم ، بعدها قام شعيب ومن اتبعه ببناء مساكن لهم بجوار مدين وعاش هناك حتى جاءه موسى من مصر حيث أصبح شيخا كبيرا طاعنا فى السن .

**********

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم ، العاملى .



# موسى الكليم عليه السلام

**معجزات موسى:**

أهمها وأعظمها:

١- العصا واليد.

٢- انفلاق البحر.

* * * * * * * * * * * *

# موسى كليم الله

كان موسى من بنى إسرائيل ويلقب بكليم الله ، وهو ثالث أنبياء من أولى العزم بعد نوح وإبراهيم ، وقد جاء موسى بكتاب وشريعة سماوية ، وكان يريد أن ينجى بنى إسرائيل من محنتهم .

وموسى بن عمران من سلالة لاوى بن يعقوب الذين كانوا يعيشون فى مصر فى عهد يوسف .

وكان بنو إسرائيل يعيشون حياة المحنة ، وبالرغم من كثرة عددهم إلا أن فرعون حاكم مصر لم يقم لهم وزناً لأنه كان من عبدة الأوثان وبنوا إسرائيل من سلالة الأنبياء ، فكان يضيق عليهم ويكلفهم بالأعمال الشاقة شأنهم شأن العبيد والرقيق وقد أمَّر عليهم الأقباط المصريين وكان فرعون من سلالة عاد وقد اطلع على قصة عاد وثمود وكان يذل بنى إسرائيل خوفاً من أن ينبعث من بينهم نبى فإنه كان يعرف يعقوب ويوسف وأيوب حيث أنه كان خائفاً من الأنبياء لأنهم يدعون إلى عبادة الله ، بينما هو يرى أن الكبرياء يجب أن تكون له وليس لغيره لأنه كان مقتدراً ومسيطراً ، وقد حكم الفراعنة مصر لسنين طوال وأجبروا أهلها على الانقياد لهم .

وفرعون موسى كان أكثر الفراعنة قوة والأحرص على عرشه ودوام حكمه وفى يوم من الأيام أخبره الكهنة بأنهم استنتجوا من خلال حركة النجوم بأنه سيولد خلال هذه السنة مولود من بنى إسرائيل يأتى بدين جديد وسيكون على يديه هلاكك وسيسيطر بنو إسرائيل على الأوضاع فى البلاد فيجب أن تفكر فى هذا الأمر .

فقال لهم فرعون : لست برجل إن لم أُخيّب آمال بنى إسرائيل إنكم لا تعرفون حقيقة فرعون جيداً .

وأمر فرعون ببثّ العيون فى كل مكان ومن ذلك اليوم إلى مدة سنة بأن يذبحوا كل مولود ذكر يولد فى بنى إسرائيل وأن يبقوا البنات لاستخدامهنّ .

وقال : الويل لمن لا يخبر عيوننا عندما يولد له ولد .

وضاق العيش على بنى إسرائيل أكثر من السابق ، ومن تلك السنة لم يسلم مولود ذكر من القتل على يد آل فرعون .

لقد ظلَّ يراقب المواليد الذكور ويقتلهم وحسب الكهنة حساباً وغفلوا عن تقدير الله فإنه إذا ما أراد شيئاً فإنه سيكون لا محالة .

قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ (١) .

كان عمران من بنى إسرائيل ومعروفًا بإحسانه وعبادته لله ، عمله الزراعة والرعى ، له ابنة وولد ، وامرأته كانت آنذاك حاملاً وعندما وضعت حملها الذى كانت تخفيه عن آل فرعون حيث كان ولداً فأخفته مدة عن الأنظار حيث كانوا لا يؤمنون على أرواحهم وروح مولودهم الجديد لأنهم لم يعطوا خبراً عن هذا المولود ، ولا يعرفون ما يفعلون .

وفى المنام رأت أم موسى أحد الملائكة جاء من جانب البحر وقال لها

(١) سورة القصص ، الآيات : ٢ - ٤ .

سلمى أمر هذا الطفل إلى الله لأنه إذا كان فى رعاية الله أفضل مما يكون فى البيت ، وكانت أمه امرأة عاقلة .

قالت : أوصتنى الملائكة بأن ألقى موسى فى الماء ليذهب إلى ما يريده الله له ، فهيئت له تابوتاً ووضعت فيه الوليد وألقته فى اليمّ وأوكلت أمره إلى الله .

لقد كان قصر فرعون مطلاً على نهر النيل الذى أُلقى فيه موسى ومن قضاء الله فقد كانت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون جالسة مع مجموعة من نديماتها وخادماتها على ضفاف نهر النيل ، وهى امرأة عابدة لكنها عقيم وكانت فى ذلك الدلال والنعمة تتحرق شوقاً لكى تكون أم ولد وفى جلستها تلك على شاطئ النيل كانت تأمل أن يتحقق أملها هذا ، فكانت تزرف الدموع بعيداً عن أنظار الآخرين وفى تلك اللحظات سمعت نداءً من السماء قال لها : إن ألم الطلق ألم لا يطاق وسوف نرزقك ولداً بدون هذه المشقة بشرط أن تحافظى عليه جيداً .

وفجأة تراءى إلى عين آسية شيئاً يسير من بعيد فى الماء يشبه الصندوق فأوعزت إلى خدمها بأن يأتوا لها بالصندوق لعل فيه شيئاً نرجعه إلى أهله ليستفيدوا منه .

وعندما وصلوا إلى الصندوق وجدوا فيه ولداً ، عندها تذكرت آسية دعاءها وصوت المنادى فقالت فى نفسها : إنه هو الذى وُعدت به ، فانبسطت أساريرها وعلت وجهها البسمة وقبّلت الطفل وقالت : ما أجمل وألذ أن يكون لى ولد وأن أصبح أُماً .

فقال الخدمة : إن هذا الطفل ظهر إلينا من بين الأشجار والمياه وتحققت أمنيتك .

فقالت آسية : لنسميه باسم الماء والخضراء ، فأسموه موسى وهم فرحين .

وأخبرت آسية فرعون بما حدث وقالت : نتخذه ولداً لكى تقر به عيوننا .

قال فرعون : أخاف أن يكون هو الذى أخبرنى عنه الكهنة .

فقالت له آسية : إن الوقت الذى وعدوا به الكهنة قد انتهى فلا تخف وسنقوم بتربية هذا الطفل مثلما ترغب .

واستدعى فرعون كبير الكهنة وسألهم : ماذا تقولون عن هذا المولود الذى عثرنا عليه فى المياه؟ ولا أدرى من أين جاء؟

أما الكاهن فإنه قد فُجع حديثاً بفقدان ولده فعندما نظر إلى موسى ابتسم موسى فى وجهه فانبسطت أساريره وقال ؛ إن الذى قلناه لكم يتعلق بذلك الوقت ونحن الآن لا جديد عندنا من علم النجوم فهدأ روع فرعون وقَبِلَ بالأمر وأخذ على عاتقه تربية موسى وقال ؛ إذا ما بدا منه أمر يسوءنا فإن السلطة وقطع الرؤوس بأيدينا وفرحت آسية واهتمت بتربية موسى ، أما الطفل فكان يعانى من الجوع وفقدان من يرضعه فقالت : يجب أن نبحث له عن مرضعة فأحضروا له مجموعة من المرضعات المعروفات ليرضعنه وينلن الفخر بذلك ، ولكن موسى لم يرضَ بأى منهنَّ وكان يتلوى من الجوع وآسية مضطربة لا تدرى ماذا تفعل؟

ومن جانب آخر فإن أم موسى علمت أن طفلاً فى بيت فرعون لا يقبل

الارتضاع من المرضعات فأرسلت ابنتها لتعرف الخبر فجاءت أخت موسى واطلعت على الخبر ، فقالت لهم : إننى أعرف مرضعة هل تريدون إخبارها؟

فقالوا لها : لا بأس لنجرّب .

فسألوها عندما حضرت : من أنت؟ فقالت : امرأة عمران ولدىَّ طفل اسمه هارون ولا يزال يرضع وأستطيع إرضاع هذا الطفل فقالوا لها : إذا قبل هذا الطفل ثدييك فذلك يدعو على الفرح فقالت : آمل أن لا أُحرم من شرف إرضاعه . عندها أعطوها موسى فتقبل موسى ثدييها مبتسماً ومسروراً فرضع حتى شبع واستقر حاله ورجع الحق إلى أهله .

وفرحت آسية واتفقت مع امرأة عمران على إرضاعه ، وسأل فرعون عن هذه المرأة المرضعة ولئلا تكون من بنى إسرائيل؟

فقالت آسية : لقد شهد الناس بأن عائلة عمران عائلة معروفة بالإحسان إلى الناس وعدم الأذى والطفل لا يميز بنى إسرائيل من غيرهم ، فالناس يرضعون أطفالهم حليب الأغنام والمعزى والبقر فلم أرى طفلاً إلى الآن صار نعجة أو بقرة ، فسكت فرعون ولكنه كان قلقاً .

وعلى أية حال فإن موسى كان يكبر ويترعرع فى بيت فرعون وكان فرعون يأنس عندما يرى موسى يلعب فى البيت .

ولنرجع إلى القرآن الكريم لنراه يصوّر لنا ما أوردنا بأحسن صورة : قال تعالى فى كتابه المجيد ﴿ **وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *** 

وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

وذات يوم كان موسى جالساً فى حجر فرعون فأمسك فجأة بلحيته المزيَّنة بالجواهر بيد وصفعه بيديه الأخرى وأخذ يضحك فى وجه فرعون فغضب فرعون وقال لامرأته : ألم أقل؟! رأيتى كيف صفعنى؟! دعينى أتخلص من شره؟! أنا خائف من هذا الطفل .

فقالت له امرأته ليس من التعقل ولا يناسب شأنك أن تخاف من طفل بهذا العمر ، إنه يلعب ولا يميز شيئاً وسنختبره وسترى ، وأمرت آسية بأن يحضروا له طبقان أحدهما فيه جواهر حمراء والآخر فيه نار مشتعلة ، وأطلقوا موسى ليروا ماذا يفعل بهذين الطبقين ، فاقترب موسى وهو فى حالة اللعب من الطبقين فترك طبق الجواهر ومد يده إلى طبق النار وأخذ منه جمرة ووضعها فى فمه فاحترق ، فصرخ باكياً . عندها قالت آسية لفرعون : ألم أقل لك بأنه طفل يلعب ولا ينبغى أن يُخاف من حركاته . فهدأ روع فرعون واستمر الحال حتى كبر موسى حيث استمروا بتربيته حسب ما يريدون لكى يطبعوه حسب أوضاعهم ، فكانوا لا يسمحون له أبداً بالخروج لوحده من القصر بل يرسلون معه مرافقاً بشكل دائم .

ولنرجع إلى حال آسية امرأة فرعون فقد كانت عابدة تُخفى عبادتها لله

---

(١) سورة القصص ، الآيات : ٩ - ١٣ .

عن موسى ، وكذلك موسى فإنه يعلم أن إظهار العبادة لله فى بيت فرعون أمراً .

ووصل الخبر إلى موسى بواسطة أحد الموجودين فى قصر فرعون وهو مؤمن آل فرعون الذى يسكن فى بيت فرعون فأخبره بأن آل فرعون اتفقوا على القضاء عليه ونصحه بالخروج من المدينة ليأمن شر آل فرعون .

قال تعالى فى محكم كتابه الكريم يصف ما ورد ذكره : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ * وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ

رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

وعندما علم موسى بتفاقم الوضع ضده وأنه لا يستطيع بعد الآن العيش فى بيت فرعون وفى المدينة ولكون ذهابه إلى بيت أبيه سيسبب له أذىً وظلماً من آل فرعون توكل على الله وقال فى نفسه : يجب أن أذهب من هنا إلى يوم أُعدُّ فيه نفسى وأرجع لأصفّى الحساب مع هؤلاء الظلمة إن شاء الله ، ومن ذلك الوقت أصبحت حياة موسى مهددة بالخطر فخرج من المدينة خائفاً يترقب وأخذ يمشى لوحده فى الصحراء ليلاً ونهاراً مبتعداً عن المدينة إلى أن وصل بالقرب من مدين وبالقرب من مدخل المدينة كان هناك بئر يسقى منه الرعاة ماشيتهم ويستقون منه ، وفى ذلك اليوم الذى وصل فيه موسى إلى ذلك البئر كانت ابنتا شعيب هناك تريدان سقى ماشيتهما حيث قام الرعاة بإغلاق فوهة البئر بصخرة كبيرة فعجزتا عن رفعها وكانتا فى حيرة ، وعندما وقع نظرهما على موسى قالتا له ؛ يا عبد الله لولا ساعدتنا على رفع هذه الصخرة من فوهة البئر ولك من الله الأجر والثواب ، واستجاب موسى لطلبهما ورفع الصخرة وساعدهما على سقى الماشية ، وبعد انصرافهما غسل يديه ووجهه وشرب من ماء البئر وجلس ليستريح حيث أعياه التعب ، أما ابنتى شعيب فقد أخبرتا شعيباً بأن رجلاً غريباً ساعدهما على سقى الماشية وانه ليس من أهل مدين فقال لهم شعيب : الأفضل أن ندعوا هذا الغريب لنشكر له عمله ونقدم له الخدمة مقابل لطفه هذا .

---

(١) سورة القصص ، الآيات : ١٤ - ٢١ .

فأرسل فى طلبه ، ولبّى موسى دعوة شعيب ولأنه يكره أن يسير وراء المرأة لكراهة سير الشاب خلف الشابة فقال لابنة شعيب : أنا أتقدم عليكِ وأنتِ أشيرى لى على الجهة التى يجب أن أتوجه باتجاهها ، حتى إذا وصلا إلى بيت شعيب سلّم موسى عليه حيث قرأ فى وجه شعيب الهيبة والجلال ، فقصّ له قصّته .

فقال له شُعيب : اطمئن لقد نجوت من القوم الظالمين وفرعون لا يستطيع الوصول إلى هنا لأن مدين خارجة عن نفوذه وسلطانه . واذا كان بإمكانك الإقامة عندنا فتساعدنا فى أعمالنا لأننى شيخ كبير وليس عندى ولد وأن هذه المصادقات كلها خير ، فأنا أرغب فى أن أزوّجك إحدى بناتى وتعيش بيننا مقابل القيام برعى الأغنام لمدة ثمانٍ أو عشر إذا استطعت .

وقبل موسى هذا العرض وتزوج ابنة شُعيب وبقى ثمانِ سنوات يعينهم فى أعمالهم وكان يعيش عيشة راضية ، ويوماً بعد آخر كانت بركة الأغنام تزداد وكذلك المحاصيل الزراعية .

قال تعالى فى كتابه الكريم يصف ما جرى لموسى عليه السلام منذ أن خرج من مصر : ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ *

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (١) .

وبعد مضى ثمانى سنوات قال موسى: بالرغم من شوقى للرجوع إلى مصر لكى أقدم خدمة لبنى إسرائيل ولكونكم قوماً صالحين فسأبقى بينكم سنتين أخريين .

فقال له شعيب: ومقابل إحسانك هذا سوف أُكافئك بأن أعطيك كل نعجة سوداء تلد فى أغنامى ، وبعد سنتين أصبح موسى يملك مجموعة من الأغنام ولتحقيق ما كان يصبو إليه توجه موسى إلى مصر مع زوجته وماشيته مودعاً شعيب وقومه .

وفى لحظات الوداع أهدى شعيب عصاه إلى موسى وقال له: إن هذه العصا ورثتها من أجدادى وستستفيد منها فى أعمالك .

وفى الطريق كان موسى يفكر بما يتمناه ويدعوا ربه أن يمكّنه من النصرة والغلبة على فرعون وذلك لكى يُقدم خدمة للناس بهدايتهم إلى الصراط المستقيم ويخلصهم من آل فرعون لتعلو كلمة التوحيد فى كل مكان .

وقضوا فى الطريق ليالىَ وأياماً ، وفى اليوم الخامس حيث كان وقت صلاة العشاء عندما مروا من وادى الأيمن حيث هبَّت عاصفة شديدة فتفرقت

---

(١) سورة القصص ، الآيات: ٢١ - ٢٨ .

أغنام موسى وكانت ليلة ظلماء وباردة وأخذ الرعد والوميض يصكُّ الأسماع ، فلجأ موسى وزوجته التى كانت حاملاً آنذاك إلى تل وأراد أن يشعل لها ناراً ولكنه كلما حاول فلم يوفّق فالحجر لم يولد لهم ناراً يصطلون بها وظل موسى فى حيرة . وفجأة تراءت إلى عينه نارُ من بعيد فقال لأهله : أذهب إلى هناك لكى آتى لكم بنار واتجه إلى جانب النار ومشى مسافة طويلة حتى وصل إلى شجرة كانت منيرة وفى ذلك العالم المملوء بالدهشة سمع موسى نداء يقول : أنا ربُّك يا موسى ، وسأله عما فى يده؟

فأجاب موسى : هى عصايَ أتوكأُ عليها وأهشُّ بها على غنمى ولى فيها مآرب أُخرى .

فأتاه النداء ؛ بأن ألقِ عصاك .

وعندما ألقى موسى عصاه انقلبت العصا إلى ثُعبان فخاف موسى منه .

فأتاه النداء يا موسى لا تخف وامسكها ثانية وأدخل يديك فى جيبك تخرج بيضاء فلما أدخلها فى جيبه خرجت بيضاء منيرة .

وهنا علم موسى عليه السلام أن ما يرجوه قد تحقق وأن الإمداد والنصرة الإلهية قد جاءته وصار كليماً لله فشكر الله على ذلك .

وجاءه الأمر بأن يا موسى إذهب إلى مصر وادعو فرعون إلى الإيمان وبعدها نال موسى درجة النبوة دعا ربه قائلاً ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي ﴾ .

وجاءه الجواب بأن دعاءَك قد استجيب وقد عززناك بأخيك هارون .

ولأن موسى تكلم مع الله فقد سُمِّى كليم الله .

ومن هنا توجه موسى فوراً إلى مصر ، وعندما رأى أخاه هارون فى الطريق بشَّره بالأمر وأخبره بأنهما أصبحا نبيين وقال له ؛ يجب أن نذهب إلى فرعون وندعوه للإيمان ونقوم بإصلاح أمور الناس الدينية والدنيوية .

فقال هارون : كيف يُصدقون كلامنا؟ هل لديك معجزة؟

فأخبره بمعجزة العصا واليد البيضاء عندها اشتدَّ عزم هارون وقال لموسى لنذهب الآن إلى البيت ومن الغد نبدأ بعملنا .

فأجاب موسى : يجب أن لا نتأخر فى الدعوة إلى الحق ، أنت إذهب وابدأ بدعوة الناس وزفَّ البشرى إلى الأصدقاء والأقرباء وأنا أذهب من توِّى وبلباس السفر إلى فرعون لكى أقول له كلمة الحق .

قال تعالى فى كتابه الكريم يصف ما جرى لموسى عليه السلام فى طريقه إلى مصر : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ... ﴾ (1) .

وجاء موسى إلى قصر فرعون وتوجه فوراً إلى مجلس فرعون وعندما دخل المجلس قال : إننى أنا موسى وقد أصبحت الآن نبياً وأتيت لكى أقول لك

---

(١) سورة القصص ، الآيات : ٢٩ - ٣٢ .

يجب أن تؤمن بالله الواحد الأحد وأن تمتنع من ادعاءاتك الباطلة وأن ترفع يد الظلم والجور عن بنى إسرائيل لأنهم أحرار والعاقبة للمتقين .

وامتلكت فرعون الدهشة عندما رأى موسى لأول وهلة وأخذته الرعدة عندما سمع كلامه لأنه لم يسمع لحد الآن شخصاً يخاطبه بهذا الأسلوب الصريح .

فأجابه فرعون : أن لا تستعجل يا موسى واصبر لقد رُبيت فى بيتنا والآن وبعد أن غبت عنَّا سنين جئت تخاطبنا بهذا الأسلوب الذى يصعب علينا سماعه .

فسأله موسى : ألا يعتبر ظلمك للناس أمراً صعباً عليهم؟

إننى مُرسل إليك كى أكلمك فى بداية الأمر باللين والنصيحة وإذا لم يجد الكلام معك فسوف ترى ما لا يرضيك فقال فرعون : إذا كنت كذلك فإن للأنبياء معاجز .

لقد ذهبت من بيننا بذلك اللباس الفاخر وكنا نعتبرك مجرماً ، والآن تتكلم هذا الكلام وأنت ترتدى لباس الرعاة . هل تريد أن آمر بإلقاء القبض عليك ومحاكمتك بجريمة القتل؟

فقال موسى : لقد ذهب ذلك اليوم الذى تستطيع فيه أن تلقى القبض علىَّ وجاء اليوم الذى يجب أن تؤاخذ بما ارتكبته من جرائم ، وهاك معجزتى التى تثبت صدق كلامى .

فألقى موسى عصاه وإذا بها ثعباناً يُهاجم الجالسين حول فرعون فصرخ فرعون : يا موسى أُقسم عليك بحق الحنان والعطف الذى شملتك به آسية امسك ثُعبانك ودعنى أفكر .

فأمسك موسى بالعصا وقال : كرامة لقسمك هذا أعطيك مهلة إلى يوم

غداً كى تجمع أفكارك وتستعد للإيمان بالحق تعالى وأنا سوف آتى غداً مع أخى هارون .

لنتمم عليك الحجة .

لقد ألقى موسى فرعون فى بحر من الحيرة والدهشة ورجع إلى بيته ، أما فرعون فقد تشاور مع المقربين منه وسألهم ماذا سنعمل؟

فنصحوه أن يتكلم معه بلطف وأن عصاه إنما هى سحر يستطيع الكهنة إبطاله .

وفى الصباح عندما جاء موسى وهارون إلى فرعون أخذ فرعون يجادلهما فمرة يتكلم معهما بأسلوب الشدة والتهديد ، ومرة باللين .

واستمهلهما قائلاً : إننا نستطيع أن نأتى بمثل عصاك فتصبح ثُعباناً ودعا السحرة لأن يأتوا بسحرهم .

ويوماًعندما جاء السحرة بعصيهم وحبالهم وألقوها فخيِّل أنها تسعى كالحيّات ، عندها ألقى موسى بعصاه فأكلت ما صنعوا وشيئاً فشيئاً أخذ الناس يؤمنون بموسى

واشتدت عزيمة بنى إسرائيل ، وأما فرعون فقد امتلكه الخوف من جانب ومن جانب آخر كان غير مستعد للتنازل عن ملكه والإيمان بشريعة موسى ، وأخذ يماطل لمدة ، فمرة يعطى عهداً بالإيمان وأُخرى يطلب مهلة وفى الأثناء كان يرى من موسى معاجز جديدة . وفى النهاية قرر فرعون القضاء على موسى بوسوسة من الشيطان وعبدة الأوثان ، أما موسى فكان يريد أن يخلّص بنى إسرائيل من ظلم فرعون بإخراجهم من أرض مصر

ليستقروا فى الأرض التى وعدها الله لهم لكى ينجوا من ذل الحقارة التى كانوا يعيشونها ويرسم لهم طريق العيش الرغيد .

قال تعالى فى كتابه الكريم يصفُ كيفية ذهاب موسى إلى فرعون: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلاَ يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُون * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُون * قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ .

إلى أن يقول: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ * فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١) .

---

(١) سورة الشعراء ، الآيات ١٠ - ١٧ ، ٢٩ - ٤٨ .

واستغل موسى المهلة التى أعطاها لفرعون فأمر بنى إسرائيل ان يستعدوا وأن يحملوا معهم ما يستطيعون حمله ليخرجوا معه من مصر لكى ينالوا ما وعدهم الله به ، وعندما اطلع فرعون على نيَّة بنى إسرائيل على الهجرة قال فى نفسه بأنهم يريدون الفرار سأجمع جيشى وأقضى عليهم جميعاً .

وفى الليلة التى كان فيها بنوا إسرائيل خارجين من مصر كانت قوات فرعون تطاردهم وكان البحر فى طريقهم ، ولما وصلوا إلى البحر فضرب موسى بعصاه الماء فانشق البحر وأخذ بنو إسرائيل يسيرون فى طريق يابس بين المياه ، وعندما اجتازوا البحر كانت جيوش آل فرعون تتعقبهم فى وسط البحر أمر موسى ماء البحر بأن يطبق عليهم وغرق آل فرعون وأثناء الغرق نادى فرعون إنى آمنت بربّ موسى وهارون فجاءه الجواب بأنك من المغرقين ولكنك ستنجى ببدنك لتبقى عبرة للآخرين .

وفى مصر أخذ مؤمن آل فرعون الذى كان حليف موسى يروج الأحكام الإلهية ، أما موسى وبنو إسرائيل فإنهم وصلوا إلى صحراء تيه جاسان .

قال تعالى فى كتابه المجيد : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾[١] .

أما بنو إسرائيل فكانوا لا يأتمرون بأمر موسى لكى يقوموا ببناء حياتهم

---

(١) سورة يونس ، الآيات : ٩٠ - ٩٢ .

من جديد وكانوا يطلبون منه أمور تعجيزية ، أما فى أوقات التضحية فإنهم كانوا يتهربون متوسلين بالحجج والحيل والزرائع ولأنهم لم ينقادوا لأمر موسى عليه السلام فإنهم تاهوا فى الصحراء ولم يصلوا إلى الأرض الموعودة ، وكان مما طلبوا من موسى أن يأتيهم بكتاب جامع للأحكام وآداب الشريعة فقرر موسى أن يذهب لمدة شهر إلى جبل طور ويعبد الله لينزل عليه الكتاب وأمَّر هارون عليهم لينظم شئونهم ، وذهب هو إلى طور سيناء واستمرت مدة غيبته عن بنى إسرائيل أربعين يوماً حسب الإرادة الإلهية ، ولما طالت غيبته قام رجل يدعى سامرى وبأمر من الشيطان بنحت تمثال عجل من الذهب وكان له خوار وصوت فقال لهم إن روح الله دخلت فى هذا العجل ولذلك أبطأ موسى علينا وأخذ الناس يعبدون العجل ولا يأتمرون بأمر هارون ، وعندما عاد موسى إلى قومه يحمل الألواح التى كُتبت فيها آيات التوراة وجدهم قد ارتدُّوا فغضب موسى عليهم وقضى على السامرى الدجَّال وعجله ووبَّخ هارون على تركه القوم يقومون بهذا الفعل .

فقال له هارون : يا أخى لا تؤاخذنى بمرأى من بنى إسرائيل فإنهم لم يسمعوا كلامى وكادوا أن يقتلونى .

ومن ذلك الوقت تحمَّل موسى الأذى والمشقة فى دعوة الناس للإيمان بما جاء فى كتاب الله .

وقام موسى ببناء مكتبة للتوراة فى بيت المقدس وثبت أركان شريعته ، ولكن بنى إسرائيل لم يأتمروا بأمر موسى بشكل مرضى فبعضهم كان يحرص على جمع الأموال مثل قارون ابن عمٍّ موسى حيث كان لديه أربعين كنزاً ، ولكنه لم يدفع الزكاة وكان يستصْغِرُ موسى إلى أن دعا عليه موسى فابتلعته الأرض .

وبالرغم مما كان يعاني موسى من قومه إلا أنه لم يغضب عليهم سوى مرتين الأولى فى حادثة السامرى والعجل والثانية غضب على قارون ، ولم يدعو عليهم بالعذاب ولكن الأذى الذى نالوه كان أعمالهم ، وعندما اقتربت أيام وفاة موسى نصَّبَ يوشع بن نون خليفة من بعده وقال لبنى إسرائيل إعلموا أن عمرى شارف على الانقضاء ولن تنالوا النجاة إلا بطاعة الله ، إعملوا صالحاً وتقيدوا بكتاب الله ولا تخلطوا الحق بالباطل .

بعدها ذهب موسى إلى جبل طور ليختلى ويناجى ربه وهناك قضى نحبه وحيداً عن عمر دام مائة وعشرين عاماً .

وقالوا : إن الملائكة تولّت دفنه وأن قبره غير معلوم الحال إلى أن يشاء الله تعالى .

**ما أوتى موسى عليه السلام :**

قال الله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ .

وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاو بن يعقوب . قال كعب الأحبار : كان موسى بن عمران رجلاً آدم اللون جعد طويلاً وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة ، وكان أيضاً على طرف لسانه شامة سوداء .

يروى أنَّ إبليس سئل هل أحببت أحد من العالمين قال لا إلا موسى بن عمران فقيل له وكيف ذلك فقال : لأن الله تعالى قال وألقيت عليك محبة منى فلم أتمالك أن أحببته . وقد أخبر الله عز وجل أنه أعطى موسى عليه السلام تسع آيات (العصا ، واليد ، والدم ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ،

والطمس ، وفلق البحر) .

وجاء في تفسير الإمام القرطبي : أن الآيات التسع هي : (العصا ، واليد ، واللسان ، والبحر ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم آيات مفصلات) فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين .

وفى سورة الإسراء [الآية : ١٠١]: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾ .

وقد [(١)] ذكر فى القرآن الكريم أشياء كثيرة من معجزات موسى عليه السلام

**أحدها:** إزالة العقدة من لسانه وصار فصيحاً .

**وثانيها:** انقلاب العصا حية .

**وثالثها:** تلقف الحية حبال السحرة وعصيهم مع كثرتها .

**ورابعها:** اليد البيضاء .

**وخمس أخر:** وهى الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفاع ، والدم (والعاشر) شق البحر ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾ .

**والحادى عشر:** الحجر ﴿ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ .

**والثانى عشر:** إظلال الجبل ﴿ وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ .

**والثالث عشر:** أنزل المن والسلوى عليه وعلى قومه .

**والرابع عشر والخامس عشر:** قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ

---
(١) دلائل النبوة : للإمام البيهقى ، ج١ ، ط الريان .

بالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ ﴾ .

**والسادس عشر:** الطمس على أموالهم من النخل والدقيق والأطعمة .

وذكر الله [١] جل شأنه فى القرآن الكريم هذه المعجزات الست عشرة لموسى عليه السلام .

وتخصص التسعة بالذكر لا يقدح فيه ثبوت الزائد عليه أما الآيات التسع فقد اتفقوا على سبع منها وهى العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وبقى الاثنتان ولكل [٢] واحد من المفسرين قولا آخر فيهما .

وأجودهما ما روى صفوان بن عسال أن يهودين قال أحدهما لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبى نسأله فقال : لا تقل نبى فإنه إن سمعك تقول نبى كانت له أربعة أعين فأتيا النبى ﷺ فسألاه عن قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ فقال رسول الله ﷺ: **«لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا تسرقوا ، ولا تسحروا ، ولا تمشوا ببرئ إلى سلطان فيقتله ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف شك شعبه وعليكم يا معشر اليهود خاصة لا تقلدوا فى السبت فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد أنك نبى قال: فما يمنعكما أن تسلما؟ ، قالا : إن داود دعا الله أن لا يزال فى ذريته نبى وإنا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود»** قال: هذا حديث حسن صحيح [٣] .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) الترمذى : (٥/ ٣٠٦) .

**الكلام عن بعض معجزات موسى عليه السلام (معجزتا العصا واليد) :**

قال تعالى تعالى : ﴿**قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ**﴾ صدق الله العظيم . معنى قوله تعالى فى الآية الكريمة : ﴿**ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ**﴾ الثعبان ذكر الحيات ووصفت هنا بأنها بكونها ثعبانا وفى آية أخرى كأنها جان والجان الحية الصغير ووجه الجمع أنها كانت فى العظم كالثعبان العظيم وفى خفة الحركة كالحية الصغيرة .

ولما قال السحرة لموسى عليه السلام إما أن تلقى عصاك وإما أن نكون الملقين قال ألقوا أنتم حبالكم فلما ألقوا حبالهم وعصيهم سحروا أعين الناس وصرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿**وَاسْتَرْهَبُوهُمْ**﴾ خوفوهم حيث حولوها حيات تسعى فلما ألقى موسى عصاه بلغ ذنبها وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففزعوا ووقع الزحام فمات منهم خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت فى يده عصا كما كانت فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر فخروا لله ساجدين وقالوا : لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا ولكنها عدمت بقدرة الله تعالى .

فلما ألقى موسى عصاه التى أودعها الله القوة الخارقة فإذا هى ثعبان مبين كما بينا سابقا فتحير فرعون وملكه الكبرياء والفزع ثم قال قوله المتغطرس هل لديك من معجزة غيرها؟

ظانا بذلك نهاية الشوط وأن موسى لابد عاجز ولكن الرسول موسى

عليه السلام أدخل يده فى جيبه ثم نزعها فإذا هى شعاع ينبعث منها يكاد هذا النور الذى انبعث منها يأخذ بالأبصار ويذيع وينتشر حتى ليكاد يسد الأفق [١] . ثم إذا ردها إلى جيبه صارت إلى لونها الأول .

## من معجزات موسى عليه السلام

## [ الطوفان - الدم - الجراد - القمل - الضفادع - الطمس - فلق البحر ]

قال [٢] سعيد بن جبير: لما آمنت السحرة رجع فرعون مغلوبا أى هو وقومه أبى إلا الإقامة على الكفر والتمادى على الشر فتابع الله عليهم الآيات فأخذهم أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم من قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال: يا رب إن عبدك فرعون علا فى الأرض وبغى وإن قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم:

### الطوفـــان:

وهو الماء فأرسل الله عليهم المطر من السماء وبيوت بنى إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا فى الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء فى بيوت بنى إسرائيل شىء وركب ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا أن يحرثوا ولا يعملوا شيئا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ، فاستغاثوا بموسى فأزال الله عنهم المطر وأرسل الريح فجفت الأرض فلما كشف عنهم ذلك قالوا له والله لا نؤمن لك ولا نرسل معك بنى إسرائيل فنكثوا العهد ولم يؤمنوا فأقاموا

---

(١) قصص القرآن: محمد أحمد جاد المولى ، ط دار الفكر بشىء من التصرف .
(٢) الفتوحات الإلهية: للجيلى الشهير بالجمل ، ط دار الفكر .

شهرا فى عافية فأرسل الله عليهم:

**الجـــراد:**

فأكل النبات والثمار وأوراق الشجر حتى كان يأكل الأبواب وابتلى الجراد بالجوع فكانت لا تشبع ولم يصب بنى إسرائيل شىء من ذلك وعظم الأمر عليهم حتى صارت عند طيرانها تغطى الشمس ووقع بعضها على بعض فى الأرض ذراعا فضجوا من ذلك وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فأعطوه عهد الله وميثاقه فدعا موسى عليه السلام فكشف الله تعالى عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام وفى الخبر: مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم فبعد ما كشف الله عنهم رجعوا وقالوا ما نحن بتاركى ديننا ولم يؤمنوا ، وأقاموا شهرا فى عافية وعادوا إلى أعمالهم الخبيثة فأرسل الله تعالى عليهم:

**القمـــل :**

وهو نوع من القراد وقيل: إنه القمل المعروف فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الأرض كان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمص دمه وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلئ قملا ، ومنعهم النوم والقرار فصاحوا وصرخوا هم وفرعون إلى موسى أن يدعو ربه فيكشف الله عنهم ورفع عنهم القمل بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم ولم يؤمنوا فأرسل الله عليهم:

**الضفـــادع:**

فملأت بيوتهم وطعامهم فكان الواحد منهم يجلس فى الضفادع إلى

رقبته ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع فى فمه وكان يكلأ قدورهم ويطفئ نيرانهم وكان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاما حتى لا يستطيع أن ينقلب إلى شقة الآخر فدعوا موسى أن يدعو ربه ليكشف عنهم فلما كشف الله عنهم ونكثوا أيمانهم ولم يؤمنوا فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا شهر فى عافية فأرسل الله عليهم :

**الـــدم :**

فصارت مياههم كلها دما وكان أحمر خالصا فما يستقون من بئر ولا نهر إلا وجدوه دما فأجهدهم العطش جدا حتى أن القبطية تأتى المرأة من بنى إسرائيل فتقول لها اسقينى من مائك فتصب لها من قربتها فيعود فى الإناء دما حتى كانت القبطية تقول للإسرائيلية اجعليه فى فيك ثم مجيه فى فىَّ فتأخذه فى فيها ماء وإذا مجته فى فيها صار دما واعترى فرعون العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها صار ماؤها دما فمكثوا على ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم فأتوا موسى وشكوا إليه ما يلقونه وقالوا : ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الذلة فنؤمن بك فدعا موسى فكشف عنهم .

ومع كل هذه الآيات وهذا العقاب الذى سلطه الله عليهم لعنادهم وتكبرهم استكبروا عن الإيمان بها وكانوا قوما خاسرين .

**معجزة تكليم الله لموسى :**

قال الله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ

تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا...﴾ [١] .

قال أهل التفسير [٢]: لما جاء موسى لميقات ربه وطهر ثيابه وصام ثم أتى طور سيناء فأنزل الله ظله غشيت الجبل من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الأرض ونحى عنه المكلفين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما فى الهواء ورأى العرش بارزا وأدناه ربه حتى سمع صريف الأقلام .

وكلمه وكان جبريل معه فلم يسمع ذلك الكلام فاستحلى موسى كلام ربه فاشتاق إلى رؤيته تعالى فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ وكلمه ربه أى أزال عنه الحجاب حتى سمع كلامه بجميع أجزائه من جميع جهاته لأن الله أنشأ له الكلام لأن الله سبحانه وتعالى دائما متكلم يستحيل عليه تعالى السكوت ولم يصل لنا معنى ما فهمه موسى من تلك المكالمة .

فلما كلمه ربه: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ هذا من تنزلات الحق سبحانه وتعالى لموسى وتسلية له على ما فاته من الرؤية وهذا الجبل كان أعظم الجبال واسمه زبير فحجبه عن الرؤية رحمة به لعدم طاقة الجبل على ذلك فضلا عن موسى .

وفى رواية [٣]: أمر الله ملائكة السماوات السبع بحمل عرشه فلما بدا نور عرشه سبحانه وتعالى انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى .

وقال ابن عباس: لما وقع النوم عليه تدكدك أما الظهور الجسمانى فمستحيل عليه تعالى ، ويروى عن سهل بن سعد الساعدى: أن الله تعالى

---

(١) من الآية رقم (١٤٣) من سورة الأعراف .
(٢) الفتوحات الإلهية: للجمل ، ج١ ، ط دار الفكر ، بيروت .
(٣) الفتوحات الإلهية: للجمل ، ط دار الفكر ، بيروت .

أظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا . اهـ .

## معجزة الطمس على أموال بنى إسرائيل :

لما يئس [١] موسى عليه السلام من إيمان بنى إسرائيل وإيمان فرعون دعا موسى وأمن هارون فقال : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَـيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [٢] فاستجاب الله لهما فمسخ الله أموالهم ما عدا خيلهم وجواهرهم وزينتهم فأصبحت حجارة والنخل والأطعمة والدقيق وغير ذلك فكانت إحدى معجزات موسى عليه السلام .

## معجزة فلق البحر بعصاه :

لما [٣] طال الأمر على موسى أوحى الله إليه يأمره بالمسير ببنى إسرائيل وأن يحمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالأرض المقدسة فسأل موسى عنه فلم يعرفه إلا امرأة عجوز فأرته مكانه فى النيل فاستخرجه موسى وهو فى صندوق فأخذه معه فسار وأمر بنى إسرائيل أن يستعيروا من حلى القبط ما أمكنهم ففعلوا ذلك وأخذوا شيئا كثيرا وخرج موسى ببنى إسرائيل ليلا والقبط لا يعلمون فتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان : ﴿فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [٤] يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا أما الأول فكانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا وأما الآن فيدركنا

---

(١) الكامل فى التاريخ : لابن الأثير ، ج١ ، ط دار الكتب العلمية .
(٢) سورة يونس آية : ٨٨ .
(٣) الكامل فى التاريخ : لابن الأثير ج١ ، ط دار الكتب العلمية .
(٤) من الآية رقم (٦١) من سورة الشعراء .

فرعون فيقتلنا قال موسى: ﴿ ...كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[١]

وبلغ بنو إسرائيل إلى البحر وبقى بين أيديهم وفرعون من ورائهم فأيقنوا بالهلاك فتقدم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط من أسباط بنى إسرائيل طريق فقال كل سبط قد هلك أصحابنا فأمر الله الماء فصار كالشباك فكان كل سبط يرى من عن يمينه وعن شماله حتى خرجوا ودنا فرعون وأصحابه من البحر فرأى الماء على هيئة والطرق فيه فقال لأصحابه ألا ترون البحر قد فرق منى وانفتح لى حتى أدرك أعدائى فلما وقف فرعون على أفواه الطرق لم تقتحمه خيله فنزل جبريل على فرس أنثى فشمت الحصن ريحها فاقتحمت فى أثرها حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فأغرقهم وبنو إسرائيل ينظرون إليهم وانفرد جبريل بفرعون يأخذ من طين الأرض فيجعلها فى فيه وقال حين أدركه الغرق: ﴿ ...آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ... ﴾[٢]. وغرق وقال جبريل للنبى ﷺ: «**لو رأيتنى وأنا أدس من حمأة البحر فى فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها**»[٣]. فلما نجا بنوا إسرائيل قالوا: إن فرعون لم يغرق فدعا موسى فأخرج الله فرعون غريقا فأخذه بنوا إسرائيل يتمثلون به. ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ أى مصاحبا درعك المعروفة بك: (لتكون) أى أنت آية ﴿لِمَنْ خَلْفَكَ ﴾ أى من بنى إسرائيل ودليلا على قدرة الله الذى أهلكك ولهذا قرأ بعض السلف: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾

---

(١) سورة يونس: ٩٠.
(٢) أخرجه الترمذى: ٤ / ١٢٥ وقال: حديث حسن صحيح.
(٣) أخرجه الترمذى: ٤ / ١٢٥ وقال: حديث حسن صحيح.

ويحتمل أن يكون المراد: ننجيك ببدنك مصاحبا درعك لتكون علامة لمن ورائك من بنى إسرائيل على معرفتك وأنك هلكت والله أعلم .

وقد كان هلاكه وجنوده فى يوم عاشوراء .

كما قال الإمام البخارى فى صحيحه: عن ابن عباس قال: قدم النبى ﷺ المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: **«ما هذا اليوم الذى تصومونه»** فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون قال النبى ﷺ لأصحابه: **«أنتم أحق بموسى منهم فصوموا»** [1] . والله أعلم .

## وفاة موسى عليه السلام :

كان [2] موسى عليه السلام زاهدا فى الدنيا راغبا فيما عند الله وقال النبى ﷺ إن الله أرسل ملك الموت ليقبض روحه فلطمه ففقأ عينه فعاد وقال: يا رب أرسلتنى إلى عبد لا يحب الموت قال الله: ارجع له وقل له: يضع يده على ظهر ثور وله بكل شعرة تحت يده سنة ، وخيره بين ذلك وبين أن يموت الآن فأتاه ملك الموت وخيره فقال له: فما بعد ذلك؟ قال: الموت قال: فالآن إذا فقبض روحه وهذا القول صحيح قد صح النقل به عن النبى ﷺ فكان موته فى التيه وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة .

* * * * * * * * * *

(١) قصص الأنبياء: لابن كثير .
(٢) الكامل فى التاريخ: لابن الأثير ، ج١ ، ط دار الكتب العلمية .

# الخضر وإلياس

# عليهما السلام

أما الخضر فهو مرشد موسى.

وأما إلياس فهو هادى التائهين ومنقذ الحائرين...

**معجزاتهما:**

١- إنهما أحياء فى الأرض.

٢- خص الله تعالى الخضر بالعلم الربانى الغيب الخفى من فيض علمه عز شأنه فأخبر موسى بما لم يعلم.

٣- خص الله تعالى إلياس بالقوة فمكنه من إنقاذ التائهين وإرشاد الحائرين.

************

# الخضـــر وإليــــاس

كـان الخضـر مـن أبناء الملوك وأبـوه من ذوى النعم والثراء ، وكان يحب الحكمـة وسلوك الأنبياء . وفـى الوقت الـذى كـان يعيش فى كنف عائلته كان يتبنى البؤساء ويكف عنهم أذى الظالمين .

وعندما بُعث نبيا أمر بأن يدعو قوم ذى القرنين للإيمان .

أما ذو القرنين فقد كان حاكما مقتدرا ويكن احتراما كبيرا للخضر ويثنى على عبادته لله ويشاوره فى أموره ، وقد أوكل إليه إدارة شؤون الناس الدينية ، وذو القرنين يعتبر أول ملك يحترم ويؤمن بدعوة نبى يبعث فى قومه حيث كان من الحكماء ومن المعمرين ولكنه كان يرغب بأن يبقى خالدا ، وقد قرأ فى الكتب بأن هناك وفى هذه الدنيا عين تسمى ماء الحياة ومن يشرب منها يبقى خالدا لا يموت ، وسئل سر ذلك من الخضر فأخبره بمكانها وعندما علم أن عين ماء الحياة تقع فى منطقة مظلمة عزم على الذهاب إلى هناك بمعية الخضر وإلياس حيث كان إلياس من المبعوثين فى ذلك الزمان أيضا ، وبقوا مدة طويلة يجوبون الأراضى الظلماء من العالم واختبروا كل ماء يجدونه ولكن ذا القرنين لم يوفق لأن يشرب من ماء الحياة أما الخضر وإلياس فإنهما توفقا للوصول إلى عين ماء الحياة وشربا منها ، ولما وصل الخبر إلى ذى القرنين اصطحبهم ليدلوه على مكانها ولكنهم لم يعثروا عليها مرة أخرى ، ولأن مدة السفر قد طالت وشارفت أمتعتهم على النهاية لذا فقد قرروا العودة وذلك ليتجهزوا بالمواد الضرورية ، ولكن عمر ذى القرنين لم يطل ليسافر مرة أخرى ، وأما الخضر وإلياس فإنهما حصلا على الخلود .

يقال إن إلياس كان فى شبابه مصارعا ومن محبى السفر فى البحار ولهذا فإنه كان يقضى وقته يجوب البحار كدليل للتهائهين والمتحيرين .

أما الخضر فكان يعيش على اليابسة وكل شخص يقوم بتقديم الخدمات للناس بصدق وإخلاص ولا يقصر فى حقهم يطلب لقاء الخضر ويطلب حاجته منه فإن حاجته ستقضى وأى سؤال يسأله منه فإنه سيعطيه جوابا شافيا .

والمعروف أن الخضر صار مرشدا لموسى فى أيام كان يفتخر موسى بعلمه الذى كان لديه عندما نزلت عليه التوراة وكان فيها سبعين ألف علم وكان موسى يعظ العبرانيين حيث كان ملم بكل ما يحتاجون من سؤال وقد خالج فكر موسى يوما تفكير بأنه لا يوجد شخص أعلم منه فى هذه الدنيا . عندها أمر الله سبحانه وتعالى موسى ليذهب إلى قرب البحر حيث هناك سيلتقى رجلا أعلم منه ويتعلم منه بعض الأسرار ، وذهب موسى للقاء عالم ذلك الزمان فالتقى بالخضر وقال له أريد أن أصحبك؟

فقال له الخضر : إن من يريد مصاحبتى يجب عليه أن يصبر على ما يرى يجب أن يرى ويسمع ولا يسأل ويعترض على ما أفعل فقبل موسى بذلك وركب الخضر مع موسى فى سفينة ، وفى وسط البحر قام الخضر بخرق السفينة واعترض من فى السفينة على فعله وكان موسى من المعترضين بأن هذا العمل غير محبب إلى النفوس فذكره الخضر بأنه أعطى عهدا بالصبر على ما يرى ولا يسأل شيئا ، وعندما نزلا من السفينة وصلا إلى مدينة وقد ألم بهما الجوع فلما علم أهل المدينة بأنهما غريبان لم يضيفوهما وأخرجوهما من المدينة . وهناك وجدا غلاما فضربه الخضر وقتله ، فاعترض موسى على فعله ! فقال له الخضر إذا اعترضت مرة أخرى فسيكون فراق بينى وبينك

وعندما خرجا من المدينة لاحظا فى أطرافها جدارا يريد أن يسقط فقال الخضر يجب أن نقيم هذا الجدار فأخذ موسى يهيئ الطين والخضر يبنى ، وعندما تعب موسى أخذ يعترض قائلا : إن أهل هذه المدينة أخرجونا من المدينة ولم يطعمونا ولم يكرموننا وأنت الآن تقوم بإصلاح جدارهم هذا؟

فقال له الخضر : لقد اعترضت ثلاث مرات والآن فأنت لا تستطيع أن تبقى رفيقا لى ويجب أن نفترق .

فقال له موسى : إذن اكشف لى أسرار ما فعلت؟

فقال له الخضر : أما السفينة فكانت لمساكين صغار لا يملكون غيرها ، وفى ذلك البحر كان هناك سلطان جبار يأخذ كل سفينة بالقوة وإذا ما استولى على تلك السفينة فلم يبق لأصحابها مورد يرتزقون منه وقد رأيت من الأفضل أن أخرق السفينة لكى لا يطمع بها هذا الظالم وتبقى لأصحابها . وأما الشخص الذى عوقب فكان قد ارتكب جرما كبيرا وهو لا يؤمن بيوم المعاد وكان يريد أن يؤذى أحدا فكانت العقوبة عبرة له .

أما الجدار فكان تحته كنز لأيتام لم يصلوا سن الرشد وإذا ما سقط الجدار فإن الكنز سيبدو للعيان فيؤخذ فقومت الجدار لكى أحفظ الكنز إلى وقت مناسب يستخرج منه .

أما أهل المدينة الذين لم يضيفوننا فإنهم سوف لن ينالوا البر وهذا الأمر لا يدعو إلى الحزن فإننا سوف لا نموت من الجوع وهنا علم موسى بأن هناك أعلم منه فى هذه الدنيا يستطيعون إدارة أمور الناس وحل مشاكلهم ورسم المستقبل لهم فحمد الله على علمه بذلك ورجع إلى مقره .

قال تعالى فى كتابه الكريم يصور ما جرى لموسى عليه السلام مع الخضر بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاَمًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا * قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا *

**فَأَرَدْنَـا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّـكَ أَنْ يَـبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾** (١) .

والمروى عن الباقر عليه السلام: إن الفتى هو يوشع بن نون وكان ملازما لموسى عليه السلام لا يفارقه وكان تابعا له ويخدمه ولذلك سماه القرآن فتاه ، ومجمع البحرين هو ملتقى بحرى فارس والروم على الأظهر وهو المكان الذى وعد موسى بلقاء الخضر فيه .

**************

(١) سورة الكهف الآيات ٦٠ - ٨٢ .



# يوشع بن نون عليه السلام

## أى "اليسع"

اشتغل بهداية العبرانيين وتعليمهم التوراة وكان دليلا لبنى إسرائيل للوصول إلى الأرض الموعودة.

* * * * * * * * * * * *

# يوشع بن نون

يعرف يوشع بالعربية أى (اليسع) وهو من أحفاد شمعون بن يعقوب وابن عم موسى وصديقه وخادمه والقائم بأعماله فى هداية العبرانيين ، وتربى على يد موسى سنين طويلة وقرأ كل التوراة وكان أعلم بنى إسرائيل وأقدرهم فى الجهاد وأسبقهم فى عمل الإحسان والعبادة حيث كان مشهورا ومعروفا .

ويوشع كان يعلم العبرانيين التوراة وينشر شريعة موسى عليه السلام وهو الذى كان دليلا لبنى إسرائيل للوصول إلى الأرض الموعودة وكان جادا فى تنفيذ أحكام الشريعة ونصيحة قومه فكان يقول: إن عدم تحقق الآمال والخسران والعناء كلها ناتجة من عدم الطاعة للأحكام الإلهية .

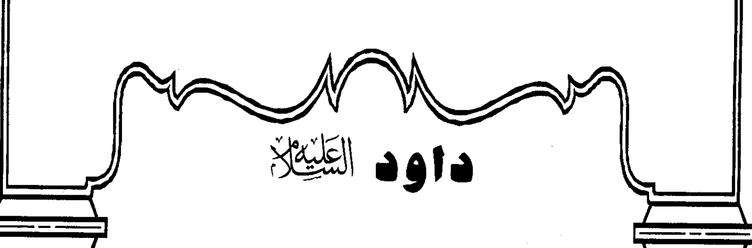
ويقال: إنه فى يوم من الأيام عندما انهزم أعوانه فى حرب لهم مع الكفار سألهم يوشع أن ابحثوا عن شخص مذنب بيننا فإن الهزيمة لحقت بنا جراء وجوده بيننا ، فوجدوا رجلا من بينهم قد سرق مئة درهم فعاقبوه وطردوه من بينهم وأعادوا الكرة فانتصروا .

ومرت على بنى إسرائيل فترة القحط وشحة فى الأرزاق والإعسار فصعد يوشع المنبر وقال: أنا أعلم أن القحط سببه ارتكاب الذنوب فى صفوفكم فاعترفوا بذلك وتوبوا ، فاعترف أحدهم بذنوبه فنال جزاءه فارتفع القحط عنهم .

وقد بقى يوشع بعد موسى مدة تسع سنين وثمان أشهر وقام بإصلاح الأمور على أحسن وجه وبعد رحيله من الدنيا انقسم بنو إسرائيل إلى اثنتى

عشرة مجموعة وبعدها انقسمت إلى أربع وسبعين فرقة كل يختلف عن الآخر فى مذهبه فحرقوا التوراة وظهرت بينهم الضلالة ، وبعده جاء مائة وأربعين نبى دعوا بنى إسرائيل للتوحيد ولم تعرف أسماؤهم فى التاريخ ولم يبق لبنى إسرائيل استقرار وعزة حيث اختلفوا فى شريعة موسى وطال الأمر إلى عهد طالوت وداود .

**********



## داود عليه السلام

# فارس الحروب وصانع الدروع

**معجزاته:**

١ ١- الجبال والطير تردد معه تسبيحه واستغفاره

٢ ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾.

٣ ٢- ألان الله تعالى له الحديد ينصهر بين
يديه فيشكله كيف يشاء فى صناعاته.

* * * * * * * * * * * *

## داود عليه السلام

بعث النبى داود فى عصر طالوت ، وكان طالوت من ملوك بنى إسرائيل ، وكان يدين بدين موسى ويحكم اليمن وأطرافها وهو خليفة لأشموئيل .

المنقول عن حياة طالوت إنه كان راعيا لقطيع من البقر ، ويوماً افتقد إحدى بقراته فأراد صاحب القطيع منه أن يعوضه البقرة المفقودة فتحير طالوت وذهب إلى أشموئيل وشرح له الحادث ، فعندما عرفه صادقا فيما يقول قدم له قيمة البقرة ، وبما أن أشموئيل كان يبحث عن رجل صادق ومؤمن لينصبه حاكما فاختار طالوت وقال لقومه هذا طالوت جعلته عليكم ملكا ، واعترض بعضهم على هذا الاختيار بقولهم : إن طالوت من بؤساء القوم وفينا من هو أليق منه !

فأجابهم أشموئيل : إن الله سبحانه وتعالى هو الذى اختاره وأنا أنفذ أوامر الله وعلامته أنه سيعود لكم بالتابوت الذى فيه السكينه لكم ، وعندما تحققت هذه العلامة آمن به الناس ، أما تابوت السكينة فقد كان صندوقا قد وضع فيه موسى فى نهاية عهده أمانة بنى إسرائيل وعدد الألواح ليرجع إليها بنو إسرائيل عندما تواجههم مشاكل كبيرة ، وعندما توفى موسى سرق هذا الصندوق ولا يعلم أحد أين مكانه إلى أن وجده طالوت وأعاده إليهم فتوثقت الروابط بين بنى إسرائيل وطالوت ، وعندها انقادوا إلى أوامر طالوت فكانوا يخوضون الجهاد معه المخالفين ولكنهم وبسبب عدم طاعتهم لأوامر طالوت أحسوا بالوهن فى مواجهة جيش جالوت ، حيث كان جالوت ملك مقتدر ومعجب بنفسه وكان يحارب بنى إسرائيل باستمرار .

وفى إحدى المعارك قال لو أن رجلا من بنى إسرائيل يبرز إلى ويهزمنى فإننى سوف أكون مطيعا لهم ، ولم تكن لأحد الجرأة على منازلته .

وكان طالوت قد أصبح هرما وضعيفا ، ومع أنه قد رأى فى المنام بأنه سينتصر على جالوت ، ولكنه لا يتصور كيف سيكون ذلك وفى هذه الأثناء كان داود الراعى الغريب قد جاء إلى طالوت وقال له إننى قادر على أن أتغلب على جالوت .

أما داود فقد كان راعيا رباه أبوه تربية حسنة وأوصاه بنصرة الدين ، وعملا بوصية أبيه فقد أبدى استعداده لنزال جالوت ، حيث كان يقول ؛ إذا سمحت لى بالذهاب إلى حرب جالوت فإننى سأنتصر عليه بإذن الله تعالى ، فتعجب طالوت من قول هذا الشاب وسأله من أى قوم أنت؟ فقال : من بنى إسرائيل ، ولدى اخوان فى الجيش ولكننى سوف أقوم أنا شخصيا بهذه المهمة .

فسأله طالوت : يا داود إلى الآن هل اشتركت فى حرب؟

فأجابه : نعم مع الأسود والذئاب والنمور عندما كانت تهاجم أغنامى فكنت أتصدى لها وأهزمها .

فقال أخواه لطالوت : أيها الملك إن داود لا خبرة له فى فنون الحرب والذى كان يفعله مع الوحوش لا يمت لقواعد الحروب بصلة إنما هو شاب مغمور وهو راع فكيف يمكنه أن ينازل بطلا متمرسا مثل جالوت ، إنا نخاف أن يقتله وينكس رؤوسنا . أما داود فقد كان مصرا على أنه سيقتل جالوت بضربة واحدة ولم يتطوع أحد غير داود لمنازلة جالوت .

ودعا طالوت لداود بالنصرة والغلبة وقال له : إننى معجب بقوة إيمانك

وشجاعتك . وعندها قال له : خذ ما شئت من الأسلحة نظير السيف والدرع والرمح والترس .

فقال له داود : لا أحتاج إلى السيف والدرع والرمح إنما أنا أحارب بالمقلاع والحجارة حيث إننى احترفت ذلك ولا تخطئ إصابتى أبدا .

وفى حالة من التعجب والدهشة لدى الجيشين حمل داود مقلاعه والحجر ودخل ميدان المعركة ، وكان جالوت مغرورا بقوته وسيطرته فسأل داود قائلا : يا بن إسرائيل أأنت الذى ستنازلنى ؟

فأجابه داود : نعم .

فسأله : وبأى سلاح ؟ فأجابه : بهذه الحجارة التى فى يدى .

فقال جالوت مستنكفا ؛ إن الملوك لا يقاتلون بالحجارة .

فقال داود : أظن أننى لا أحتاج إلى أكثر منها فى نزالك .

فقال جالوت : أنا أأسف على أن أقتلك فإنك شاب مغرور .

فقال داود : أما أنا فلا أأسف على قتلك إذا لم تؤمن بالله .

فغضب جالوت وقام بحركة أجابها داود بضربة فى صدره بالحجارة فهشمت صدره وسقط صريعا فسلم جيشه لطالوت ، وتعجب طالوت من الحجارة ومن فعلها .

فقال داود : إننى لم أقتل جالوت ولكن الله قتله ؛ ولأن جيش طالوت شاهد هذه الرجولة من داود فإنهم أحبوه وكرموه وأخذوا يأتمرون بأمره .

وكان داود ذا صوت جميل إذ يتلو التوراة ، وهو أول من علم الناس

صناعة الدروع والحديد ، ولأن المحاربين كانوا يلبسون الدروع التى يصنعها داود فإنهم يصبحون أشد عزيمة فى الحرب ، وأصبح بنو إسرائيل أعزة فى أيام داود ، وبعد فترة دب الحسد إلى قلب طالوت فانقلب على داود ولكنه قتل على أثر ذلك واستتب الوضع والسلطة لداود .

قال تعالى فى محكم كتابه الكريم : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وعندما بعث داود نبيا وجاء بالزبور كتابا تولى قيادة قومه على أحسن ما يرام ، وكانت لداود ثلاث كرامات أولها الصوت الجميل حيث كانت تقف

---

(١) سورة البقرة الآيات : ٢٤٧ - ٢٥١ .

الطيور عن الحركة عند سماع صوته والثانية أن كتاب الزبور قد نزل عليه .

والثالثة : أن الله ألان لـه الحديد كما يلين الشمع . وكان كل ما يصنعه من الحديد أقوى من صنع الآخرين .

وصار لداود أولاد كثيرون أصغرهم وأحبهم إلى قلبه سليمان فقد كان ذكيا ذكاء خارقا وحكيما وعابدا ، وإذا ما حكم على شيء فإن حكمه أعدل من الجميع . وفى حياة داود نصب سليمان على كرسى القضاء فأخذ يقضى بين الناس فيما يختلفون فيه وكان قضاؤه مقرونا بالحكمة ، وقد حكم يوما بين امرأتين فى قضية مولود ادعت كل منهما بأنه ولدها ولم يقدر أى شخص بالقضاء بينهما وعندما رأى سليمان بأن الاثنتين ليستا على استعداد لأن تتنازلا عن ادعائهما بأمومة الطفل ، دعا الجلاد وأمر بأن يقسم الطفل إلى نصفين لكى يعطى كل منهما نصفا ، ولكن الأم الحقيقية صرخت عندما سمعت بقرار الحكم بأن ابقوا على الطفل سالما وأعطوه للأخرى .

فقال سليمان : الآن صار معلوما من هى الأم الحقيقية فالأم هى التى لا ترضى بأذية ولدها ، ومن ذلك اليوم عرف سليمان بالحكيم .

وعندما بلغ عمر داود مائة سنة جاءه جبرائيل وأعطاه صندوقا وقال له : يا داود فى هذا الصندوق شيئا إسأل أولادك عنه وكل من يعلم بما فى الصندوق فسيكون خليفتك . فجمع داود بنى إسرائيل جميعا وأحضر أولاده وكانوا خمسة عشر ولدا أصغرهم سليمان فسأل داود من أولاده أن ماذا فى الصندوق؟

ولم يجب أى منهم إلا سليمان فإنه نهض وقال : أتمنى أن تكون فى الصندوق ثلاثة أشياء :

**الأولى**: الخاتم ، الثانية : سوط ، الثالثة : كتاب حكمة وعندما فتحوا الصندوق وجدوا فيه مثلما قال فقال جبرائيل : إن هذا الخاتم من الجنة وصاحبه تقضى له كل حاجة يطلبها .

أما السوط فإنه من نار جهنم وكل شخص يمسكه فسوف يطيعه الجن والإنس وكافة الخلق وهذا المكتوب فإنه حكمه وكل شخص يتعلمها سيكون مطلعا على كل شيء وكلها ستكون ملكا لسليمان فإنه كان يتمناها من الله سبحانه وتعالى .

وانتخب سليمان ملكا ، وأما داود فإنه سلم وصيته لسليمان وعندما توفى دفن فى بيت المقدس .

## داود عليه السلام وما أوتى من المعجزات :

هو [١] : داود بن إيشا بن عويد من نسل يهوذا بن يعقوب كان مبدأ أمره أن الله تعالى لما بعث طالوت ملكا خرج من بنى إسرائيل معه ثمانون ألفا لقتال جالوت فقالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فلم يثبت معه غير ثلاثمائة عشر وكان فيهم داود وثلاثة عشر ابنا له وداود أصغرهم والتقى الجيشان وبرز جالوت مناديا للقتال فخرج إليه داود عليه السلام وكان جنديا فى الجيش الذى خرج مع طالوت : ﴿ ...وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ... ﴾ [٢] وحينما جاء وقت النبوة : ﴿ ...وآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء... ﴾ [٣] .

---

(١) التبصرة للإمام ابن الجوزى ، ط الحلبى ، تحقيق د / مصطفى عبدالواحد .
(٢) من الآية رقم (٢٥١) من سورة البقرة .
(٣) من الآية رقم (٢٥١) من سورة البقرة .

كان [١] داود عليه السلام نبيا ملكا ولقد آتاه الله عز وجل من هباته ونعمه الكثير من ذلك : أنه كان رسولا صاحب كتاب إنه الزبور وهو كتاب من كتب الله عز وجل المنزلة على أنبيائه وإذا كان نبينا إبراهيم عليه السلام قد أوتى صحفا وأوتى موسى عليه السلام الألواح فيها التوراة فإن داود عليه السلام أوتى الزبور وآتاه الله سبحانه وتعالى صوتا جميلا ، وهو منحه فى غاية النفاسة وجمال الصوت عند داود ليس على المعنى العادى الآلى فى الأنغام والألحان ونسبها المحددة ليخرج الصوت جميلا . لقد كان هذا عند داود ولكن كان بقدرة الله عز وجل ومن فضله على نبيه داود عليه السلام الذى آتاه له .

نحن إذن [٢] أمام معدن بشرى من لون خاص إنسان بلغ من شفافية النفس والتجرد أن انزاحت الحجب بينه وبين الكائنات ، وهذه من منح الله الجليلة وهباته على عبده ونبيه داود عليه السلام ومن الهبات التى منحها الله لداود عليه السلام أيضا هبة القوة يقول سبحانه : ﴿ ...وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ... ﴾ [٣] ، والأيد : القوة . لقد كان داود عليه السلام قويا فى كل ما يأتى من الأمور لقد كان قويا فى أمور العبادة وهذا هو المراد هنا على ما ذكره أكثر المفسرين .

فى الصلاة والصيام وغيرهما ، وقد ورد فى الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه كان يصوم يوما ويفطر يوما ، ولا يفر إذا لاقى**»[٤] .

---

(١) فى رحاب الأنبياء والرسل : الإمام الدكتور / عبدالحليم محمود (كتاب اليوم) .
(٢) أنبياء الله : لأحمد بهجت ، ط دار الريان للتراث .
(٣) من الآية رقم (١٧) من سورة ص .
(٤) رواه الشيخان والإمام أحمد .

ولذلك اصطفاه الله عليه السلام وجعله نبيا ووهبه كثيرا من الآيات والمعجزات . . .

## معجزة تسخير الجبال والطير لداود للتسبيح معه :

قال الله تعالى : ﴿ ... وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ (١) .

يخبر (٢) الله تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن والجنود ذوى العدد والعدة وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذى كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات الصم الشامخات وتقف له الطيور السارحات والغاديات والرائحات وتجاوبه بأنواع اللغات .

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقراءته ثم قال : «**أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود**» .

إن الأصوات الجميلة تمتزج بأرواح قائليها وكلما صفت الروح وكلما تزكت النفس وامتزجت بالغناء والترتيل كان الصوت أجمل وكانت جاذبيته أقوى . وكلما كان الشعور مرهفا ، وكان الحس متأثرا بما يقال كان الصوت أكثر تأثيرا .

وما كان داود عليه السلام يشعر بنفسه وهو يرتل الزبور ويتغنى به وإنما كان فنيا

---

(١) الآيات رقم (١٧ - ٢٠) من سورة ص .
(٢) تفسير ابن كثير : ط دار المعرفة ، بيروت .

فيما يعبر عنه من كلمات الزبور إنه كان مستغرقا فى الزبور - أى أنه كان مع الله وهو يتغنى بكلمات الكتاب المقدس بل كان فانيا فى الله جل جلاله لقد كان يتغنى ويبكى لقد كان زبورا مترنما فكان لحنا ربانيا . ويعبر القرآن الكريم فى - صورة جميلة - عن تأثير داود البالغ أثناء تغنيه وهو سبحانه وتعالى يسمى ذلك تسبيحا فيقول : ﴿ **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [1] ويقول سبحانه أيضا : ﴿ ...**يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ...** ﴾ [2] ويقول سبحانه : ﴿ ...**وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ [3] .

ولقد تابع المفسرون القرآن الكريم فى الحديث عن صوت داود عليه السلام فيقول الإمام الأوزاعى : حدثنى عبدالله بن عامر قال : (أعطى داود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط حتى إن كان الطير والوحش يعكف حوله حتى يموت عطشا وجوعا وحتى أن الأنهار لتقف) . ويقول الإمام ابن كثير : (وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحد بحيث أنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير فى الهواء يرجع بترجيعه ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا)[4] .

فلم تكن الجبال وحدها هى التى تسبح معه بل كان الطيور والوحوش والأشجار تشترك فى التسبيح . ولم يكن صدق داود هو وحده المسئول عن تسبيح الجبال معه أو الطير ، لم تكن عذوبة صوته هى المسئولة عن تسبيح

(١) من الآية رقم (١٨ ، ١٩) من سورة ص .
(٢) من الآية رقم (١٠) من سورة سبأ .
(٣) من الآية رقم (٧٩) من سورة الأنبياء .
(٤) تفسير ابن كثير .

بقية الكائنات معه إنما كان هذا معجزة من الله له كنبى عظيم الإيمان صادق الحب لله ولم تكن هذه وحدها كل معجزاته إنما أعطاه الله تعالى معها فهم لغة الطيور والحيوانات أيضا وكان داود عليه السلام إذا أعطاه الله شيئا وعلمه إياه أو أعطاه معجزة زاد فى حبه لله تعالى وزاد من شكره لله وزاد من إيمانه بالله وزادت عبادته لله حتى أصبح يصوم يوما ويفطر يوما .

عن يحيي بن كثير قال : كان داود عليه السلام يأمر أن يخرج له منبرا إلى البرية ويأمر سليمان أن ينادى يستقرئ البلاد وما حولها من الغياض والآكام وتأتى السباع من الغياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الأوكار وتأتى الرهبان من الصوامع والأديرة وتأتى العذارى من خدورها ويجتمع الناس لذلك اليوم ويأتى داود عليه السلام حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو إسرائيل كل صف على حده قال : وسليمان قائم على رأسه قال : فيأخذ فى الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ فى ذكر الجنة والنار فيموت طائفة من الناس وطائفة من السباع والهوام والوحوش وطائفة من الرهبان والعذارى المتعبدات ثم يأخذ فى ذكر الموت وأهوال القيامة ثم يأخذ النياحة فيموت من كل صنف طائفة ، فإذا رأى سليمان ما قد كثر من الموت ناداه : يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بنى إسرائيل ومن الرهبان ومن الوحوش فيقطع النياحة ويأخذ فى الدعاء ويغشى عليه فيحمل على سرير فإذا أفاق قال لسليمان : ما فعل فلان وفلان فيقول ماتوا فيقوم فيدخل بيت عبادته ويغلق عليه بابه وينادى : أغضبان أنت على داود يا إله داود أم كيف قصرت به أن يموت خوفا منك .

قال علماء السير: كان داود عليه السلام قد اتخذ سبع حشايا من شعر وحشاهن

بالرماد ثم بكى حتى أنفذها دموعا ولم يشرب إلا ممذوجا بدموع عينيه .

## معجزة إلانة الحديد لداود ﷺ وصنع الدروع :

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ... وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١) .

وقد ذكر (٢) الحافظ ابن عساكر فى ترجمته لداود ﷺ من طريق إسحاق ابن بشر وفيه كلام عن أبى إلياس عن وهب بن منبه ما مضمونه : أن داود ﷺ كان يخرج متنكرا فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحدا إلا أثنى عليه خيرا فى عبادته وسيرته وعدله ﷺ . قال وهب : حتى بعث الله تعالى ملكا فى صورة رجل فلقيه داود ﷺ فسأله كما كان يسأل غيره فقال : هو خير الناس لنفسه ولأمته إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملا قال : ما هى؟ قال : يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين يعنى بيت المال . فعند ذلك نصب داود ﷺ إلى ربه عز وجل فى الدعاء أن يعلمه عملا بيده يستغنى به ويغنى به عياله فألان له الحديد وعلمه صنعة الدروع وهو أول من عملها .

قال الحسن البصرى رضى الله عنه وقتادة والأعمش : كان لا يحتاج أن يدخل الحديد النار ولا يضربه بمطرقة بل كان يفتله بيده مثل الخيوط .

وقال ابن عباس : صار عنده كالشمع والرأى الراجح أنه ﷺ أعطى قوة يثنى بها الحديد (٣) .

---

(١) من الآيتان (١٠ ، ١١) من سورة سبأ .
(٢) تفسير ابن كثير : ج ٣ ، ط دار المعرفة بيروت .
(٣) تفسير القرطبى : ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

ومن الثابت أن الله عز وجل ألان الحديد لداود بمعنى أنه كان أول من اكتشف أن الحديد ينصهر بالنار ويمكن تشكيله آلاف الأشكال .

ولم يتحقق ذلك لداود إلا لحب الله سبحانه وتعالى له وليظهر فى قومه وكانت مشكلة قومه هى كثرة الحروب فى زمانهم وكانت الدروع الحديدية التى يصنعها صناع الدروع ثقيلة فتمنع المحارب أن يتحرك كما يشاء أو يقاتل كما يريد .

وقد ورد أن داود عليه السلام جلس يوما يفكر فى هذه المشكلة وأمامه قطعة من الحديد يعبث بها بيديه ثم اكتشف فجأة أن يده تغوص فى الحديد - ألانه الله تعالى له - فراح يقطعه ويشكله قطعا صغيرة يصلها بعضها ببعض حتى إذا انتهى كان أمامه درع من الحديد .

فهذه هبة من هبات الله تعالى لعبده داود ويعبر عنها القرآن الكريم بقوله سبحانه : ﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ** ﴾[1] .

ولقد علمه الله سبحانه وتعالى صناعة الدروع لتقى المحاربين من سهام الأعداء ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ... **وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[2] .

ويقول[3] عكرمة ومجاهد وغيرهما فى قوله تعالى: ﴿ ...**وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ**... ﴾ أى لا تدق المسمار فيغلق ولا تغلظه فينفصم ، ومعنى ذلك أن

---

(١) الآية رقم (٨٠) من سورة الأنبياء .
(٢) الآيتان رقم (١٠ ، ١١) من سورة سبأ .
(٣) فى رحاب الأنبياء والرسل: الإمام الدكتور / عبدالحليم محمود .

الله سبحانه وتعالى علمه صناعة الدروع فى إجمالها وتفاصيلها وكانت صناعة الدروع مهنته التى كان يتكسب منها لعيشه .

وبدأت المصانع تعمل فى صناعة الدروع الجديدة وتسليح جيشه بهذه الدروع السابغة التى بهرت جيش الأعداء بإتقانها . وهو رغم ما كان فيه من ملك وأبهة ورغم ما كان تحت يده من مال كثير كان يعيش من عمل يده .

ولقد ذكره رسول الله ﷺ كمثل كريم للكسب الحلال . فقال : «**إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن نبى الله داود كان يأكل من كسبه**» (١) .

ولقد أوجب الإسلام فى الكسب أن يكون من حلال وحث على ذلك بشتى الطرق ومن ذلك ما رواه ابن مردويه بسنده - عن ابن عباس - قال : (تليت هذه الآية عند النبى ﷺ ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً** ﴾ فقام سعد بن أبى وقاص فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال : يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذى نفسى محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت فالنار أولى بهِ) .

### وفاة داود عليه السلام :

يقولون إن داود عليه السلام مات فجأة وشيع جنازته يومئذ ألف راهب فى أرديتهم التقليدية مع آلاف غيرهم من الناس ولم يمت فى بنى إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كانت بنو إسرائيل أشد جزعا عليه من داود .

وآذت الشمس الناس فدعا سليمان الطير قال : أظلى على داود فأظلته

(١) رواه الإمام البخارى .

حتى أظلمت عليه الأرض وسكنت الريح وقال سليمان للطير: أظلى الناس من ناحية الشمس وتنجى من ناحية الريح وأطاعت الطير فكان ذلك أول ما رآه الناس من ملك سليمان .

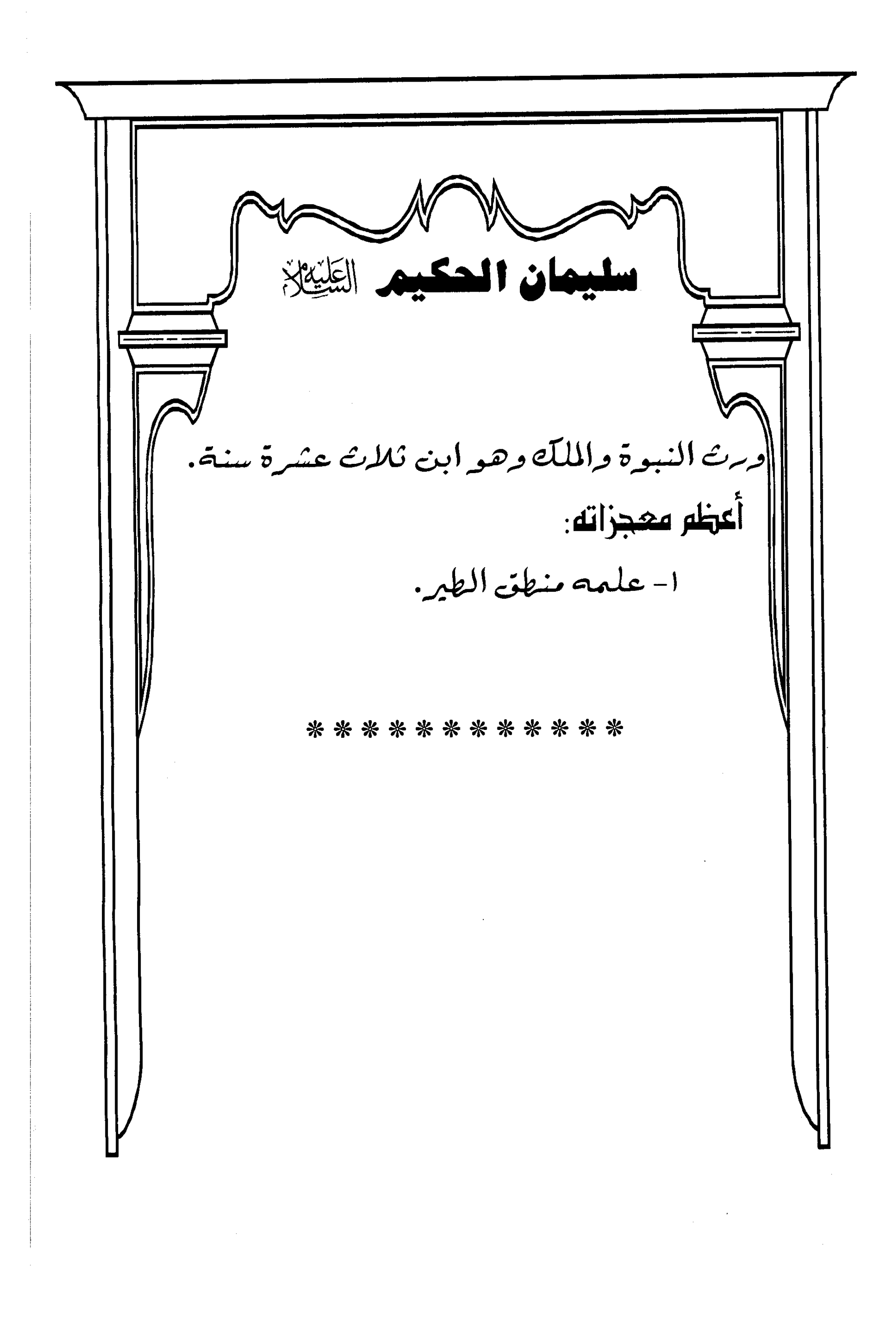
## من حكم داود عليه السلام :

لقد روت كتب التفسير وكتب التاريخ شيئا من حكمه من ذلك ما رواه عبدالله بن المبارك فى كتابه الزهد: أنبأنا سفيان الثورى عن رجل عن وهب بن منبه قال: (إن فى حكمة داود: حق على العاقل أن لا يغفل أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يصغى فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه لعيوبه ويصدقونه عن نفسه وساعة يخلى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات . وحق على العاقل أن يعرف زمانه ، ويحفظ لسانه ، ويقبل على شأنه ، وحق على العاقل أن لا يظعن إلا فى إحدى ثلاث: زاد لمعاده ومرمة لمعاشه ، ولذة فى غير محرم .

ومن حكمه أيضا: يا زارع السيئات تحصد شوكها وحسكها .

ومن أجمل ما روى عن داود أنه قال: يارب كيف أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك . فأتاه الوحى أن يا داود ألست تعلم أن الذى بك من النعم منى؟ قال نعم يارب قال: فإنى أرضى بذلك منك .

* * * * * * * * *



## سليمان الحكيم عليه السلام

ورث النبوة والملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

**أعظم معجزاته:**

١- علمه منطق الطير.

* * * * * * * * * * * *

## سليمان الحكيم

كان سليمان بن داود يحب أن يجمع بين الحكمة والحكم معا وقد طلب من الله أن يرزقه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، وفى ذلك العصر كان هناك ملوك أقوياء يحكمون الأرض .

واستجاب الله سبحانه وتعالى دعاء سليمان فآتاه الحكمة وأعطاه خاتم القدرة ومنحه سوط القوة ، فأصبح أعظم سلاطين عصره وكان يهتم بعمران البلاد ويدعو الناس إلى العدل والصواب وكان عندما يضع خاتمه فى يده يأتمر بأمره الجن والإنس ، وكان يعرف لسان الحيوانات والطيور وينال كل شىء يريده بإذن الله سبحانه وتعالى . وكان له وزير يدعى آصف بن برخيا .

بنى سليمان قصرا عظيما تبلغ مساحته أربعة فراسخ مربعة (الفرسخ يساوى أقل من ستة كيلو مترات) .

وصنعت له الملائكة عرشا من القضبان الحديدية مساحته فرسخ مربع مزين بالجواهر وأنواع الحلى ، وقد وضع على يمين مجلسه اثنى عشر ألف كرسى من ذهب وعلى يساره اثنى عشر ألف كرسى من الفضة وأمامه اثنى عشر ألف كرسى من البلور وإلى خلفه اثنى عشر ألف كرسى من الحرير . وكان له وزير يدعى آصف بن برخيا حيث خصص هذه الأماكن لأفراد حاشيته من كل صنف . وكانت الطير تظلل فوق عرش سليمان بأجنحتها حتى تمنع عنه الشمس والمطر . أما الريح فقد كانت تنقل عرشه بأمره إلى أى نقطة يشاء ، حيث كان يتحرك العرش بهدوء فلا يشعر أحد بحركته . وأما الخلائق فكانت كلها تأتمر بأمر سليمان من جن وإنس وملائكة وحيوانات

وكل الأحياء كانت تأتمر بأمره إلا الأبالسة ولم يعهد عصر لعصره ازدهارا بالعمران والنعمة والقوة ، وقد قام بأعمال وصناعات أدهش بها العالم وعلى الرغم من ذلك فقد كان سليمان متواضعا وزاهدا إلى أبعد الحدود حيث كان يتعامل مع الناس بالمداراة والمحبة ، فكان يكلم الحاضرين فى مجلسه حتى النملة والعصفور ويهتم بكلامهم ؛ وهذا الأمر من مقتضى الحكمة ، فالحكمة لا تنسجم مع التكبر .

ومن القصص المعروفة لسليمان حديثه مع النملة ، فيوما كان سليمان وجيشه يمر من وادى النمل فنادت رئيسة النمل يا أيها النمل أسرعوا إلى مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده ، فحمل الهواء كلام النملة إلى أذن سليمان فاستدعاها وقال لها : ألم تعلمى بأنى لا أظلم أحدا؟ فقالت له النملة : نعم أعلم ذلك .

فقال لها : إذن لماذا حذرتى النمل بحيث هرب من أمامنا؟

فقالت النملة : أنا رئيسة النمل والتفكير بمصير قومى والاحتياط من واجباتى فأردت أن أعود النمل إذا ما رأوا الصحراء مكتظة فيجب عليهم أن يدخلوا فى مساكنهم .

فقال لها سليمان : الحق معك يجب على النمل أن يدخلوا إلى مساكنهم أثناء الخطر ولكن كان الأفضل أن لا تذكرى اسم سليمان فأجابته النملة : فى هذه النقطة لك الحق . فأحسن لها سليمان وعفا عنها .

قال تعالى يصور هذه الحوادث فى كتابه الكريم : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ *

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١) .

كان وزير سليمان آصف بن برخيا رجلا عابدا عادلا وكان من الذين يخافون الله وكان قارئا للتوراة فلا يوجد شخص يقرأ التوراة أحسن منه وقد استفاد من الحكمة فلا يوجد شخص بين بنى آدم غير سليمان أفضل منه .

فى يوم من الأيام وبينما كان سليمان جالسا أرسلت الشمس أحد أشعتها على عرشه فشعر سليمان بأن أحد الطيور قد ترك مكانه وعندما تفقد الطيور وجد الهدهد قد ترك مكانه وذهب بدون اطلاع سليمان .

فقال سليمان : إن الهدهد قصر فى عمله فإذا حضر ولم يكن لديه عذر فى غيابه فسأعذبه عذابا شديدا .

وعندما جاء الهدهد آخذه سليمان فأخذ يعتذر بأنه كان فى مهمة ، وقال : لقد سافرت إلى مدينة سبأ وجئت بخبر فيه فائدة تناسب شأنك ، لقد وجدت فى مدينة سبأ امرأة تحكمهم وهذا اسمها وعنوانها ، فعفا عنه سليمان وأمر بأن يكتب كتابا إلى ملكة سبأ وافتتحه باسم الله وقال : إنه كتاب من سليمان إما أن تؤمنوا بالله أو تستعدوا للعقاب .

---

(١) سورة النمل الآيات : ١٥ - ١٩ .

وعندما اطلعت بلقيس على الكتاب تشاورت مع قومها فأشاروا عليها بأن ترسل إلى سليمان هدايا وتطلب منه أن يغض النظر عنهم .

فهيأت بلقيس هدايا ثمينة من بينها سبعة سبائك من الذهب وسبعة من الفضة وسبعة من الستائر المزركشة بالذهب أرسلتها مع رسالة قالت فيها ؛ إننا لسنا بعاصين ولكن نريد أن نعيش مستقلين فأخبرت الملائكة سليمان بأن رسل بلقيس فى طريقهم إليه . فأمر سليمان أن تفرش قاعة المجلس بالسبائك الذهبية والفضية وإقامة أعمدة من الجواهر ، وعلقوا حول المجلس سبعة آلاف بردة مزركشة بالذهب ، وعندما وصل رسل بلقيس ورأوا هذه العظمة والقوة خجلوا من هديتهم التى جاؤوا بها ، فقال سليمان : إن ما لدينا من مال الدنيا ليس بالقليل وكل ما ترسلونه إلينا فعندنا منه آلاف الأضعاف ، وإنما نريد منكم أن تؤمنوا حتى لا يبقى فى العالم كافر وبعكسه فإن لدينا جيوشا مستعدة لكى تقلب الأوضاع فى سبأ وتذل الكافرين ، وأنا لا أطلب الرئاسة عليكم إنما أريد هدايتكم ، وعندما وصل الخبر إلى بلقيس فقالت ؛ إن الأمر أعظم مما تصورنا والأحسن أن أذهب بنفسى إلى سليمان حتى أرى ماذا أفعل . فتوجهت إلى سليمان وعرف سليمان خبر مجىء بلقيس إليه من العفاريت قبل وصولها .

وبلقيس امرأة غير واعية بالرغم من كونها ملكة .

سليمان بدوره سأل جلسائه أيكم يستطيع أن يأتينى بعرش بلقيس قبل أن تصل إلينا؟ فقال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مكانك فقال وزيره آصف بن برخيا : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، وإذا بالعرش بينهم .

فأمر سليمان أن يغيروا معالم عرشها تغييرا يسيرا ، وعندما وصلت بلقيس وترجلت من راحلتها أدخلوها إلى القصر ، وعندما رأت البلور الذى صنعوه كقنطرة على مجرى نهر فحسبت أنه لا فاصل بينها وبين مياه النهر فكشفت عن ساقيها لكى تعبر ، وخجلت عندما بدا لها أن ما رأته ليس بماء ، وعندما دخلت المجلس ورأت عرشها قالت : أظن أن هذا العرش عرشى بالرغم من أن نقله إلى هنا أمر يدعو إلى العجب .

وعندما تجلت عظمة سليمان لبلقيس قالت : لقد ظلمت نفسى والآن آمنت برب سليمان وعندها أثنى سليمان عليها واتخذها زوجة له ، وكتب إلى قومها بأن يدينو بدينه فبعضهم آمن ونجى وبعضهم عصى فأخرج من البلاد وهلك .

قال تعالى فى كتابه المجيد : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ * أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ

إلَـــيْك فَانظُـــري مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إنَّ الْمُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإنِّي مُرْسِلَةٌ إلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِـــمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَّ قِـــبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِيـــنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَـــبْلَ أَن تَقُـــومَ مِن مَّقَامِكَ وَإنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِـــتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَـــذَا مِـــن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْـــمَ مِـــن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إنَّهَا كَانَـــتْ مِـــن قَـــوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَـــفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وكان عصر سليمان مزدهرا بالعمران والنعمة والهيبة فكانت القصور والبساتين والمساجد ومحطات استراحة المسافرين والطرق والجسور لكى ينعم الخلق بالطمأنينة والاستقرار .

وبنى سليمان بيت المقدس بأحسن صورة ووسع المسجد الأقصى الذى بناه داود أبوه ، وقد أكثر من أعمال الخير وذلك لإسعاد الناس .

(١) سورة النمل الآيات ٢٠ - ٤٤ .

وبالرغم من أنه كان يملك كل شيء من مظاهر العظمة والقدرة والجلال والحكمة إلا أنه ترك هذا عندما شارف عمره على الانتهاء .

قيل : فى أواخر أيامه كان ينظر إلى عمارة عالية وعندما أشرف من سطح القصر قال اتركونى لوحدى ولا يقترب منى أحد قبل أن أسمح له فإنى أريد أن أختلى بنفسى للتفكير فى شؤونى .

أما العمال والفلاحين وبنائى وعمال الطرق فإنهم كانوا مشغولين بأعمالهم ، وعندما وقف سليمان لحظة على شرفة القصر تجلى له عزرائيل بصورة رجل فتعجب عندما رأى شخصا يخالف أوامره يقترب منه فقال له : ألم أقل ليس من حق أى شخص أن يأتى إلى هنا؟ من الذى أجاز لك أن تأتى؟

فقال له عزرائيل : أنا مخلوق لا أحتاج إلى إجازة أحد وبأمر الله أذهب إلى أى مكان تكون لى فيه حاجة .

فقال له سليمان : من أنت وماذا تريد .

فقال له : أنا عزرائيل ومهمتى قبض روحك وإننى مأمور ومعذور .

فقال سليمان : أيها الصديق العزيز لاعجب فى الأمر وهذه لحظة لابد أن تمر على أى أحد ولكن ألا من مهلة كى أوصى بها وأقوم بترتيب أمورى؟

فقال له عزرائيل : إن هذه الأعمال يجب أن تقضى قبل مجيئى وأنا الآن وقد جئت فلا مهلة بعدها .

فقال له سليمان : أنجز مهمتك فإننى راض بقضاء الله فقبض روحه فى ذلك المكان الذى كان يقف فيه سليمان وهو على شرفة القصر حيث بقى

سليمان مدة جسدا متكئا على عصاه وكان يظن الذين حوله بأنها من معاجز سليمان أن يبقى هذه المدة من غير طعام ولا استراحة ولا نوم فكان لا يجرؤ أحد أن يقترب منه ويستفسر منه ، واستمرت الأعمال تسير على أفضل ما يرام لمدة طويلة ، وبعد مدة نخرت الأرضة عصا سليمان فانكسرت وسقط سليمان أرضا فى موضع وقوفه وعلم الناس أن أيام سليمان وملكه قد انتهت وبعده تولى الحكم تسعة عشر من أبنائه ولكن لم يبلغ أحد منهم ما بلغه سليمان من الهيبة والجلال والعظمة .

قال تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ **وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ** ﴾ (١) .

الوارد عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه أن سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه إن الله تعالى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى فسخر لى الريح والإنس والجن والطير والوحوش وعلمنى منطق الطير وآتانى من كل شىء ومع جميع ما أوتيت من الملك ما تم لى سرور يوم إلى الليل وقد أحببت أن أدخل قصرى فى غد فأصعد أعلاه وأنظر إلى ممالكى فلا تأذنوا لأحد على لئلا يرد على ما ينغص يومى .

---

(١) سورة سبأ الآيات ١٢ - ١٤ .

قالوا: نعم ، فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره ووقف متكئا على عصاه ينظر إلى ممالكه مسرورا بما أوتى فرحا بما أعطى ، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره فلما بصر به سليمان عليه السلام قال له: من أدخلك هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم فبإذن من دخلت؟ قال الشاب: أدخلنى هذا القصر ربه وبإذنه دخلت .

فقال: ربه أحق به منى فمن أنت؟

قال: أنا ملك الموت ، قال: وفيما جئت؟ قال: جئت لأقبض روحك ، قال: امض لما أمرت به فهذا يوم سرورى وأبى الله عز وجل أن يكون لى سرور دونه لقائه ، فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه فبقى سليمان متكئا على عصاه وهو ميت ما شاء الله والناس ينظرون إليه وهم يقدرون أنه حى ، فافتتنوا فيه واختلفوا فمنهم من قال قد بقى سليمان عليه السلام متكئا على عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب إنه لربنا الذى يجب أن نعبده وقال: قوم إن سليمان ساحر وأنه يرينا أنه واقف متكئ على عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك ، وقال المؤمنون: إن سليمان هو عبد الله ونبيه يدبر الله أمره بما يشاء فلما اختلفوا بعث الله عز وجل الأرضة فدبت فى عصاه فلما أكلت جوفها انكسرت العصا وخر سليمان من قصره على وجهه فشكرت الجن للأرضة صنيعها)[1] .

---

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم - العاملى .

**سليمــان عليه السلام :**

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَــدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالاَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَــا الــنَّاسُ عُلِّمْــنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ (١) .

داود اسم أعجمى وسليمان اسم عبرانى .

لما مات داود عليه السلام ملك سليمان ولـه من العمر ثلاث عشر سنة .

وكان لداود عليه السلام تسعة ولدا أجلهم سليمان عليه السلام وعاش داود عليه السلام مائة سنة وسليمان ابنه نيفا وخمسين سنة وبين داود وموسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة وبين سليمان وسيدنا محمد ﷺ ألف وسبعمائة سنة .

وورث سليمان عليه السلام من أبيه داوود النبوة والعلم دون باقى أولاده . . فقد اختاره الله عز وجل نبيا إلى بنى إسرائيل وأيضا منحه الله تعالى الملك عليهم .

وكان لـداود عليه السلام جيشا قويا وكان قائدا عسكريا لا يشق لـه غبار وليس لـه مثيل ولحب الله سبحانه وتعالى لداود وتأييده لـه كشف الله لداود عن أمور جعلت لجيشه ميزة وتفوق ساحق على غيره من جيوش الأرض فقد كان ماهرا فى صناعة الدروع وكانت هذه الدروع فى ذلك الزمن تعتبر طفرة هائلة فى الحروب ولا علم لأحد بها إلا داود . هذا التقدم الخطير الذى منحه الله تعالى لداود وجيشه انتقل إلى ملك سليمان عليه السلام

---

(١) الآيتان رقم (١٥ ، ١٦) من سورة النمل .

وهكذا ورث سليمان جيشا متقدما على غيره من جيوش الأرض وزاد الله سليمان .

فإنه كما تقدم ورث داود فى الملك والنبوة ، وورث أيضا الحكمة ولذلك أطلق الناس عليه اسم (سليمان الحكيم) ولم تكن حكمة سليمان مقصورة على عدله بين الناس ورحمته بهم وحكمه فى قضاياهم بالحق إنما تجاوزت حكمته عالم البشر إلى عالم الطيور والحيوانات . فكان داود عليه السلام يعرف لغة الطيور لكن سليمان كان يتكلم مع الطيور ويوظفها فى خدمته .

ولم يكتف سليمان بما ورثه من داود ومد يديه يوما لله وسأل ﴿ ...رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي... ﴾ [(١)] .

وقد استجاب الله تعالى لعبده سليمان ومنحه هذا الملك [(٢)] وعرفنا سبحانه وتعالى بذلك قائلا :

١- ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ ﴾ .

٢- ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ ﴾ .

٣- ﴿ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾ .

ثم عقب الله على كل ذلك بقوله تعالى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [(٣)]

---

(١) من الآية رقم (٣٥) من سورة ص .
(٢) أنبياء الله : لأحمد بهجت بتصرف .
(٣) الآيتان رقم (٣٩ ، ٤٠) من سورة ص .

## ما أوتى سليمان عليه السلام من المعجزات :

## معجزة فهم سليمان كلام الطير :

قال تعالى فى سورة النحل : ﴿ ... وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ... ﴾ أى فهم أصواته [(١)] بل كان الزرع والنبات أيضا يكلمه ويفهم كلامه . ورد [(٢)] أن سليمان عليه السلام كان جالسا إذ مر به طائر يطوف فقال لجلسائه : أتدرون ما يقول هذا الطائر إنه قال لى : السلام عليك أيها الملك المسلط والنبى لبنى إسرائيل أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوك إنى منطلق إلى أفراخى ثم أمر بك الثانية وأنه سيرجع إلينا الثانية ثم رجع فقال لهم : يقول السلام عليك أيها الملك المسلط إن شئت أن تأذن لى كيما أكتسب على أفراخى حتى يشبوا ثم آتيك فافعل بى ما شئت فأخبرهم سليمان بما قال وأذن له فانطلق .

وصاح عنده طاووس فقال : أتدرون ما يقول؟ قالوا : لا قال : إنه يقول كما تدين تدان .

وصاح عنده هدهد فقال : أتدرون ما يقول؟ قالوا : لا قال : إنه يقول إن من لا يرحم لا يرحم .

وهدرت حمامة عند سليمان فقال : أتدرون ما تقول قالوا : لا قال : إنها تقول : سبحان ربى الأعلى عدد ما فى السماوات وما فى الأرض .

قال كعب الأحبار : وحدثهم سليمان فقال لهم :

---

(١) تفسير الجلالين : ط دار الفكر بيروت .

(٢) حاشية الصاوى على الجلالين : ط الحلبى .

الحدأ يقول: كل شيء هالك إلا وجهه .

والببغاء تقول: ويل لمن الدنيا همه .

والضفدع تقول: سبحان ربى القدوس .

## معجزة تسخير الريح:

قال الله تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (١) . سخر الله سبحانه وتعالى لسليمان عليه السلام الرياح فكان يتحكم فيها ويستطيع أن يركبها هو وجنوده ، ويستخدمها فى أغراضه وتجرى بأمره إلى حيث أراد فى أى بقعة من البلاد . يقول الحسن البصرى رضى الله عنه:

كان سليمان عليه السلام يغدو من دمشق فينزل باصطخر فيتغذى بها ويذهب رائحا منها فيبيت بكابل وبين دمشق واصطخر مسيرة شهر وبين اصطخر وكابل مسيرة شهر(٢) .

قال محمد بن كعب القرظى: كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ فى مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للأنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحوش وخمسة وعشرون للطير وقيل: نسجت الشياطين بساطا من ذهب وحرير فرسخا فى فرسخ وكان يوضع على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحش حولهم وتظلله بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس فيأمر الريح المسخرة له

---

(١) الآية رقم (٣٦) من سورة ص .
(٢) فى رحاب الأنبياء والرسل: د / عبدالحليم محمود .

بقدرة الله تعالى فترفعه ثم يأمرها فتسير به إلى حيث شاء [١] .

وروى عن كعب الأحبار أنه قال: كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز منها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الإبل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السماء والأرض . واتخذ ميادين للدواب فتجرى بين يديه والريح تهوى فسار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة رسول الله محمد ﷺ فلما وصل إليها قال سليمان عليه السلام هذه دار هجرة نبى يكون آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله إليه ما يبكيك قال يارب: أبكانى أن هذا نبى من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يصلوا عندى والأصنام تعبد حولى من دونك فأوحى الله إليه لا تبك فإنى سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل منك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا فى آخر الزمان أحب أنبيائى إلى وأجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى أفرض عليهم فريضة يحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهرك من الأوثان والأصنام وعبدة الشيطان ثم حملت الريح سليمان عليه السلام ومضت به إلى حيث جاءت . .

## معجزة تسخير الجن لسليمان عليه السلام :

قال تعالى: ﴿ ...وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ... ﴾ [٢] أعطى الله سليمان عليه السلام

---

(١) حاشية الصاوى على الجلالين: ط الحلبى .

(٢) الآيتان رقم (١٢ ، ١٣) من سورة سبأ .

مقدرة لم يعطها لأحد من أنبيائه هى المقدرة على التحكم فى الشياطين فقد وهب سليمان عليه السلام القدرة على تسخير الشياطين والتحكم فيها وتشغيلها وتقيدها بالسلاسل وتعذيبها إذا هى عصت أوامره ولم تنفذ ما أمرها به .

وكان من يتمرد عليه من الشياطين يقيد فى الأصفاد ويصب عليه من ألوان العذاب ليكون ذلك إشارة إلى مجد سليمان وقدرته على التحكم فى الكائنات بأمر الله تعالى وهى قدرة أعطاها له ربه عز وجل لتكون معجزة منه سبحانه وتعالى لسليمان عليه السلام .

وكانت الشياطين تبنى له ما يأمرها ببناؤه من القصور الشامخة والدور والقدور والتماثيل والمحاريب وكانت أيضا تغوص فى أعماق البحار وتستخرج له اللؤلؤ والمرجان والياقوت .

ولقد روى الإمام البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «**إن عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فأمكننى الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ فرددته خاسئا**» اهـ .

وجاء على الأرض وقت فإذا سيدها بغير منازع هو سليمان عليه السلام ومع هذه النعم الكثيرة التى أنعم الله بها على سليمان كان سليمان أكثر الناس ذكرا لله وأكثر الناس شكرا لله فى زمانه .

قال تعالى عن سليمان : ﴿ ... نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [1] . وقوله

---

(١) من الآية رقم (٣٠) من سورة ص .

تعالى: ﴿ ... إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أى كثير الرجوع إلى الله . وعاش سليمان عليه السلام فى هذا الملك الذى آتاه الله له والذى لا ينبغى لأحد من بعده مسيطرا على الجن والإنس والطير ثم جاء ملك الموت وقبض روحه .

وكان [١] موت سليمان عبرة فإنه اتكأ على عصاه ومات متكئا ومكث كذلك ما شاء الله له أن يمكث والجن لا تعلم بموته ولكن السوس أخذ ينخر فى عصاه فتكسرت فخر على الأرض فظهر للجن موته وكانوا لا يعلمون .

قال أصبغ بن الفرج ، وعبد الله بن وهب عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال: قال سليمان لملك الموت: (إذا أمرت بى فأعلمنى فأتاه فقال: يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعةٍ) .

فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس باب فقام يصلى فاتكأ على عصاه قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت قال: والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حى . قال: فبعث الله دابة الأرض يعنى إلى منسأته فأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ، فلما رأت الجن ذلك أفضوا وذهبوا قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ منسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ .

قال أصبغ: وبلغنى عن غيره أنها مكثت سنة تأكل منسأته حتى خر والله أعلم .

* * * * * * * * * *

(١) فى رحاب الأنبياء والرسل: الإمام الدكتور/ عبد الحليم محمود .




هذا الذى شك فى قدرة الله (عز وجل) فأماته الله سبحانه مائة عام ثم بعثه .

**معجزتــه:**

أحيا الله تعالى قلبـه وبصره وجعلـه يبصـر كيفية إحياء الموتى بإعادة نشـر عظامهـا أى إعادة تركيبها وكسائها لحما ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

* * * * * * * * * * * *

# العزير - دانيال

العزير ودانيال من الأنبياء وقد عاصرا ملوك بخت نصر ، وملوك بخت نصر كانوا يحكمون الناس بالقوة والقهر وكانت بينهم وبين بنى إسرائيل عداوة ، وأحد ملوك بخت نصر قام بتهديم بيت المقدس وهو الذى بنى الجنائن المعلقة فى بابل التى تعد من عجائب الدنيا السبعة فى ذلك الوقت .

وذكر أن عزير كان من أولاد الأنبياء ومن الصالحين الذين حفظوا التوراة وكتاب داود وسليمان .

ويوما كان راكبا على حماره مارا بإحدى القرى القريبة من بيت المقدس فوجد أن أعداء الله قد هجموا على هذه القرية وأبادوا أهلها جميعا .

أما حدائقهم فقد كانت مخضرة وثمارها قد حان قطافها . فاقتطف كمية من الثمار وجلس جانبا يأكل الخبز اليابس المبلل بعصير تلك الفاكهة وأثناء أكله كان ينظر لعظام الموتى من أهل تلك القرية ويفكر فى الموت ، وكيفية إحياء الله الموتى بعد أن صاروا بهذه الصورة من العظام النخرة ، وعندما تصور هذا الأمر أخذه النوم وأمر الله سبحانه وتعالى ملك الموت بقبض روحه وبقى مائة عام بدون روح ، وبعدها أحياه الله ، فقالت له الملائكة : الآن انظر كيف يحيى الله الموتى . ونظر عزير إلى حماره الذى كان مربوطا هناك فلم يرى منه إلا هيكله العظمى ، وبما أنه شاهد أن كل ما يحيط به قد تغير معالمه ، عندها علم أن سنين طويلة قد مرت عليه وأما طعامه فلم يتغير وبقى كما هو . عندها ذهبت الوساوس الشيطانية من ذهنه وشهد شهادة يقينية بقدرة الله على أن يميت الأحياء ويحيى الموتى ويبقى الأشياء على ما هى وكيف يشاء .

وجاء النداء من رب العالمين إلى عزير بأنك صرت للناس آية وليعلموا بأن الله قادر على كل شيء .

قال تعالى فى كتابه الكريم يصور ما جرى لعزير بأحسن الصور فى سورة البقرة : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١] .

ذكر أن ابن الكوا قال لعلى أمير المؤمنين عليه السلام : ما ولد أكبر من أبيهم فى هذه الدنيا؟

فقال على عليه السلام له : نعم أولئك ولد عزير حيث مر على قرية خربة وكان تحته حمار ومعه شنة فيها لبن وكوز فيه عصير فمر على تلك القرية فقال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها؟ فأماته الله مائه عام فتوالد ولده أكبر من أبيهم .

وفى حديث آخر عنه عليه السلام : أن عزيرا خرج من عند أهله وامرأته فى شهرها وله يومئذ خمسون سنة ، فلما ابتلاه الله عز وجل بسؤاله واعتراضه أماته الله مائه عام ثم بعثه فرجع إلى أهله وهو ابن خمسين سنة فاستقبله ابنه وهو ابن مائة سنة ، وقد رد الله عزيزا فى السن الذى كان به[٢] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩ .

(٢) الأنبياء حياتهم وقصصهم-العاملى .

ورجع عزير إلى بيته فوجد محلته وأزقتها قد تغيرت ورأى ابنه وقد صار شيخا .

فقال له عزير : أنت ابنى وأنا أبوك .

فأجابه الولد : إنك تستهزئ منى لكونك شاب وأنا شيخ إن أبى قد فقد أثره منذ مدة طويلة .

فقص عزير قصته وذكر له دلائل وعلامات أقنع ابنه بها فآمن به ، فكان الناس يأتونه أفواجا أفواجا وقد تملكتهم الدهشة والعجب مما حدث .

فقال له الناس : إذا كنت عزيرا كما تدعى فاقرأ لنا التوراة عن ظهر قلبك لكى نعيد كتابتها فقد نسينا التوراة ، فقرأ عزير التوراة عن ظهر قلب فكتبوها وقارنوها بالتوراة التى كانت عندهم فلم يجدوا فيها فرقا فآمنوا به .

وقد بعث عزير ليهدى جماعة من قوم بخت نصر .

أما دانيال فإنه نبى معروف ولكن لا يوجد له ذكر فى القرآن .

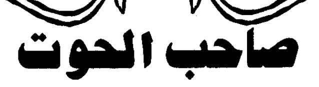
ويقال أنه كان يتيما مات أبواه ، وأشرفت على تربيته امرأة عجوز من بنى إسرائيل وكان ذكيا وعالما منذ نعومة أظفاره ، وإذا حكم بين الناس فإنه يحكم بالعدل ولديه حل لكل مشكلة إلى حد أصبح معروفا بحلال المشاكل والمحيط بالأسرار من الأمور ، وقد بعث إلى مجموعة من قوم بخت نصر .

وقد أخبر بخت نصر بأن وجهه سيمسخ من كثرة الذنوب والظلم وقد تحقق ذلك ومسخ بخت نصر وأصبح شكله قبيحا كالعفارتة وعندما خرج من قصره تنكر له حرس القصر واعتبروه غريبا ، فقال لهم : أنا بخت نصر . قالوا

لـه : إن بخت نصـر نـائم فـى القصـر وقبضـوا عليه . وأصبح بخت نصر مضربا للأمثال حيث يطلق على كل شيء قبيح وغير محبوب اسم بخت نصر .

وقد تحمل دانيال فى دعوته لقومه أذى كثيرا شأنه شأن باقى الأنبياء وفى أواخر عمره كان مقدرا ومحترما من قبل أحد ملوك بخت نصر وكذلك فإن كورش أحد ملوك الفرس كان يكن له احتراما كبيرا ، ومع ذلك كله فعندما أصبح دانيال سيد القوم حسدوه على ذلك فألقوه فى حظيرة الأسود ولكنه نجا منها ومات بأجله المقدر له وقد خلد اسما وعلما شأنه شأن باقى الأنبياء .

* * * * * * * * * *




## يونس عليه السلام

هذا الذى ذهب مغاضبا من قومه: ولم يصبر عليهم فكان الحوت والبحر والظلمات فى انتظاره، وحين رجع مسبحا مستغيثا كانت النجاة.

**معجزته:**

١- نجاته فى بطن الحوت أكبر معجزاته.

* * * * * * * * * * * * *

# يونس عليه السلام

يونس عليه السلام من أحفاد النبى هود وأمه من بنى إسرائيل . بعثه الله إلى قوم يبلغ عددهم مائة ألف نسمة وقد انشقوا من قوم ثمود ، وقد مكث يونس فى قومه أربعين عاما يدعوهم للإيمان ، ولكن قومه كانوا يقولون له : لو قطعتنا إربا إربا لما آمنا بك ولما اعتقدنا بإله لا نراه .

وكان يقول لهم : إن آثار قدرة الله تدلل على وجوده فقد خص برحمته المؤمنين وبعذابه الكافرين والمشركين ، فما كان من قومه إلا ان ازداد إصرارهم فى أذاه وعدم تصديق كلامه ، حيث كانوا من عبدة الأوثان ، وعندما نفذ صبر يونس غضب على قومه وأنذرهم بنزول العذاب .

فقالوا له : لننظر ماذا ستفعل؟

ولما اقترب موعد نزول العذاب خرج يونس من بين قومه غضبانا وركب السفينة ليعبر البحر ويبتعد عن قومه الكافرين وكان فى السفينة مجموعة عرفوا أن يونس من الصالحين ، وعندما وصلت السفينة إلى وسط البحر خرج حوت واعترض السفينة فهددها بالغرق ، فقال ملاح السفينة : لا يوجد لدينا طريق للنجاة من هذا الحوت الجائع إلا أن نلقى أحد ركاب السفينة فى فمه فإنه لايتركنا فقرعوا على من يكون سهم الحوت فوقعت النتيجة على يونس . فقالوا : إن يونس شيخا كبير صالح عابد لنقرع مرة أخرى فكانت النتيجة كذلك على يونس وكرروا القرعة ثالثة فوقعت النتيجة على يونس فالتقمه الحوت ، فتضرع يونس إلى ربه نادما وقال : لعلنى ابتليت بهذا الأمر لأننى لم أصبر على أذى قومى ، ونذر بأن لو نجا من هذا الابتلاء لعاد إلى قومه يتحمل

أذاهم ويسعى مرة أخرى لهدايتهم ، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى استجاب دعاءه وأمر الحوت أن يقذفه إلى الساحل ، وفى هذه الأثناء كانت علائم العذاب تظهر شيئا فشيئا واضحة لقوم يونس فأخذ المؤمنون ينصحون الضالين من القوم الذين رأوا عذاب الله ينزل عليهم جليا فتابوا إلى الله وتذكروا يونس ليؤمنوا به فرفع عنهم العذاب .

قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ **وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ** ﴾ (١) .

وقوم يونس كانوا أول قوم ينزل عليهم العذاب ثم يرفع عنهم ، وبعدها صمم يونس على هداية قومه عندما شاهد آثار الندم ظاهرة عليهم فكانت عاقبة قومه إلى خير وصلاح ، هذه هى قصة يونس الذى التقمه الحوت وبقى فى بطنه حيا بأمر الله ورجع إلى الحياة مرة أخرى .

* * * * * * * * *

---

(١) سورة الصافات ، الآيات : ١٣٩-١٤٨ .

# زكريا ويحيى

# عليهما السلام

لقد رزق زكريا الولد يحيى بعد أن بلغ من الكبر عتيا ليكون وريثا له فى النبوة عندما شاهد عند مريم الصديقة عليهما السلام فاكهة الشتاء فى الصيف عندها دعا ربه أن يهبه ذرية طيبة فكانت الإجابة من الله تعالى: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾.

وقد شاءت إرادة الله أن يقتل يحيى شهيدا فى محرابه قبل موت والده زكريا: كما قتل قتلة يحيى زكريا بنشره فى الشجرة بعد قتلهم يحيى بزمن وجيز...

**معجزته**: ومعجزة زكريا سير قلمه عكس أقلام القوم فى سماء يوم اقتراعهم لكفالة مريم عليهما السلام وكفلها زكريا.

* * * * * * * * * * * *

# زكريا ويحيى

النبى زكريا من أبناء يعقوب ، وبينه وبين داود ثلاثمائة سنة ، وكان رئيسا لعلماء الدين فى بيت المقدس وزعيما للمؤمنين ، وكان يعمل بشريعة موسى ، وقد بلغ عمره مائة وخمسة عشرة سنة .

وبعث للنبوة وعمره أربعين سنة وكانت أمراته عقيما فكان يتمنى أن يرزقه الله ولدا وقد دعاه كثيرا لتحقيق هذا الأمر ، ويوما كان ساجدا لله فى محراب المسجد الأقصى وكان يدعوا الله لقضاء حاجته وبصوت خفى قائلا : إلهى لقد وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا لولا رزقتني ولدا صالحا ليرثنى وآل يعقوب ويكون عندك مقبولا .

فبشره جبرائيل بأنه سيكون لك ذلك واسم الوليد سيكون يحيى ولم نجعل له سميا .

فقال زكريا : يارب كيف سيكون لى غلام وقد أصبحت شيخا وامرأتى عقيم؟ فجاءه النداء : إذا أراد الله شيئا فانه سيكون هينا ، فلا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا .

وعندما خرج زكريا من المحراب لم يكلم الناس ثلاثة أيام فاطمأن وخرج من هذه العلامة .

وبعد أربعة أيام حملت أمرأته وفى الوقت المقرر أنجبت يحيى .

قال تعالى فى كتابه الكريم يصف زكريا عليه السلام : ﴿ **ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي**

وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (١) .

وبقى زكريا مواظبا على خدمة بيت المقدس وهو يتولى مهمة النبوة وكان يحيى أفضل بنى إسرائيل حيث كان قد تعلم الكتاب والحكم ولم يزل صبيا حيث كان يقرأ التوراة وعمره أربع سنوات وكان عالما شديد العطف على الناس .

وكان أكثر الناس إحسانا إلى والديه وهو أول شخص صدق بنبوة عيسى وبشر به ، وبعث إلى النبوة وهو فى سن الصبا ولكن عمره كان قصيرا حيث استشهد فى أيام شبابه على يد (هيردوت) حاكم نينوى وذلك لأن يحيى منعه من الزواج من ربيبته التى كانت من بنى إسرائيل حيث أن الزواج من الربيبة يعتبر حراما .

وكان يحيى فى صغره يمتنع من اللعب مع الأطفال ويقول ؛لم أخلق لكى ألعب ولو علم الناس كم هى فائدة العلم وكيف ان عمر الإنسان قصير

---

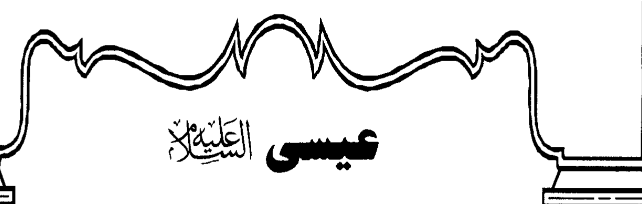
(١) سورة مريم ، الآيات ٢ - ١١ .

لما انشغلوا باللعب .

وكان تقيا وصادقا يبكى من خوف الله ولم يستعمل الخشونة فى تعامله مع أى شخص ولم يضحك أبدا ، ويقول: إن الضحك بصوت مرتفع ناشئ من الغفلة وزينة المرء أن يبتسم وأن يكون بشوشا .

وفى رواية عن الإمام الرضا عليه السلام فى كتاب حياة القلوب قال: إن يحيى كان يبكى ولا يضحك ولكن عيسى كان يبكى ويضحك وما كان يفعله عيسى أفضل مما كان يفعله يحيى .

**********



## عيسى عليه السلام

عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه:

**معجزاته** :

عبر وعظة للقلوب القاسية:

١- أجلها كلامه فى المهد صبيا.

٢- إحياء الموتى بإذن الله عز وجل.

٣- إبراء الأكمه والأبرص.

٤- ينفخ فى الطين فيكون طيرا بإذن الله.

*************

# عيسى عليه السلام

النبى عيسى عليه السلام رابع أنبياء أولى العزم ولقبه روح الله والمسيح ، وهو صاحب شريعة وكتاب ، وشريعته كانت مكملة لشريعة موسى عليه السلام ، وعيسى أول نبى كلم الناس وهو فى المهد وبشر بنبوته ، وله شبه بآدم عليه السلام حيث خلقه الله من تراب ونفخ فيه من روحه ، وعيسى خلقه الله سبحانه وتعالى من غير أب ومن أم عذراء . أمه مريم بنت عمران ، وعمران من سلالة داود وهو من أصفياء بنى إسرائيل ، وزوجة عمران تسمى (حنا) ولم يكن لها ولد ، ودعت ربها أن يرزقها ولدا صالحا وعندما حملت نذرت وهى فى محراب عبادتها قائلة : يا رب إنى جعلت ما فى بطنى محررا ليخدم الدين فى البيت المقدس ولا يعمل عمل غير العبادة وخدمة الدين .

قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [(١)] .

وعندما وضعت حملها كان المولود أنثى فسمتها مريم ونادت ربها إنى وضعتها أنثى وليس الذكر كالأنثى كى أجعلها فى المسجد خادما كما نذرت ، وإنى أعيذها وذريتها بك من شر الشيطان الرجيم . فجاءها النداء : إنا رضينا بها خادمة للدين وستلد ولدا يرفع كلمة الله وسيعم دينه المشرق والمغرب وعندما بلغت مريم السابعة وصارت مؤهلة للخدمة ذهبت أمها إلى بيت

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان : ٣٥ ، ٣٦ .

المقدس حيث كان زكريا وأولاد الأنبياء والعلماء قد جلسوا في المحراب يكتبون ويتلون التوراة .

فقالت أمها لزكريا : إننى نذرت مولودى هذا لخدمة المسجد ولم أعلم بأنى سألد أنثى ، والآن وقد وضعتها أنثى فأريد أن أفى بنذرى وجئت بها لتكون خادمة فى المسجد .

فقال زكريا : الحل فى القرعة . ألقوا أقلامكم فى الماء وكل من يطفو قلمه على الماء فهو الذى سيكفل مريم . وألقوا أقلامهم فى الماء فلم يطفو منها إلا قلم زكريا .

فقالوا له : لقد اختارك الله سبحانه وتعالى لهذا الثواب وكان زكريا شيخا محترما جليل القدر بين قومه ، فأمر بأن يقوموا باحترامها وأسكنها زاوية من المسجد وهيأ لها مكانا معزولا لكى تنقطع للعبادة ، وكان زكريا يأتيها أحيانا ليتفقد أحوالها ويقوم بخدمتها .

ومرة حدث أن بقيت مريم ثلاثة أيام وقد نسى زكريا أن يأتيها بطعام أو شراب ، وعندما جاء زكريا ليتفقد أحوالها ودخل عليها المحراب وجد عندها فواكه فى غير موسمها ولا مثيل لها فى تلك البلاد فتعجب وسألها : أنى لك هذا؟

فقالت مريم : من فواكه الجنة .

فازداد احترام مريم وعرفوا بأنها تحظى بالرعاية الإلهية وبقيت مريم على هذا الوضع من العزة والاحترام عابدة متنسكة حتى بلغ عمرها أربعة عشر عاما .

قال تعالى فى كتابه الكريم: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ * وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ * ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (١)

وعندما بلغت مريم الطمث قالت: لا مكان بعد لى فى هذا المسجد فاستأذنت من زكريا بترك المسجد والذهاب إلى بيته حيث كانت زوجة زكريا خالة مريم ، فيممت مريم وجهها شطر ماء لتغتسل به ، وعندما اغتسلت وارتدت ثيابها لاح إلى نظرها شيخ نورانى فاضطربت وقالت أعوذ بالله منك إن كنت تقيا .

فقال لها الشيخ: أنا ملك مرسل من قبل الله لأبشرك بأن الله وهب لك غلاما طاهرا ومباركا وصادقا .

(١) سورة آل عمران ، الآيات: ٣٧ - ٤٤ .

فقالت مريم: كيف يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر؟

قال لها جبرائيل: كما قلت ولكن هذا المولود سوف يكون آية من آيات الله الكبرى لأن الله سبحانه وتعالى يسير الأمور بأسبابها إلا المعاجز فإنها تكون بتدخله المباشر وهى دلائل عظمته.

فنفخ فى جيبها الأمانة الروحية فرجعت مريم إلى بيتها وانشغلت بالعبادة وكانت فرحة ومشغولة بالتفكير فيما حدث وخائفة من أن يتهمها الناس بذنب هى بريئة منه، وكانت مدة حمل مريم قصيرة جدا وعندما حان وقت وضعها أمرها جبرائيل أن تخرج من البيت وتتخذ لها مكانا بعيدا عن المدينة.

وفى الصحراء وتحت ظل نخلة يابسة أحست بدنو ولادتها، وهناك وضعت مريم حملها وكان ولدا مقدسا، وفى تلك اللحظات أخذت تفكر وتقول يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا حتى لا أكون عرضة للوم الآخرين.

قال تعالى فى كتابه الكريم يصف هذه المشاهد: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ

اللّــه وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّه وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

وفى سورة أخرى نرى القرآن يصور هذه الحوادث بشكل جميل إذ يقول: ﴿ وَاذْكُــرْ فِـــي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِــكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِــيًّا * فَحَمَلَــتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ (٢) .

وفجأة اخضرت النخلة اليابسة ونبعت عين ماء من تحت قدم المولود .

وجاء النداء لمريم: أيتها العذراء الطاهرة لا تحزنى وكلى من تمر هذه النخلة ولا تكلمى الناس واتركى الجواب لوليدك ، وكان من عرف ذلك الزمان اعتبار الصمت وعدم التكلم صوما ولما جاءها آل زكريا وشاهدوها على ذلك الحال سألوها عن سر هذا الأمر؟ وقال لهم أحدهم وهو يلومها: ما كان أبوك امرأ سوء

ولم تكن أمك بغيا فما هذا الذى نراه معك؟ فأشارت مريم بأنها صائمة ولا تكلم أحدا وأن اسألوا المولود .

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات: ٤٥-٤٩ .
(٢) سورة مريم ، الآيات ١٦-٢٤ .

قال : كيف يستطيع الطفل أن يتكلم ويكشف لنا الحقيقة ، لم نر أبدا طفلا صغيرا يستطيع الكلام ، فبادر عيسى عليه السلام قائلا : إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وبرا بوالدتى ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا .

وجاء النداء الربانى لمريم كما يصور القرآن الكريم : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ (١) .

فعرف بنوا إسرائيل أن سوء ظنهم بها يعتبر ظلما لها وتحيروا فى أمر عيسى ، فآمن به بعضهم بعدما انتشر خبره ، وأول من آمن به يحيى بن زكريا وهو ابن خالته وبعضهم بقى مصرا على العناد وسوء الظن ، ولما أخذ الأعداء يؤذون مريم بألسنتهم اللاذعة جاء الأمر بأن تهاجر مع ولدها إلى الناصرة وبقيت هناك محترمة من قبل المؤمنين إلى أن كبر عيسى فكان يذهب إلى بيت المقدس ليلتقى مع أولاد الأنبياء وكتاب التوراة ليتذاكر معهم ، ولم يكن أحد بقادر على أن يأتى بجواب ما لديه من الحكمة والأدلة فاعترفوا بحكمته ، وعندما بلغ عيسى الثلاثين من عمره أنزل الله عليه كتاب الإنجيل وأمر بدعوة الناس ، ورجع إلى بيت المقدس ومن هناك أخذ يدعوا الناس إلى دينه الحق ولمدة ثلاث سنين ، وأخذ يبين لهم الأحكام النازلة فى الإنجيل ولأنه من

---

(١) سورة مريم ، الآيات ٢٥ - ٣٠ .

الأنبياء أولى العزم فانه أخذ يرى المعاجز فى هذه المدة ومن بينها إحياء الموتى وإبراء المرضى الذين يصعب شفاؤهم بدعائه ، وبالنفس المسيحى المبارك أرجع البصر إلى الذين ولدوا فاقدين أبصارهم فآمن به بعض اليهود بإخلاص وصفاء وكذب أكثرهم ولم يذعنوا لقول الحق ، وكانوا يتهمونه بالسحر ويقولون هناك اختلاف بين التوراة والإنجيل وحسبنا كتاب التوراة وكفى .

فاستمر عيسى يروج الأحكام الإلهية بلطف وعطف ، وانتخب من بين المؤمنين برسالة اثنى عشر شخصا أسموهم (الحواريون) كانوا يلازمونه دائما ويمتثلون لأوامره ويسعون إلى هداية الناس من أى مكان يرونه مناسبا ، وعندما أخذ أنصار عيسى يكثرون فى بيت المقدس وفى المدن الأخرى ، خاف اليهود وأخذوا يوسوسون لملك اليهود ويؤملونه ويخوفونه بقولهم : إن عيسى لايريد أن يغير دين موسى فقط وانما يبشر بنبى بين العرب وعن قريب ستزول عزتنا وملكنا ، فألبوا ملك اليهود على قتل عيسى ، وعندما تجذر دينه ورسخ أسس المحبة والأخوة فى قلوب المؤمنين والصالحين علم أن مهمته قد انتهت فاشتاق إلى القرب من ربه لأنه كان وحيدا فى هذه الدنيا وليس لديه أحد سوى أمه ، وكان لا يتمنى من هذه الدنيا إلا صلاح الناس وهدايتهم وسعادتهم ، وعندما تكاملت مهمته جمع الحواريين فى ليلة لينصحهم النصيحة الأخيرة ، فأوصاهم بنشر تعاليم الإنجيل فى أى مكان يذهبون إليه ، فإن التوراة والإنجيل يعتبران أساس الفلاح والصلاح ، وفى ختام نصيحته أخذ عيسى يكرم ويعظم ويعطف على الحواريين ويلاطفهم .

وعندما سألوه عن سر حديثه معهم بهذه الصورة قال : أريد أن أكون قدوة لكم فى كيفية التعامل فيما بينكم من بعدى بعد ذلك قال لهم : أتأسف

على أن أحدكم سيرتد قبل طلوع الفجر وسوف يبيع دينه بمبلغ زهيد ، فأظهر الحواريون أسفهم من هذا الخبر وقالوا : إن هذا غير ممكن أن نخون شخصا كريما مثلك ، ولكن عندما جاءت شرطة السلطان اليهودى فى طلب عيسى ليصلبوه ، ذهبوا فى طلب بعض الحواريين ليسألوهم عن عيسى وكان الوقت ليلا فقالوا لهم : لا علم لنا به وبمحل إقامته ، لكن أحدهم طمع بمال الدنيا وأخذ الرشوة وقام هذا التلميذ الخائن بإخبار الأعداء بمحل عيسى فألقوا القبض عليه وأخذوا يوجهون له الكلام الخشن وقالوا له : إذا كنت تدعى الإعجاز فنجى نفسك منا ومن الصلب .

فقال لهم عيسى : إن كل ما يريده الله سيكون ، وعندما جمعوا الناس وأرادوا صلبه غاب عيسى بقدرة الله عن أنظارهم ورفعه الله إلى السماء ولكنهم بعد أن أعلنوا بأنهم سيصلبون عيسى وينهون أمره ولأن عيسى غاب عن أنظارهم أخذوا يبحثون عنه فى كل مكان فعثروا على تلميذه الخائن حيث كان يشبهه فخيل لهم بأنه هو فصلبوه بمكان عيسى وقالوا لليهود : انتهى الأمر .

وهكذا ذهب عيسى إلى مقام القرب من الله وتحمل الحواريون من بعده العناء والمصاعب فى سبيل نشر دين عيسى وشريعته وأخذ اليهود يناصبونهم العداء فى كل مكان ، وكانت تلك الأيام صعبة جدا حيث إن حفظ ما كتب من الإنجيل أصبح أمرا ليس بالهين وكذلك أخذوا يتداولون روايات مختلفة باسم الإنجيل ، ومرت سنين إلى أن اعتنق ملك الروم المسيحية ، ومن ذلك اليوم فقد أرسى الدين المسيحي قواعده فى أرجاء العالم ، واتخذ المسيحيون من ولادة عيسى عليه السلام بداية لتاريخ جديد وكانت الفترة بين عصر عيسى عليه السلام

إلى عصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم النبى الخاتم ما يقارب الستمائة سنة .

## لم سمى عيسى مسيحا؟ ولم قيل له روح منه؟

أصل المسيح : الممسوح ، صرف من مفعول إلى فعيل وسماه الله بذلك لتطهيره من الذنوب .

وقيل : لأنه مسح من الذنوب والأدناس التى تكون فى الآدميين كما يمسح الشىء من الأذى الذى يكون فيه فيطهر منه .

**ومعنى روح منه (١) اختلف فيه أهل العلم:**

فقال بعضهم : معنى قوله : وروح منه : ونفخة منه لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام فى مريم بأمر الله عز وجل إياه بذلك فنسب إلي أنه روح من الله عز وجل ؛ لأنه بأمره كان . إنما سمى النفخ روحا لأنه ريح تخرج من الروح .

وقال آخرون : معنى ذلك : وروح من الله خلقها فصورها ثم أرسلها إلى مريم فدخلت فى فيها فصيرها الله تعالى روح عيسى عليه السلام .

## إيمانه وورعه عليه السلام :

روى (٢) عن بعض السلف أن عيسى عليه السلام كان يلبس الشعر ويأكل من ورق الشجر ولا يأوى إلى منزل ولا أهل ولا مال ولا يدخر شيئا لغد .

وقال بعضهم : كان يأكل من غزل أمه عليها السلام وروى ابن عساكر عن الشعبى أنه قال : كان عيسى عليه السلام إذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول : لا ينبغى

---

(١) تفسير الطبرى : ط دار الفكر .

(٢) البداية والنهاية : لابن كثير ، الجزء الأول ، ط دار المعرفة ، بيروت .

لابن مريم أن تذكر عنده الساعة ويسكت .

وقال [(١)] الفضيل بن عياض ، عن يونس بن عبيد كان عيسى عليه السلام يقول : لا نصيب حقيقة الإيمان حتى لانبالى من أكل الدنيا قال الفضيل : وكان عيسى يقول : فكرت فى الخلق فوجدت من لم يخلق أغبط عندى ممن خلق وعن الحسن قال : إن عيسى عليه السلام رأس الزاهدين يوم القيامة .

وعن يحيى بن سعيد قال : كان عيسى يقول : اعبروا الدنيا ولا تعمروها .

وكان يقول : حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزرع فى القلب الشهوة وحكى وهيب بن الورد مثله وزاد ورب شهوة أورثت أهلها حزنا طويلا .

وعن عيسى عليه السلام : يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيثما كنت وكن فى الدنيا ضيفا واتخذ المساجد بيتا وعلم عينيك البكاء وجسدك الصبر وقلبك التفكر ولا تهتم برزق غد فإنها خطيئة .

وقال سفيان الثورى : قال عيسى ابن مريم : لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار فى إناء .

**معجزات عيسى عليه السلام :**

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا

(١) المرجع السابق .

يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [1] صدق الله العظيم .

**معجزة الكلام فى المهد :**

﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ .

المهد : مضجع الصبى فى رضاعة أى يكلم الناس طفلا فى المهد دلالة على براءة أمه مما قذفها به المفترون من بنى إسرائيل وحجة له عليه السلام على نبوته .

**معجزة خلق عيسى للطير بإذن الله :**

روى [2] أن عيسى عليه السلام جلس يوما مع غلمان من الكتاب فأخذ طينا ثم قال : أجعل لكم من هذا الطين طائرا قالوا : وتستطيع ذلك؟!

قال : نعم بإذن ربى سبحانه وتعالى .

ثم هيأه حتى إذا جعله فى هيئة الطائر نفخ فيه ثم قال : كن طائرا بإذن الله فخرج يطير بين كفيه فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلمهم فأفشوه فى الناس وترعرع .

فهمت به بنوا إسرائيل فلما خافت أمه عليه حملته على حمير لها ثم خرجت به هاربة .

---

(١) الآيات رقم (٤٥-٤٩) من سورة آل عمران .
(٢) الصاوى على الجلالين : ج ١ ، ط الحلبى .

## معجزة إبراء الأكمه والأبرص :

الأكمه : هو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل فهو يتكمه أو هو : الأعمى الذى ولدته أمه كذلك .

الأبرص : هو بياض يصيب بعض الجلد فيجعله مشوها وإنما أخبر الله عز وجل عيسى عليه السلام أن يقول ذلك لبنى إسرائيل احتجاجا منه بهذه العبر والآيات والمعجزات عليهم فى نبوته وذلك أن الكمه والبرص لا علاج لهما فكان ذلك من أدلته على صدق قوله إنه لله رسول لأنه من المعجزات مع سائر الآيات التى أعطاها الله إياها دلالة على صدق نبوته .

## معجزتة إحياء الموتى :

وكان إحياء عيسى عليه السلام للموتى بإذن الله أى إرادته وقدرته لا بإرادته وقدرته هو فإنه لايحيى الموتى إلا الله عز وجل أو من أذن له الله .

قيل : أنه أحيا سام بن نوح فكلمهم وهم ينظرون وذهب بعض المفسرين المحدثين إلى أن المراد إحياء موتى القلوب والنفوس وهو تأويل فاسد بكل المقاييس منكر لإحدى معجزات عيسى عليه السلام التى اختصه الله بها وإلا فإن أكثر الصالحين يحيون موتى القلوب والنفوس .

## معجزة إخباره بما يأكلون وما يدخرون :

فكان عليه السلام يخبرهم -أى قومه- بما يأكلون بما لم يعاينه أو يشاهده معهم فى وقت أكلهم له وكان عليه السلام يخبرهم أيضا بما يدخرونه وما يخبئونه .

عن الإمام السدى قائلا : كان عيسى ابن مريم عليه السلام يحدث الغلمان وهو

معهم فى الكتاب بما يصنع آباؤهم وبما يرفعونه لهم وبما يأكلون ويقول للغلام انطلق فقد رفع لك أهلك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبى فيبكى على أهله حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من أخبرك بهذا؟ فيقول: عيسى ابن مريم فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا: لا تلعبوا مع هذا الساحر فخبؤهم فى بيت فخابر عيسى يطلبهم فقالوا له ليس هم هنا . .

وقيل: أنه عليه السلام كان يقول لأحدهم يا فلان لقد أكلت كذا وكذا فى يومك وادخرت كذا فى بيتك وذلك بغير تفكير منه أو استنطاق لرمل أو أرقام كما يفعل الدجالون الآن - ولعل المراد أنه كان يعلمهم عناصر الأغذية وخواصها وكيف يحفظونها ويدخرونها وهو باب يدخل ضمن أبواب الأدوية والعلاجات وقد تخصص فيهما معجزة له عليه السلام .

## معجزة نزول المائدة لقومه لما طلبوا منه :

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

(١) من الآية رقم (١١٢-١١٥) من سورة المائدة .

ومضمون هذه المعجزة العظيمة التى سألها بنو إسرائيل لتنزل عليهم ويأكلون منه كالآتى :

مضمونها [١] أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بصيام ثلاثين يوما فلما أتموها سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبهم وتكون لهم عيدا يفطرون عليها يوم فطرهم . والمعنى [٢] أن نتخذ يوم نزولها عيدا نعظمه ونصلى فيه نحن ومن يجئ بعدنا فنزلت فى يوم الأحد فاتخذه النصارى عيدا .

فوعظهم [٣] عيسى فى ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل ، فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه ولبس مسحا من الشعر وصف بين قدميه وأطرق رأسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله فى الدعاء والسؤال أن يجابوا إلى ما طلبوا فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين وجعلت تدنوا قليلا قليلا وكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمه لا نقمة وأن يجعلها بركة وسلامة فلم تزل تدنوا حتى استقرت بين يدى عيسى عليه السلام وهى مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف عنها وهو يقول : بسم الله خير الرازقين .

وقيل : لم يكشفها هو بل قال : ليقم أحسنكم عملا فيكشف عنها ويسمى الله فقام شمعون رئيس الحواريين . فقال : يا روح الله : أمن طعام

---

(١) البداية والنهاية : ابن كثير ، ط دار المعرفة .
(٢) الفتوحات الإلهية : للجيلى الشهير بالجمل ، ط دار الفكر .
(٣) البداية والنهاية:ابن كثير ، ط دار المعرفة .

الدنيا أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى: ليس من هذا ولا من هذا ، ولكنه شيء اخترعه الله بقدرته فكلوا مما سألتم فقالوا: يا روح الله: كن أنت أول من يأكل منها فقال: معاذ الله أن آكل منه يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجزام والمقعدين فقال: كلوا مما رزق الله لكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وهم ألف وثلاثمائة رجل وامرأة وفى رواية وهم سبعة آلاف وثلاثمائة فلما أتموا الأكل طارت المائدة وهم ينظرون حتى توارت عنهم ولم يأكل منها مريض أو مبتلى إلا عوفى وندم من لم يأكل منها فمكثت تنزل أربعين صباحا فإذا نزلت اجتمع لها الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها [1] .

وفى القرطبى: فكانت تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود ترعى يوما وتشرب يوما فمكث أربعين يوما تنزل ضحى ولا تزال هكذا حتى يضيءالفيء من موضعه .

فيأكل الناس منها ثم ترجع إلى السماء والناس ينظرون إلى ظلها حتى تتوارى عنهم فلما تمت أربعون يوما أوحى الله لعيسى عليه السلام يا عيسى: اجعل مائدتي هذه للفقراء دون الأغنياء فتمارى الأغنياء فى ذلك وعادوا الفقراء اهـ .

وقد [2] روى عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ قال: نزلت المائدة من السماء خبز ولحم ، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد فخانوا ورفعوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير ، أي فمسخ الله منهم ثلاثمائة وثلاثين رجلاً باتوا ليلاً مع نسائهم ثم أصبحوا خنازير ولما أبصرت الخنازير

(١) الفتوحات الإلهية: للجيلى الشهير بالجمل ، ج١ ، ط دار الفكر ، بيروت .
(٢) البداية والنهاية: لابن كثير ، ج١ ، ط دار المعرفة ، بيروت .

عيسى بكت وجعلت تطيف به وجعل يدعوهم بأسمائهم فيشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا [١] .

وفي القرطبي : فعاشوا سبعه أيام وقيل أربعة أيام ثم دعا الله عيسى أن تقبض أرواحهم فأصبحوا لا يدري هل الأرض ابتلعتهم أو ما فعل الله بهم .

وقد اختلف العلماء[٢] في المائدة هل نزلت أم لا فالجمهور أنها نزلت كما دلت عليه هذه الآثار وكما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن الكريم ولا سيما قوله تعالى: ﴿ ...**إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ**... ﴾ كم قرره ابن جرير والله اعلم .

## وفاة عيسى عليه السلام :

حدث [٣] القرآن الكريم أن الله تعالى لم يسمح لبني إسرائيل بقتل عيسى أو صلبه وإنما نجاه الله تعالى من كفرهم ورفعه إليه فما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم .

قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ**... ﴾ [٤]

* * * * * * * * *

---

(١) الفتوحات الإلهية : للجمل ، ج١ ، ط دار الفكر .
(٢) البداية والنهاية : ابن كثير ج١ ، ط دار المعارف .
(٣) أنبياء الله : لأحمد بهجت ، ط الريان .
(٤) الآيتان رقم (١٥٧ ، ١٥٨) من سوره النساء .

# خاتم الأنبياء والمرسلين

## محمد ﷺ

خير الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ: أنزل الله تعالى عليه الكتاب مقترناً بالحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم وأعطى جوامع الكلام: وأعطاه الحق عز شأنه من المعجزات مثل ما أعطى الأنبياء جميعهم وزيادة: فهو ﷺ

**معجزاته:**

أكثر الأنبياء معجزات وسنورد في هذا البحث مقارنة بين معجزاته ومعجزات الأنبياء: وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

* * * * * * * * * * * *

# محمد خاتم الأنبياء
# صلى الله عليه وآله وسلم

النبي المصطفى ﷺ الرسول العربي وهو خامس الأنبياء أولي العزم وخاتم الأنبياء جميعا ، وببعثته ونزول القرآن اكتمل دين الله لن يبعث بعده نبي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

سبق وأن ذكرنا بأن لإبراهيم ولدين وهما إسماعيل وإسحاق وقد وصل مجموعه من نسلهم لدرجة النبوة والزعامة ، ومن إسحاق الذي كان من كنعان ولد يعقوب الذي يلُقب بإسرائيل ، وأنبياء بني إسرائيل من يعقوب ، أما أجداد النبي الخاتم فقد كانوا من نسل إسماعيل وكل واحد منهم كان يتولى إدارة شؤون الكعبة في عصره . وكانوا معززين بين الناس ، حيث سكنوا مكة التي كانت تعتبر مركزا لشبه الجزيرة العربية ، وهناك وفى جهات أخرى كانت تنتشر الضلالة ، وكان لكل قبيلة من القبائل العربية عادات وتقاليد حيث أن قسماً منهم كانوا يعبدون الأصنام ، وقد أقاموا تماثيل لأصنامهم في الكعبة وكان عباد الله يتألمون من ذلك وليس إلا النصائح يقدمونها لهؤلاء الضالين إلى أن جاء عصر رسالة الرسول الأكرم حيث انتهت عبادة الأصنام .

أما جدّ الرسول فهو هاشم من مشاهير التاريخ ومن قبيلة قريش وابنه عبد المطلب كان له ولد اسمه عبد الله هو والد الرسول الأكرم ﷺ الذي اصطفاه سبحانه وتعالى ليبعثه إلى العالم كافة وإلى آخر الزمان فالرسول ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم .

ولد الرسول الأكرم ﷺ في ١٧ ربيع الأول من سنة ٥٦٩ من التاريخ

المسيحي من أم اسمها آمنة وكانت ولادته بعد مرور عدة أشهر على ارتحال والده من الدنيا ، فجاء محمد ﷺ إلى الدنيا يتيماً ، وسمّي عام ولادته بعام الفيل حيث قام أبرهة حاكم اليمن في تلك السنة بالهجوم على مكة بالفيل حيث كان يبغي هدمها وقد أهلك الله سبحانه وتعالى أصحاب الفيل بأن أرسل عليهم طيراً من أبابيل ترميهم بحجارة من سجِّيل فجعلهم كعصف مأكول .

وعندما ولد محمد ﷺ أقام عبد المطلب احتفالاً أسمى فيه الوليد السعيد محمداً ومعناه المحبوب ، وقد تعهد عبد المطلب بإدارة شؤون عائلة عبد الله ، وفي ذلك الزمان كانت عادة وجوه قريش هي إرسال مواليدهم إلى البادية ليرضعوا الحليب من مرضعات من نساء عرب البادية وذلك لكي ينشأ الطفل في ذلك المناخ الطيب ويتعلم اللسان العربي الفصيح ، وحسب هذه العادة فقد انتخبوا امرأة من أشراف وأعف نساء قبيلة بني سعد ، وتسمى حليمة السعدية وذلك لتقوم بإرضاعه ورعايته ؛ ولأن حليمة رأت السعادة والبركة في وجود محمد ﷺ عندها لذا فإنها حرصت على إبقائه عندها ست سنوات ، وكانت تأتي به كل سنة إلى مكة لتمدد عقدها مع أهله ، وبعدها وحسب طلب أمه آمنة بنت وهب فقد عادوا به إلى مكة ليعيش قرب أمه ، وبعد مدة سافرت آمنة إلى المدينة لزيارة أقربائها وكان بصحبتها محمد وبقيا في المدينة مدة بعدها رجعا فمرضت آمنة في الطريق وفارقت الحياة في الأبواء وهو منزل بين مكة والمدينة حيث قامت أم أيمن خادمتها ومن معها برعاية محمد ﷺ الذي كان عمره آنذاك أكثر من ست سنوات ، وآتوا به وسلموه إلى جده عبد المطلب .

وفي تلك الأثناء كان عمر عبد المطلب قد وصل إلى المائة سنة توفّي في ذلك الوقت فأوصى بأن يقوم عم محمد بالقيام بتربيته فأخذ أبو طالب محمداً

وكان ناشئاً إلى منزله وأخذ يتفانى في رعايته وتربيته ، وكان في أوضاع محمد آثار وصفات عظيمة فى الجلال والفصاحة والبلاغة والحكمة كانت ظاهرة عليه ، وكلما تحدث معه أحد أحس بحلاوة أخلاقه وسلوكه المحبوب ووقع تحت تأثير كلامه اللطيف .

وفي سن الثالثة عشر سافر محمد ﷺ مع عمه (أبو طالب) في قافلة إلى الشام ، وهناك وفي طريقهم التقوا براهب في دير حيث تأثر بحديث محمد ومنزلته ، وقال الراهب لعمه (أبو طالب) وحسبما قرأت في الكتب السماوية فإن هذا الطفل سيصل إلى مكانة مرموقة في الدين فيجب حفظه من الأعداء .

وازدادت رعاية أبو طالب لمحمد الذي يعرف مكانته جيداً . ومن تلك السنة فقد سافر محمد ﷺ في تجارة لأبي طالب عدة مرات وعاد بأرباح وفوائد كثيرة .

ولأنه اشتهر بين الناس بالصدق والإحسان والأمانة ففي سن ٢٥ سنة استدعه إحدى سيدات مكة وهي خديجة بنت خويلد وذلك لترسله بتجارة إلى الشام واستجاب لها وسافر ورجع وربح ربحاً كثيراً ، فأثنت خديجة على صدقه وأمانته وعندما علم أبو طالب بأن هناك ميلاً من خديجة للاقتران بمحمد ﷺ أقنعه بذلك وذهب مع كبار قريش وذلك لخطبتها وزواجها من محمد ﷺ وكان سن محمد آنذاك ٢٥ سنة وسن خديجة ٤٠ سنه ، وكان أهل مكة فرحين من اقتران خديجة بمحمد من أصحاب الأموال والذين تقدموا للزواج من خديجة فلم يجدوا موافقة منها .

فقالوا : لقد أذلتنا خديجة فقد فضلت هذا اليتيم علينا ولكنهم لم يجدوا

في سلوك محمد وخديجة حجة يتشبثون بها لكي ينتقدوا هذا الزواج ، فقصرت ألسنتهم عن ذكر أي شيء إلا كون محمد يتيماً .

لقد عرف محمدﷺ بين الناس بالأمانة والصدق بحيث صار مضرباً للأمثال ، وعند حدوث نزاع بين القبائل كانوا يختارونه حكماً بينهم لأنهم يعلمون بأن أقواله وأعماله مبنية على العدل والحكمة .

ومن بين تلك الحوادث كانت حادثة تجدد بناء الكعبة حيث اختلفت القبائل على من سيكون له شرف رفع الحجر الأسود ووضعه في محله ، وكانت كل قبيلة من القبائل تحب أن تكون صاحبة هذا الشرف فحدث اختلاف وجدال بين القبائل ، وأخيراً اقترح أحد كبار القبائل بأن يكون محمد حاكما بينهم واتفقوا جميعا على ذلك لأنهم يعلمون بأن محمداً أمين ولا يقول إلا الحق ، فقال محمدﷺ : «**إذا رضيتم بحكمي فسوف أكون حاكما بينكم؟**» .

فقالوا : نحن نرضى بحكمك . ففرش رداءه على الأرض ووضع الحجر عليه وقال : «**الآن ليأخذ كل رئيس عشيرة بطرف من الرداء**» وعندما أوصلوه إلى مكان معين أخذه بيده الشريفة ووضعه في محله ، وقد نال هذا الحكم رضا الجميع حيث إنهم اشتركوا جميعاً في شرف رفع الحجر وتعلموا درساً كبيراً في التعاون ، وبين ٢٥ - ٤٠ سنة كان محمد يترك مكة أحياناً ليذهب إلى غار - جبل - حراء وذلك للخلوة والعبادة والتفكير ، ولما بلغ الأربعين بعثه الله نبياً فنزل عليه جبريل بأول آية من القرآن من سورة العلق وأمره بالقراءة في الوقت الذي كان فيه الرسول أمياً ولم يتعلم من أحد ، وقد وقع هذا الأمر في السابع والعشرين من رجب حيث يعتبر يوم المبعث الشريف وعندها نزل عليه الكتاب ازداد علمه بحيث أصبح أعلم من في الأرض ومن ذلك الوقت جاء الأمر إلى

الرسول بأن يبلغ رسالته إلى الأقربين من قومه ، وأول من أسلم وآمن بدين محمد من النساء خديجة الكبرى ومن الرجال علي بن أبي طالب عليه السلام وكان في سن العاشرة آنذاك ، وبعد مدة نزل إليه الأمر بأن يبلغ دعوته إلى الناس كافة فلم يؤمن به إلا قليل من الصالحين ، وأما المشركين وعبدة الأصنام فقد خالفوا وأخذوا يناصبونه البغض والعداوة ويدعونه بالساحر والكذاب والمجنون أذوه أذى شديد ، وكان عمه أبو طالب محترماً بين العرب.وقد نصحوه بأن لا يكون عونا لمحمد ولكن أبا طالب لم يأبه لكلامهم وأخذ يدافع عنه بما يستطيع ، وأما أبو جهل الذي كان رئيس القبيلة وكذلك أبو لهب يعادون النبي إلى حد أن سورة زجر وتقريع نزلت بحق أبى لهب .

أما آيات القرآن فقد أخذت تؤثر تأثيراً كبيراً في قلوب الصالحين لأنها كانت أبلغ وأفصح من كل ما سمعوه وقرءوه ، بحيث أصبح الشعراء والخطباء العرب في حيرة من فصاحة القرآن وبلاغته ، وكان القرآن أكبر معجزة للرسول ﷺ وقد تحدى كل الخلق بأن يأتوا بآية من آياته .

وعندما آمن جمع من أهل المدينة وأخذ أهل مكة يضاعفون من أذاهم للمسلمين وكانوا ينوون قتل النبي في وقت ارتحل فيه أبو طالب إلى رحمة الله نزل الأمر إلى الرسول بأن يهاجر وأنصاره إلى المدينة في السنة الثالثة عشر بعد البعثة ، وقد أنشئوا هناك قاعدة محكمة للدين . والسنة التي هاجر فيها النبي ﷺ من مكة إلى المدينة أصبحت بداية التاريخ الإسلامي يعرف بالتاريخ الهجري .

وفي المدينة أخذت دعائم الإسلام تقوى وتترسخ يوماً بعد يوم وخاض المسلمون حروباً عديدة ضد كفار قريش وضد اليهود وتتوج جهادهم بفتح

مكة وطهروا بيت الله من دنس الأوثان ، وبقى مركز الإسلام في المدينة ، وصارت أحكام القرآن هي الحاكمة على أرض الجزيرة العربية وبعدها أخذت تنتشر إلى كافة البلدان والأمصار ، وفي السنة العاشرة للهجرة الثالثة والعشرون للبعثة حج الرسول الأكرم ﷺ آخر حجة له ، وعند الرجوع إلى المدينة أوصى المسلمين بولاية علي عليه السلام وذلك في مكان يقال له غدير خم في خطبة مشهورة ، ونزلت البشرى بتمام الدين ، وبعد هذا السفر وتلك الحجة التي سميت حجة الوداع ارتحل الرسول ﷺ إلى بارئه وذلك في الثامن والعشرين من صفر وقد بلغ عمره الشريف ٦٣ سنة ، وقد ختمت رسالات الأنبياء جميعاً .

والى انتهاء الخليفة برسالة الرسول محمد ﷺ وأصبح دين الإسلام الوسيلة لهداية البشرية إلى سعادة الدنيا والآخرة وإلى قيام الساعة .

## محمد ﷺ مولده وشرف نسبه وكرم نشأته :

ولد ﷺ في صباح اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل على المشهور وكان مولده بمكة أشرف البلاد وأكرمها على الله سبحانه وتعالى .

وهو ﷺ دعوة أبيه إبراهيم وبشارة عيسى وصفوة سلالة قريش وأشرف العرب بدواً وحضراً وأفضلهم بيتا وأعزهم نفراً لم يزل ﷺ ينتقل من خير الأباء حتى انتهى إلى كبير مكة وقريش في الجاهلية عبد المطلب بن هاشم ثم الذي أبيه عبد الله والد المصطفي أشرف الناس نسباً عجماً وعرباً .

شب رسول الله ﷺ والله يحرسه ويرعاه ويحفظه من أدناس الجاهلية لما يريد من كرامته ورسالته فجعله أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم

حسبا وأعظمهم جواراً .

**محمد ﷺ أفضل المرسلين :**

وانفرد ﷺ من الأنبياء والرسل بأن معاصريه قد وقفوا على جميع خلاله وأخلاقه الخاصة والعامة ثم تناقلها الناس جيلا بعد جيل واضحة لا خفاء فيها ولا لبس فهو الرسول التاريخي بالمعنى الصحيح ؛ لأن سيرته من مولده إلى مماته ثابتة ثبوتا لا مرية فيه وهذا هو سر أن محمداً أفضل المرسلين وأرفعهم شأناً وأعلاهم قدراً به بين الشمائل والأعمال ما فهم العالم قدر النبوة والأنبياء .

## فيما خصه الله تعالى به من المعجزات وشرفه به على سائر الأنبياء من الكرامات والآيات البينات

تحت هذا العنوان ذكر الإمام القسطلاني كيف أن رسول الله محمداً ﷺ قد فاق الأنبياء في معجزاته كمًّا وكيفًا في العدد والقدرة والرفعة والسمو .

فالله تعالى خص نبينا بأشياء لم يعطها لنبي قبله ، وما خُص نبي بشيء إلا وكان سيدنا محمد ﷺ مثله بل أكثر منه .

**خلق آدم عليه السلام وخلق محمد ﷺ :**

إذا كان آدم خلقه الله بيده فقد أعطى سيدنا محمد شرح صدره ، وخلق فيه الإيمان والحكمة وهو الخلق النبوي .

**السجود لآدم وفضله عليه ﷺ :**

أما سجود الملائكة لآدم فكان تكريماً له وطاعة لله ﷻ .

كذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

فهذا تكريم ورفع مكانة للنبي ﷺ من الله وملائكته ، ومن الناس حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

**بين محمد ﷺ وإدريس عليه السلام :**

فإذا كان إدريس رفع إلى السماء كما قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (٢) .

فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ المعراج ورفع إلى مكان لم ولن يرفع إليه غيره .

**بين نوح عليه السلام ومحمد ﷺ :**

وأما نوح عليه السلام فنجاه الله تعالى ومن آمن به من الغرق ، ونجاه من الخسف .

فقد أعطى سيدنا محمداً ﷺ أنه لم تهلك أمته بعذاب من السماء .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ (٣) .

**بين إبراهيم الخليل ومحمد الأمين عليهما الصلاة وأفضل التسليم :**

وأما إبراهيم الخليل عليه السلام فكانت عليه نار النمرود برداً وسلاماً .

فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ نظير ذلك إطفاء نار الحرب عنه ﷺ وناهيك بنار حطبها السيوف ، ووهجها الحتوف ، وموقدها الحسد ، ومطلبها الروح

---

(١) الأحزاب : ٥٦ .
(٢) مريم : ٥٦ ، ٥٧ .
(٣) الأنفال : ٣٣ .

والجسد ، قال الله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾ (١) .

روى النسائي أن محمد بن حاطب قال : كنت طفلاً فانصب عليَّ القِدْر واحترق جلدي كله فحملني أبي إلى رسول الله ﷺ فتفل في جلدي ومسح المحترق وقال : «**اذهب الباس رب الناس**» فصرت صحيحاً لا بأس بي .

- وأما ما أعطيه إبراهيم عليه السلام من مقام الخلة . فقد أعطيه نبياً محمد ﷺ وزاد بمقام المحبة .

وقد روى في حديث الشفاعة أن الخليل إذا قيل له : اتخذ الله خليلاً فاشفع لنا . قال : إنما كنت خليلاً من وراء وراء ، اذهبوا إلى غيري - إلى أن تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ - فيقول : «**أنا لها ، أنا لها**» .

- ومما أعطيه إبراهيم عليه الصلوات والتسليم انفراده في أهل الأرض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للأصنام يكسرها .

- فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ كسرها بأسرها بمحضر من أصحاب نصرها بقضيب ليس مما يكسر إلا بقوة ربانية ومادة إلهية اجتزأ فيها بالأنفاس عن الفاس وما عول على المعول ولا عرض في القول كما قال إبراهيم ، بل جهر جهراً بغير سر : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٢) .

- ومما أعطيه الخليل عليه الصلاة والسلام بناء البيت الحرام ولا خفاء أن البيت جسد وروحه الحجر الأسود ، بل هو سويداء القلب ، ولقد جاء في الحديث : «**أنه يمين الرب فمن مسحه فكأنما بايع الله**» وهو تمثيل ولله المثل الأعلى .

---

(١) المائدة : ٦٤ .

(٢) الإسراء : ٨١ .

وقد أعطى سيدنا محمد ﷺ أن قريشاً لما بنت البيت بعد تهدمه ولم يبق إلا مواضع الحجر تنافسوا على الفخر الفخم ، ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل ، فكان هو رسول الله ﷺ فقالوا : هذا الأمين فحكموه في ذلك ، فأمر ببسط ثوب ووضع الحجر فيه ثم قال : «**يرفع كل بطن من قريش بطرف فرفعوه جميعاً ثم أخذه سيدنا محمد ﷺ فوضعه في مكانه**» .

فادخر الله ذلك المقام ليكون منقبة له على مدى الأيام .

**بين موسى عليه السلام ومحمد ﷺ :**

- وأما ما أعطيه موسى عليه السلام من قلب العصا حية غير ناطقة .

فقد أعطى سيدنا محمد ﷺ حنين الجذع .

فقد كان في المسجد جزع شجرة ميتة يخطب عليها ، ولما صنع له المنبر تركوه فحن الجزع حتى بكى واستلمه ﷺ حتى سكن .

وقد حكى الإمام الرازي وغيره أنه : لما أراد أبو جهل أن يرميه بالحجر رأى على كتفيه ثعبانين ، ففر هارباً .

وأما ما أعطيه موسى أيضاً من اليد البيضاء وكان بياضها يغشي البصر .

فقد أعطى ﷺ قتادة بن النعمان وقد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجون وقال : «**انطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك ومن خلفك عشراً فإذا دخلت بيتك فستري سواداً فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان**» فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج . رواه أبو نعيم . والمعلوم أن كرامة الولي معجزة لنبيه .

ومما أعطيه موسى عليه السلام من انفلاق البحر لـه .

فقد أعطى نبينا محمد ﷺ انشقاق القمر .

ومما أعطيه موسى عليه السلام إجابة دعائه .

فقد أعطى نبينا محمد العشرات من الإجابات كما مر قريباً .

ومما أعطية موسى عليه السلام تفجير الماء لـه من الحجارة .

أعطى سيدنا محمد ﷺ أن الماء تفجر من بين أصابعه .

وهذا أبلغ لأن الحجر من جنس الأرض التي ينبع منها الماء ، ولم تجر العادة أن الماء من اللحم .

ومما أعطيه موسى عليه السلام أنه كلم الله لـه على الطور .

فقد أعطي سيدنا محمد ﷺ مثله ليلة الإسراء وزيادة الدنو والتدلي وكان فوق السماوات العُلَى .

## بين هارون عليه السلام ومحمد ﷺ :

وأما ما أعطيه هارون عليه السلام من فصاحة اللسان .

فقد كان نبينا ﷺ من الفصاحة والبلاغة بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهله ، وقد أُتي جوامع الكلم أيضا ﷺ [1] .

## بين يوسف عليه السلام ومحمد ﷺ :

وأما ما أعطيه يوسف عليه السلام من تعبير الرؤيا فالذي نقل عنه من ذلك

(١) اقرأ المجازات النبوية للشريف الرضى . تحقيق / طه عبد الرءوف سعد . لتتأكد من صدق قولنا .

ثلاث منامات : حين رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدة له ، والثاني منام صاحبي السجن ، والثالث منام الملك .

وقد أعطى نبينا من ذلك ما لا يدخله الحصر .

ومن أمثاله : أن رأى في يديه سوارين فكرههما فنفخهما فطارا ، فأولهما كذابين بعده يدعان النبوة : مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي . لعنها الله تعالى .

**بين داود ﷺ ومحمد ﷺ :**

أما ما أعطى داود ﷺ من تليين الحديد له .

فأعطي نبينا ﷺ أن العود اليابس اخضر في يده ، ومسح شاة أم معبد العجفاء فبرئت ودرت باللبن .

**بين سليمان ﷺ ومحمد ﷺ :**

أما ما أعطيه سليمان ﷺ من كلام الطير وتسخر الشيطان والريح والملك الذي لم يعطيه أحد من بعده .

فقد أعطى نبيناً ﷺ مثل ذلك وزيادة :

- أما كلام الطير والوحش فنبينا ﷺ كلمه الحجر .

- وسبح في كفه الحصى وهو جماد .

وكلمه ذراع الشاة المسمومة التي قدمته زينب بنت مشكم له ﷺ ومات منه البراء بن المعرور .

- وكذلك كلمه الظبي .

- وشكا له البعير من إهانة صاحبه له وتجويعه إلى غير ذلك مما يطول ذكره ، وإنما نحن هنا نضرب أمثلة .

- وأما الريح التي كان غدوها شهراً ورواحها شهراً تحمله أين أراد من أقطار الأرض .

فقد أعطى ﷺ البراق الذي هو أسرع من الريح ، بل أسرع من البرق الخاطف فحمله من فراشه ﷺ إلى حيث انتهى من مكة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماوات إلى سدرة المنتهى .

كان ذلك في أقل من ساعة زمانية .

ويقول أهل الفلك : إن المسافة تلك سبعة آلاف سنة .

وتلك مسافة السماوات فقط ، أما إلى المستوى الذي وصل إليه فذلك ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

- وأيضاً الريح سخرت لسليمان لتحمله إلى نواحي الأرض .

ونبينا ﷺ زويت له الأرض - أي جمعت له - حتى رأى مشارقها ومغاربها .

والفرق بين الوضعين واضح ، فلا نسبة بين من سعى إلى الأرض وبين من تسعى له الأرض صلى الله عليك وسلم يا أشرف الخلق .

- وأما ما أعطيه من تسخير الشياطين .

فقد روى أن أحد الشياطين اعترض سيدنا محمداً ﷺ وهو في الصلاة ، فأمكنه الله منه وربطه بسارية من سواري المسجد .

وخير ما أوتيه سليمان من ذلك تسخير الجن .

وما أوتيه رسولنا ﷺ من ذلك إيمان الجن .

فسليمان استخدمهم ، ومحمد ﷺ استسلمهم .

أما عد الجن من جنود سليمان في قوله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (١) .

فخيرٌ منه عند الملائكة ، جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة عليهم السلام من جملة أجناده . فقد ثبت أن الملائكة حاربت معه ﷺ في أكثر من غزوة .

- وأما ما أعطيه سليمان عليه السلام من الملك .

فنبينا عليه الصلاة السلام خيِّر بين أن يكون نبياً ملكاً ونبياً عبداً ، فاختار ﷺ أن يكون نبيّاً عبداً تواضعاً .

## بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ :

وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى :

فأعطى سيدنا محمد ﷺ أنه رد عين قتادة بن النعمان إلى مكانها حينما سقطت على وجنته ، فكانت أحسن عينيه .

وأما ما أعطى عيسى عليه السلام من أنه كان يعرف ما يخفيه الناس في البيوت : فقد أعطى نبياً ﷺ ما لا يحصي من ذلك .

وأما ما أعطى عيسى من رفعه إلى السماء :

---

(١) النمل : ١٧ .

فقد أعطى نبينا ﷺ ليلة المعراج وزاد في الترقي لمزيد الدرجات ﷺ

**من معجزاته ﷺ استجابة دعائه ﷺ :**

وهذا نوع آخر من معجزاته ﷺ هو استجابة دعائه عليه الصلاة والسلام .

ونقدم هنا بعض الحالات التي استجاب الله تعالى فيها دعائه ﷺ :

فقد دعا ﷺ لأنس فقال : «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته**» رواه البخاري .

وفي «**الأدب المفرد للبخاري**» عن أنس قال : قالت أم سليم - وهي أم أنس - : خويدمك ألا تدعو له؟ فقال : «**اللهم أكثر ماله وولده ، وأطل حياته ، واغفر له**» . (رواه مسلم والترمذي وأحمد) .

وفي الصحيح : أن أنساً كان في الهجرة ابن تسع سنين ، وكانت وفاته سنة إحدى وتسعين فيما قيل ، وقيل : سنة ثلاث وله مائة وثلاث سنين . قاله خليفة وهو المعتمد .

وأما كثرة ولده ، فروى مسلم قال أنس : «**فوالله إن مالي لكثير ، وأن ولدي وولد ولدي ليعادُّون على نحو المائة اليوم**» .

وورد في حديث رواه الشيخان أن أنساً قال : أخبرتني ابنتي أمينة أنه دفن من صلبي إلى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرون .

وقال ابن قتيبة في (المعارف) : كان بالبصرة ثلاث ما ماتوا حتى رأى كل واحد منهم ولده مائة لصلبه : أبو بكرة ، وخليفة بن بدر ، وأنس ، وزاد غيره رابعاً : وهو المهلب بن أبي صفرة .

وأخرج ابن سعد عن أنس قال: دعا لي النبي ﷺ: «**اللهم أكثر ماله وولده ، وأطل عمره ، واغفر له**» فقد دفنت من صلبي مائة واثنين ، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة ، وأرجو الرابعة (مغفرة الله تعالى له) .

ودعا ﷺ لمالك بن ربيعة السلولي أن يبارك له في ولده ، فولده له ثمانون ولداً .

وأرسل ﷺ إلى يوم خيبر ، وكان أرمد ، فتفل في عينه وقال: «**اللهم أذهب عنه الحر والبرد**» قال: فما وجدتُ حرّاً ولا برداً منذ ذلك اليوم ، ولا رمدت عيناي .

وبعث ﷺ عليا إلى اليمن قاضيا قال: يا رسول الله لا علم لي بالقضاء ، فقال: «**أدن مني**» فدنا منه وضرب بيده على صدره وقال: «**اللهم اهد قلبه وثبت لسانه**» ، قال على: فوالله ما شككت في قضاء بين اثنين . رواه أبو داود وغيره .

وعاد ﷺ عليّاً من مرض فقال: «**اللهم اشفه ، اللهم عافه**» ثم قال: «**قم**» قال علي: فما عاد لي الوجع بعد . رواه الحاكم وصححه البيهقي .

ودعا ﷺ لابن عباس: «**اللهم فقهه في الدين ، اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل**» رواه البغوي وابن سعد .

وفي البخاري: «**اللهم علمه الكتاب**» فكان عالماً بالكتاب ، حبر الأمة ، بحر العلم ، رئيس المفسرين ، ترجمان القرآن ، وكونه في الدرجة العليا والمحل الأقصى لا يخفى .

وقال ﷺ للنابغة الجعدي لما قال:

**ولا خير في حلم إذا لم يكن لــه ::: بــوادر تحمــي صفوة أن يكدرا**
**ولا خير في علم إذا لم يكــن له ::: حكيم إذا ما أورد الأمــر أصدرا**

«**لا يغضضن الله فاك**» أي لا يسقط الله أسنانك ، قال فأتي عليه أكثر من مائة سنة وكان من أحسن الناس ثغراً . رواه البيهقي وقال فيه : فلقد رأيته أتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سن .

وسقاه ﷺ عمرو بن أخطب ماء في قدح قوارير ، فرأى فيه شعرة بيضاء فأخذها ، فقال : «**اللهم جمِّله**» فبلغ ثلاثاً وتسعين سنة وما في لحيته ورأسه شعرة بيضاء وليس في لحيته شعرة بيضاء وصححه ابن حبان والحاكم .

وقال ﷺ لابن الحمق الخزاعي ، وقد سقاه ﷺ : «**اللهم متعه بشبابه**» فمرت عليه ثمانون سنه ولم ير شعرة بيضاء . رواه أبو نعيم وغيره .

ودعا ﷺ لعروة بن الجعد البارقي فقال : «**اللهم بارك في صفقة يمينه**» قال : فما اشتريت شيئاً إلا وربحت فيه .

وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل ، وضرب في صدره وقال : «**اللهم ثبته واجعله هادياً مهديّاً**» قال فما وقعت عن فرسي بعدُ .

وقال لسعد بن أبي وقاص : «**اللهم أجب دعوته**» . فكان مجاب الدعوة . رواه البيهقي والطبراني في الأوسط .

ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة . رواه الشيخان عن أنس ، زاد البيهقي من وجه آخر ، قال عبد الرحمن : فلو رفعت حجراً لرجوت أن

أصيب تحته ذهباً أو فضة . الحديث .

ودعا على مضر فأقحطوا حتى أكلوا العلهز - وهو الدم بالوبر - حتى استعطفه قريش .

ولما تلا ﷺ ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ (١) قال عتيبة بن أبي لهب : كفرت برب النجم ، قال ﷺ : «**اللهم سلط عليه كلباً من كلابك**» فخرج عتيبة مع أصحابه في عير إلى الشام حتى إذا كانوا بالشام زأر أسد ، فجعلت فرائصه ترعد ، فقيل له : من أى شيء ترتعد؟ فوالله ما نحن وأنت فى هذا إلا سواء فقال : إن محمداً دعا عليَّ ، ولا والله ما أظلت هذه السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يديه فيه حتى جاء النوم ، فأحاطوا به وأحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا ، فجاء الأسد يستنشق رؤوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليه فمضغه مضغة ، وهو يقول : ألم أقل لكم إن محمدًا أصدق الناس ومات ذكره يعقوب الإسفرايني .

وعن مازن الطائي - وكان بأرض عمان - قلت : يا رسول الله ، إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر والنساء ، وألحت علينا السنون ، فأذهبن الأموال وأهزلن الذراري والرجال ، وليس لي ولد ، فادع الله أن يذهب عنى ما أجد ويأتيني بالحياء ، ويهب لي ولداً فقال ﷺ : «**اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام الحلال ، وائته بالحياء ، وهب له ولداً**» قال مازن : فأذهب الله كل ما كنت أجد ، وأخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لي حيان بن مازن . رواه البيهقي . وأكل رجل عنده بشماله فقال : «**كل بيمينك**»

---

(١) النجم : ١ .

قال: لا أستطيع ، قال: «**لا استطعت**» فما رفعها إلى فيه بعدُ والرجل هو بسر ابن راعى العير.

وكان معاوية رديفه يوماً فقال: «**يا معاوية ، ما يليني منك؟**» قال: بطني قال: «**اللهم املأه علماً وحلماً**» رواه البخاري في تاريخه.

وقال لابن ثروان: «**اللهم أطل شقاءه وبقاءه**» فأدرك شيخاً كبيرا شقيا يتمنى الموت.

وأما حديث أبي هريرة عند البخاري: أن الرسول الله ﷺ قال: «**لكل نبي دعوة مستجابة يدعوا بها ، وأريد أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتي في الآخرة**».

فقد استشكل ظاهرة بما ذكرناه ، وبما وقع لنبينا ولكثير من الأنبياء صلى الله عليهم وسلم من الدعوات المجابة ، فإن ظاهره أن لكل نبي دعوة مجابة فقط.

وأجيب: بأن المراد بالإجابة في الدعوة المذكورة القطع بها ، وما عدا ذلك من دعواتهم فهم على رجاء الإجابة. وقيل: معنى قوله: «**لكل نبي دعوة**». أي أفضل دعواته ، ولهم دعوات أخرى. وقيل: لكم منها دعوة عامه مستجابة فى أمته ، إما بإهلاكها وإما بنجاتهم ، وأما الدعوات الخاصة ، فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب. وقيل: لكل نبي منهم دعوة تخصه لدنياه ولنفسه ، كقول نوح: ﴿ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [1] ، وقول زكريا: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [2] وقول سليمان: ﴿ قَالَ رَبِّ

---

(١) نوح: ٢٦.
(٢) مريم: ٥ ، ٦.

اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (١) .

وفي الحديث بيان فضيلة نبينا ﷺ على سائر الأنبياء ، حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة ، ولم يجعلها دعاء عليها بالهلاك كما وقع لغيره ، صلوات الله وسلامه عليهم .

وظاهر الحديث يقتضي أنه ﷺ أخَّر الدعاء والشفاعة يوم القيامة ، فذلك اليوم يدعو ويشفع ، ويحتمل أن يكون المؤخر ليوم القيامة ثمرة تلك الدعوة ومنفعتها ، وأما طلبها فحصل من النبى ﷺ فى الدنيا (حكاه صاحب مزيد الفتح) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ أن يدعوا لأمه فيهديها الله ، فدعا لها ، فذهب أبو هريرة فوجد أمه تغتسل خلف الباب ، فلما فرغت قالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فجعل أبو هريرة يبكي من الفرح ، ثم ذهب فأعلم بذلك رسول الله ﷺ وسأله أن يدعو لهما أن يحببهما الله إلى عباده المؤمنين ، فدعا لهما ، فحصل ذلك ، قال أبو هريرة : فليس مؤمن ولا مؤمنة إلا وهو يحبنا . (أخرجه البخاري) .

## من معجزاته ﷺ التزام الجبل لأمره ﷺ :

عن أنس رضى الله عنه قال : صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أُحُداً فرجفت بهم فضرب النبي ﷺ برجله وقال : «**اثبت أُحُد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**» . رواه البخاري وأحمد والترمذى وأبو حاتم .

قال ابن المنير : قيل : الحكمة في ذلك أنه لما رجف أراد رسول الله ﷺ أن يبين أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا

---

(١) ص : ٣٥ .

الكلم ، وأن تلك رجفة الغضب ، وهذه هزة الطرب (السرور) ولهذا نص على مقام النبوة والصدِّيقين والشهادة لعمر وعثمان رضى الله عنهما التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه ، فاقر الجبل فاستقر .

## من معجزاته ﷺ انقياد الشجر له ﷺ :

عن جابر بن عبد الله قال : ذات يوم أراد النبي ﷺ أن يقضي حاجته ، فنظر فلم يرى شيئاً يستتر به فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي ، فانطلق إلى أحدهما فأخذ من أغصانها وقال لها : «**انقادي على بإذن الله**» فانقادت عليه كالبعير يمشي خلف قائده ثم فعل بالثانية ما فعل بالأولى حتى كان بالمنتصف قال لهما : «**التئما على بإذن الله**» ، فالتأمتا عليه بإذن الله فلما فرغ من قضاء حاجته أمرهما فعادت كل واحدة مكانها .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فدنا منه أعرابي فقال له : «**أين تريد؟**» فقال الأعرابي : ذاهب إلى أهلي ، فقال النبي ﷺ : «**هل لك خير من ذلك؟**» قال الأعرابي : وما هو؟ فقال النبي ﷺ : «**تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**» فقال الأعرابي : ومن يشهد لك يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ : «**هذه الشجرة التي بشاطئ الوادي فادعها فإنها تجيبك**» ، وقال لها : رسول الله يدعوك ، فذهب الأعرابي للشجرة يميناً وشمالاً ومن أمامها ومن خلفها حتى تقطعت عروقها وأقبلت تخد الأرض خداً تجر عروقها حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ : فقالت ، السلام عليك يا رسول الله ، فرد الرسول السلام واستشهدها ، فشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم رجعت إلى مكانها ، فقال الأعرابي : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ﷺ . (رواه الإمام أحمد) .

## من معجزاته ﷺ شكاية الجمل له ﷺ :

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال : أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه ، فأسر إلى الحديث لا أحدث به أحد من الناس ، قال : وكان أحب ما استتر به النبي ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل ، فدخل حائط رجل من الأنصار ، فإذا جمل ، فلما رأى النبي ﷺ حن فذرفت عيناه ، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه - وفي رواية : فسكن- ثم قال ﷺ: «**من رب هذا الجمل؟**» فجاء فتى من الأنصار فقال : هذا لي يارسول الله ، فقال : «**ألا تتقي الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها ، فإنه شكا لي أنك تجيعه وتدئبه (تتعبه) في العمل**» . (الحاكم في المستدرك على الصحيحين) .

## كلام الذئب بشهادته له ﷺ :

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، ثنا القاسم بن الفضل الحداني عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : عدا (هجم) الذئب على شاة فأخذها الراعي ، فانتزعها منه ، فاقعي الذئب على ذنبه ، فقال : ألا تتقي الله تنزع منى رزقا ساقه الله إلى؟ فقال : يا عجبي ، ذئب يكلمني كلام الإنس! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ، قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى الرسول الله ﷺ فأخبره ، فأمر رسول الله فنودي : الصلاة جامعة ، ثم خرج فقال للراعي : أخبرهم ، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ويكلم الرجل عذبة سوطه ، وشراك نعله ، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده**» (أخرجه أحمد والبيهقي) .

## من معجزاته ﷺ تسبيح الحصى في يده الشريفة ﷺ :

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كنت جالسا بجوار النبي ﷺ وحوله أبو بكر وعمر وعثمان وبين يديه سبع حصيات فأخذهن النبي ﷺ في كفه فسبحن حتى سمعت لهن طنيناً كطنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أخذهن أبو بكر فسبحن ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أخذهن عمر فسبحن ، ثم وضعهن فخرسن ، فقال النبي : **«هذه خلافة النبوة»** (رواه البيهقي) .

## من معجزاته ﷺ حنين الجذع له ﷺ :

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يخطب الناس ، فجاء رومي فقال: ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم؟ فصنع له منبر له درجتان ويقعد على الثالثة ، فلما قعد رسول الله ﷺ على المنبر جأر الجذع كجؤور الثور ، حتى ارتج المسجد لجؤاره حزناً على رسول الله ﷺ ، فنزل إليه رسول الله وهو يجأر ، فلما التزمه سكت ، ثم قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزناً على رسول الله»** فأمر به ﷺ فدفن (رواه البخاري) .

والحمد لله أولا وأخيرا وصلاة وسلاما على المبعوث هاديا مبشرا ونذيراً على آله وصحبه وسلم .

**خادم القرآن**

محمد محمود عبد الله

مدرس علوم القرآن بالأزهر

# الفهـــــرس

* * * * * * * * * *